

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقُرْضَاوِيِّ

المحور الثاني

العقيدة



أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى
مِنْ كِتَابِهِ وَمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّهِ

الإمام يوسف القرضاوي



من الدستور الإلهي للبشرية

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
[الأعراف: ١٨٠].

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ
الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة». متفق عليه.

عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي».

إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا». قال: فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها». رواه أحمد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الأحد، الحمد لله الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. والصلاة والسلام على خير خلقه، وخاتم رسله محمد، وعلى آله وصحبه، الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عنّ دعا بدعوتهم، واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(وبعد)

فهذا كتاب يتضمن كلماتٍ وأبحاثاً تتعلق بما سمّاه القرآن الكريم والسنة النبوية: (أسماء الله الحسنى)، والتي قال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. فالله تعالى له الأسماء الحسنى، والحسنى مؤنث أحسن، فله تعالى الأسماء الحسنى، ليست الحسنة فقط، بل هي أحسن الأسماء.

فأحسن الأسماء، وأكمل الأسماء، وأفضل الأسماء لله تبارك وتعالى، وهي التي ينبغي أن يدعى الله وَجَّكَ بها، لا بسواها، كما قال وَجَّكَ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، الذين

ينحرفون عن القصد والصواب، ويميلون إلى الباطل، ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ولقد قرّر القرآن أن لله الأسماء الحسنی، كما في قوله تعالى في سورة طه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، وقوله في أواخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

والحقيقة أنني كنت أريد أن أكتب صفحاتٍ معدودات، عن صفات الله وأسمائه ﷻ، أضمتها إلى ما أريد تكميله من كتاب (الإيمان)، أو كتاب (عقائد الإسلام)، الذي كتبت فيه أبواباً أو فصولاً متعددة، ظهرت في صورة كُتُبَاتٍ أو رسائل من زمن بعيد، بعضها عن (وجود الله)، وبعضها عن (التوحيد)، وبعضها عن (القدر)، ونحو ذلك من البحوث الجزئية. ولكنني كنت أريد أن يكون لي كتاب كامل في علم التوحيد، أو في دراسة العقيدة الإسلامية، التي درسناها في مراحل الأزهر كلها دراسةً كان لي عليها ملاحظات في نهجها وأسلوبها ومصادرها، درسناها في المرحلة الابتدائية من مذكرات المشايخ، ودرسنا في المرحلة الثانوية شرح منظومة (جوهرة التوحيد) لإبراهيم اللقاني المالكي (ت: ١٠٤١هـ)، وفي كلية أصول الدين توسعنا في الدراسة، ودرسنا كتاب (العقائد النسفية) لمؤلفها الحنفي العلامة نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي (ت: ٥٣٧هـ)، وشرحه لسعد الدين التفتازاني علامة العقائد والأصول والعربية (ت: ٧٩١هـ)، وحواشيه الثلاثة: للخيالي (ت حوالي ٨٦٢هـ)،

وللعصام (ت: ٩٤٥هـ)، ولعبد الحكيم السيالكوتي (ت: ١٠٦٧هـ)، ودرسنا أيضًا فصولاً من (شرح المواقف) للعلامة الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ). لقد تعبنا في فهم شروحها وحواشيها، والوقوف على مقاصدها، والتعقيب عليها، والردود على التعقيبات، والردود على الردود، وهو جهد ذهني معقّد ومجهد، وقد أخذنا فيه من الدرجات والعلامات ما أقنعنا في تلك الأيام بجدوى بحوثنا أو اجتهادنا بأقصى ما يمكننا، ولكن في الواقع لم تنفعنا بحوثنا ودراساتنا، ومناقشاتنا الطويلة والمُملّة، في تحصيل الإيمان الحقيقي لأنفسنا، أو في دعوة غيرنا إليه، إذا أردنا أن ندعو الآخرين في عصرنا إلى الإيمان.

كنتُ أريد أن أتحدث عن صفات الله تعالى وأسمائه، التي يجب على المسلم أن يعرفها، إذا أراد أن يتعلم التوحيد من كتاب الله تعالى، ومن سُنّة رسوله ﷺ، ومن أكابر أصحابه المعلمين الهداة، ومن أتباعهم وأتباعهم إلى ما شاء الله، وأن أضيف إليها كل ما يتعلق بالعقائد الإسلامية، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهي الخمسة التي ركز عليها القرآن. وأضافت إليها السُنّة سادساً، وهو الإيمان بالقدر، وهو في الحقيقة جزء من الإيمان بالله تعالى.

ولكن نَدَّ بي القلم، وتوسَّعتُ في الكتابة عن الموضوع بأكثر ممّا توقعت، ولذلك رأيت أن أعزله وحده في صورة كتاب، وأعلنون له بهذا الاسم المبين (أسماء الله الحسنى: من كتابه، وما صحَّ عن نبيه).

وقد استفدتُ من الكتب المؤلفة عن (أسماء الله الحسنى)، لا سيما كتاب «المقصد الأسنى في شرح معاني الأسماء الحسنى» لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، وكتاب «الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» للقرطبي (ت: ٦٧١هـ)، وغيرهما.

وقد اخترت أن يكون هذا الكتاب سهلاً ميسوراً لعموم المسلمين،
 يقرؤونه ليعرفوا الله ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ
 لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].
 بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، ومعنى كل اسم من الأسماء، والفرق
 بينه وبين الأسماء القريبة منه، وحظ المسلم من كل اسم، ولم أثقل هذا
 الكتاب بالمباحث العلمية المتخصصة، ولا الكلامية الفلسفية، وجعلت
 شيئاً يسيراً منها في ملاحق الكتاب، لمن أراد أن يستزيد.

ولم أعتمد في شرحي للأسماء الحسنى على حديث الترمذي الذي
 سرد الأسماء التسعة والتسعين، فهو حديث ضعيف، كما بيّنت ذلك في
 ملحق الكتاب، وإنما اعتمدتُ على ما يكثر ذكره في القرآن والسنة،
 وقرنتُ بين الأسماء التي قرن بينها القرآن الكريم في كثير من المواضع.

ونكتفي في مقدمة كتابنا بهذا القدر، ونكمل الموضوع كله في
 الكتاب الذي بين أيدينا، وإن كُنَّا لا نريد أن نوسّع القول فيه، على
 ما يريده بعض إخواننا، فإن مجال القول ذو سعة، وحسبنا أن نتوسط
 ونعتدل، ولا نطيل الطول المُمِلَّ، كما لا نقتصر الاقتصار المُخِلَّ.

وندعو الله تبارك وتعالى، أن يهدينا إلى المنهج السليم، والصراط
 المستقيم.

ربيع الأول ١٤٣٨هـ - ديسمبر ٢٠١٦م

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

أسماء الله الحسنى وأثرها في معرفة المسلم بالله تعالى

معرفة الله أساس العقيدة ومن أجلها خلق الله الخلق:

معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه هي أشرف المعارف، وأفضل العلوم، كيف لا، وهو الذي خلق الإنسان فسوّاه فعدله، في أي صورة ما شاء ركبها، ثم تعهده بالكلاءة والرعاية والحفظ، كما قال سيدنا إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨١]. وكيف لا، ومعرفة الله تعالى معرفة بمن منه البداية وإليه المصير.

قال العلامة المناوي: «إن شرف العلوم بشرف المعلوم، فكلما كان المعلوم أشرف كان العلم أشرف، فالعلم المتعلق بالله ومعرفة توحيده وعظمته وجلال صفاته أشرف العلوم؛ لأن معلومه أشرف المعلومات»^(١).

وهذه المعرفة أساس عقائد الإسلام، التي هي أساس البناء الإسلامي، فالإسلام عقيدة وعمل. والعقيدة أصل، والعمل فرع عنها، أو هي بذرة، والعمل ثمرة لها. وبدون العقيدة التي يُعبر عنها القرآن والسنة بـ (الإيمان) لا يُقبل عمل من صاحبه، ولذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ

(١) فيض القدير للمناوي (٣٧٠/٤)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴿[النور: ٣٩]، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿[إبراهيم: ١٨].

الله ﷻ قد خلق الخلق، ليعرفوه بأسمائه الحسنی وصفاته العُلا، متَّصِفًا بكل كمال، منزَّهاً عن كل نقص، فإذا عرفوه وَجَّهًا كما ينبغي أن يُعرف، توجَّهوا إليه بالعبادة التي لا يستحقها أحد غيره، ولا يُتَقَرَّبُ بها إلا إليه، وحمدوه تعالى كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

يقول تعالى في كتابه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿[الطلاق: ١٢].

فهذا التعليل باللام ﴿لِنَعْلَمَ﴾ دليل على أن العلة الغائية من خلق هذا العالم علويه وسفليه، هي معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته، التي ذكر منها في هذا المقام: القدرة الشاملة، والعلم المحيط.

وهذه الآية تُغْنِينَا عن الاستدلال بالحديث القدسي الموضوع الذي يُذكر في بعض كتب التصوف: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق ليعرفوني»^(١). ولا شك أن كلمة (مخفياً) غير سليمة لغوياً^(٢)، تأبأها فصاحة النبي ﷺ.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا ليس من كلام النبي ﷺ، ولا أعرف له إسناداً صحيحاً ولا ضعيفاً. مجموع الفتاوى (١٢٢/١٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) إذ الصواب: مُخْفًى من الفعل أخفى، أما مخفي فهي اسم مفعول من الفعل خفي، وهو فعل لازم لا يصلح أن يصاغ منه اسم مفعول، إلا أن يكون معه ظرف أو مصدر أو جار ومجرور.



وجاء عن بعض علماء السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال: ليعرفون، ففسر العبادة بالمعرفة. ولعل المقصود بذلك: أن العبادة لا تكون إلا بعد المعرفة، فلا يُتَصَوَّر أن يعبد الإنسان من لا يعرفه، فمرتبة المعرفة قبل مرتبة العبادة.

ضلال البشرية عن معرفة الله معرفة حقّة:

والناظر في التاريخ البشري يجد أن مشكلة البشريّة مع عقيدة الألوهية ليست في إنكار وجود ذاتٍ عُلّيا تدبّر هذا الكون، وتسيطر عليه، وتستحق التقديس والتوجه لها بأشكال العبادة والخضوع، فالإلحاد بمعنى إنكار الألوهية قليل، بل نادر، بل شاذٌّ على مدار التاريخ، والملحدون الجاحدون قلة لا يُقام لها وزن، تمثل الشذوذ الذي لا ينفي القاعدة.

يقول الفيلسوف الفرنسي برغسون: «لقد وُجِدَت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد قط جماعات بدون ديانة».

ويقول إرنست رينان في (تاريخ الأديان): «إنه من الممكن أن يضمحل كل شيء نجبُه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدّين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي، الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة في الحياة الأرضية»^(١).

و(التأليه) - أعني: الاعتقاد بقوة غيبية عُلّيا تُرجى وتُخشى، ويُتوجه إليها بالدعاء والابتهال - هو أمر مشترك بين الأمم كافة، متحضرها

(١) الدين للدكتور دراز ص ٨٧، نشر دار القلم، الكويت.

وباديتها، أبيضها وأسودها، وهذا ما أثبتته الكثيرون من المهتمين بدراسة الدين وتاريخه.

قال أحد المؤرخين: لقد وُجدت في التاريخ مدنٌ بلا حصون، ووجدت مدنٌ بلا مدارس، ووجدت مدنٌ بلا قصور، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد!

كانت المعابد موجودة في المدن دائمًا، في كل عصر، وفي كل قطر، ولكن المهم: مَنْ المعبود في تلك المعابد؟!!

مشكلة البشرية تكمن في تصوُّر هذه الذات العليا، فقد وقعت البشرية في أحابيل أناس من الكهنة والسحرة وتجار الدين، اخترعوا للبشر آلهة زينوها لهم، وأحاطوها بتعاويد وشعارات، وزوّقوها وموّهوها، وعبدوها من دون الله تعالى، أو أشركوها مع الله تعالى في العبادة، فالضلالة التي وقع فيها معظم البشر ليست جحود وجود الله، بل الشرك به سبحانه، فقد عبدوا معه أو من دونه: آلهة أخرى، زعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى، أو أنها تشفع لهم عند الله تعالى.

عرفت البشرية أفرادًا من الطغاة الجبارين، ادَّعَوْا لأنفسهم - أو ادعت لهم حاشيتهم وسحرتهم - أن لهم خصائص الإله، من هؤلاء «نمرود» الذي ذكر القرآن موقفه من أبينا إبراهيم عليه السلام، وموقف إبراهيم منه: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ دَاجٍ إِنَّ إِلَهَهُ لَخَالِدٌ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. فهذا الطاغية يزعم أنه يحيي ويميت، كما أن رب إبراهيم - وهو رب العالمين - يحيي ويميت. فيجب أن يدين الناس له، كما يدينون لرب إبراهيم!

وبلغ من جرأته في دعوى الإحياء والإماتة: أن جاء برجلين من عُرْض الطريق، وحكم عليهما بالإعدام بلا جريرة، ونفذ في أحدهما ذلك فوراً، وقال: ها قد أمُتُّه. وعفا عن الآخر، وقال ها قد أحييته! أَلست بهذا أحيي وأميت؟!!

ولم يشأ سيدنا إبراهيم أن يناقش في معنى الإحياء والإماتة، ولكنه انتقل إلى دليل آخر يثبت به قدرة الله تعالى، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ومثله فرعون الذي نادى في قومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال في تبجح: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

توحيد الفلاسفة:

وحتى الذين اعتقدوا وحدانية الله تعالى، لم يحسنوا تصوُّره، وكثيراً ما تصوَّروا الله تعالى على غير حقيقته، حتى كبار الفلاسفة ضلُّوا في معرفة الله تبارك وتعالى، هذه العقول الكبيرة العبقريّة ضلَّت عن معرفة الألوهية، فوجدنا رجلاً مثل (أرسطو طاليس) الفيلسوف اليوناني الكبير يقول: إن الله لا يعرف شيئاً في هذا الكون. وهو لا يسمِّيه: (الله)، يقول: (المحرك الأول) أو (العلة الأولى)، هذا المحرك الأول لا يعرف إلا ذاته، ولا يعقل إلا نفسه، أما هذا الكون فلا يعرف فيه شيئاً، ولا يدبّر فيه أمراً؛ لأنه لا يليق بكماله أن يعرف عالم النقص وما يجري فيه.

بل جاء فيلسوف آخر، وهو أفلوطين، كان في الإسكندرية، وقال: إن الله لا يعرف حتى نفسه، فإذا كان إله أرسطو لا يعرف الكون، فإله أفلوطين لا يعرف شيئاً عن نفسه ولا ذاته.

إن توحيدهم لله ما هو إلا إثبات وجودٍ مُجَرَّد عن الماهية والصفة، بل هو وجود مطلق، لا يعرض لشيء من الماهيات، ولا يقوم به وصف، ولا يتخصّص بنعت، بل صفاته كلها سلوب وإضافات.. حتى انتهى توحيد هؤلاء إلى إنكار ذات الرب الذي دعت إليه أديان السماء، وإنكار خلقه للعالم، وتدبيره له، وعلمه بكل ما يجري فيه.. فهم يقولون بقدوم الأفلاك، وأن الله لا يبعث من في القبور، وأن النبوة مكتسبة، وأنها حرفة من الحرف.. وأن الله لا يعلم شيئاً من الموجودات المعيّنة البتة، وأنه لا يقدر على قلب شيء من أعيان العالم، ولا شقّ الأفلاك ولا خرقها.. وأنه لا حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى، ولا جنة ولا نار.. فهذا هو توحيد هؤلاء!!

فإن كان هذا ما وصل إليه الفلاسفة؛ فإنّ الناس في حاجة إلى معرفة الله ﷻ من وحيه الذي أنزله، من قرآنه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومما أوحى به إلى رسله وأنبيائه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

عقيدة اليهودية والنصرانية في الله:

أرسل الله الرسل والأنبياء تترى ليردوا البشرية إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، بعثهم إلى الناس في مختلف ديارهم، وشتى أماكنهم، كما قال القرآن: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى مخاطباً خاتم رسله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

هاتان الكلمتان: اعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت، هما: أساس تحرير البشر من العبودية لغير الله: العبودية للذات أو للهوى، والعبودية للطبيعة والأشياء، والعبودية للأوهام والأباطيل، والعبودية للبشر من ملوك الدنيا أو رجال الدين.

ولكن البشرية في أغلب تاريخها حادت عن عبادة الله وكذبت الرسل، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وكان من بين هؤلاء الرسل الكبار موسى عليه السلام، أرسله الله إلى بني إسرائيل، وأنزل معه التوراة فيها هدى ونور، لكنهم طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وجعلوا الله إلهاً خاصاً لهم (إله بني إسرائيل)، وادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وشبهوا الله تبارك وتعالى بخلقه، وصوّروه بصور المخلوقين، فهو يمشي معهم، ويتكلم بكلامهم، ويتصف بأوصافهم البشرية، ويدخل معهم في صراع، فيصرعه بعضهم، ولا يُفلت منه حتى يعطيه بعض المزاي لذريته.

وبعد موسى أرسل الله لهم الرسل ليردوهم إلى الدين الحق، لكنهم آذوهم وكذبوهم وقتلوهم، وظلّوا على عنادهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ثم أرسل الله عيسى بن مريم عليه السلام، إلى خراف بني إسرائيل الضالة، ليردهم إلى حظيرة الإيمان، وآتاه من المعجزات ما قصه لنا القرآن على لسانه: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ [آل عمران: ٤٩ - ٥١]. لكنهم لم يؤمنوا، وكذبوه، وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢].

وبعد أن رفع الله عيسى إليه، فُتِنَ النصارى، فشبهوا المخلوق بالخالق، فاتخذوا المسيح عيسى بن مريم إلهاً، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ [المائدة: ١٧]. وجعلوه ابن الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قُلْ لَّهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [التوبة: ٣٠]. وجعله بعضهم ثلث إله، على أساس نظرية التثليث التي أخذوها من الهنود، ومن الفراعنة، وقد أكفر القرآن من قالوا ذلك، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ أَنْصَارٍ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ

إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [المائدة: ٧٢، ٧٣]. وقد وصف الله أهل الكتاب عند بعثته محمد بقوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

تصحيح تصور البشرية عن الله:

ثم أرسل الله خاتم رسله وصفوة خلقه لهذه البشرية التائهة، ليردها إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويوضح لهم سبيل المجرمين من المغضوب عليهم والضالين.

بعث الله محمداً ﷺ ليأخذ بيد البشرية لتؤمن بالله الإيمان الحق، ولتصحح تصورها عن الله تعالى، وتعبد وحده لا شريك له، وتسبحه بكرة وأصيلاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ * لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨، ٩]. أي: تقدسوه وتنزهوه عن كل نقص، وثبتوا وحدانيته وتفردته وصمديته وكمال ملكه. وقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجْهُ اللَّهِ إِنْكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ * وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ * وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٥ - ١١٩].

أرسل الله محمدًا للبشرية لتترك ما كانت تعبد من دون الله، وتفرد به وحده بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥، ٥٦].

جاء محمد بالإيمان الحق بالله، الذي يتضمن الإيمان بوجوده بالضرورة، والإيمان بوحدانيته في ربوبيته وإلهيته وحاكميته، والإيمان بأسمائه الحسنی وصفاته العُلا، التي يتجلّى فيها اتصافه بكل كمال يليق به، وتنزّهه عن كل نقص وعيب. وإن شئت أن تجمل هذه المعاني فقل: أرسل الله محمد ليعرّف الخلق به سبحانه.

معنى معرفة الله:

ما معنى أن نعرف الله؟ هل معناها أن نعرف ذات الله؟ نعرف كُنْهه؟ نعرف حقيقة الذات؟ هيئات!!

إن أعظم أنواع الغيب وأبعدها عن إدراك الإنسان وإحاطته: العلم بحقيقة الذات الإلهية المقدسة، المتعالية على المخلوقات، المتّصفة بكل كمال، المُنزّهة عن كل نقص.

وقد دعا القرآن العقل إلى الاعتراف بقصوره الذاتي عن إدراك حقيقة ذات الله جلّ شأنه، بحسبه أن يدرك وجوده تبارك وتعالى، ويدرك وحدانيته، ويدرك تفردّه بالكمال الأعلى، وروعة تدبيره لهذا الكون، واتّصافه بالعلم والحكمة، والمشیئة والقدرة، والعزّة والرحمة، ونحو ذلك من صفات الكمال اللائقة بذاته سبحانه.

أما ما عدا ذلك، فالعقل الإنساني أعجز من أن يحيط به، ويدرك كُنْهه، ولا عجب في ذلك، فقد ثبت عجز الإنسان عن «معرفة الكُنْه»

لكثير من الأشياء من حوله، فهو يعرف آثارها، ولا يعرف حقيقتها، وأبرز مثال لذلك هو: الحياة نفسها، التي لا يعرفها إلا بآثارها.

بل إن الإنسان قد عجز أن يحيط علمًا بحقيقة نفسه، وكيف يعمل عقله، حتى أَلْفَ أحد كبار علماء الكونيَّات - وهو حائز لجائزة نوبل في العلوم - كتابًا سمَّاه (الإنسان ذلك المجهول)^(١)!

فإذا كان هذا شأن الإنسان مع نفسه، فكيف يطمع أن يكتنه حقيقة الله الخالق المبدع، وليس له مثال من الشاهد يمكن أن نقيسه عليه، ولا يدخل تحت سلطان الخيال، الذي يستطيع أن يركب صورًا يتوهمها، وإن لم يكن لها وجود!

لهذا ذكر القرآن عجز الناس عن الإحاطة به جَلَّ وعلا يقول تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

﴿فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

بهذا أراح القرآن الإنسان المسلم من معاناة البحث عمَّا لا طائل وراءه، والتفكير فيما هو فوق طاقة عقله، وسلَّم بذلك فسَلِمَ، ووجَّه هذه الطاقة فيما هو أقرب إليه، وأجدى بالنفع عليه، ولم يركض خلف السراب يحسبه ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا!

(١) هو الطبيب والكاتب ألكسيس كاريل.

ولقد حاول بعض مفكّري المسلمين ومتكلّمِيهم أن يقتربوا من لجج هذا البحر الخضم، فأوشكوا أن يغرقوا، فابتعدوا عنه، وحذّروا منه.

يقول الإمام فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) صاحب (التفسير الكبير) والكتب الشهيرة في (الأصولين): أصول الدين، وأصول الفقه، بعد أن حصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين:

العلم للرحمن جلّ جلاله وسواه في جهلاته يتغمّم
ما للتراب وللعلوم؟ وإنّما يسعى ليعلم أنه لا يعلم!

وينشد الإمام الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) في أول كتابه (نهاية الأقدام في علم الكلام):

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلّها وسرّحت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعًا كفّ حائر على ذقن، أو قارعًا سنّ نادم

وقال أيضًا يخاطب الذات الإلهية:

سافرتُ فيك العقولُ فما ربحت إلا عَنَّا السفر
فلحّا الله الألى زعموا أنّك المعلوم بالنّظر
كذبوا! إنّ الذي زعموا خارجٌ عن قوة البشر

قال العلامة أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني الشهير بابن الوزير (ت: ٨٤٠هـ) بعد أن أورد هذه الأقوال وغيرها: «ودّع عنك هؤلاء كلهم، فقد كفانا كتاب الله تعالى حيث يقول سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. ولا أوضح من القرآن إذا أجير من التأويل بغير برهان.

وكيف نتأوّل ذلك، وهذا رسول الله ﷺ وهو المُبَيَّن لكتاب الله يقول في هذا المقام: «سبحانك لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(١).

هذا وهو أفصح وأعلم من ترجم عن مَمدوح ربه سبحانه، وهو المؤتّى في ذلك لجوامع الكلم وحُسنائها، وأنفسها عند الله وأسنائها، وهو المخاطب بقول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

فاعترف ﷺ بقصور عباراته عن بلوغ المرام في هذا المقام، فكيف بسائر الأنام؟^(٢).

وجاء في الآثار: تفكّروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله؛ فإنكم لن تقدروا قدره^(٣).

إن التفكير في ذات الله أكبر من طاقة البشر، وإدراك كنه الله فوق طاقة العقل البشري، فالمحدود لا يحيط بغير المحدود، والفاني لا يحيط بالباقي، والحادث لا يحيط بالقديم، والمخلوق لا يحيط بالخالق، والعاجز لا يحيط بالقادر، هذا محال.

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٥٥)، عن عائشة.

(٢) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٤٠، ١٤١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٩)، وقال عقبه: هذا إسناد فيه نظر. عن ابن عمر. ورواه أبو الشيخ في العظمة (٢)، وابن بطة في الإبانة (١٠٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦٦/٦)، عن ابن عباس. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٢٦١/١): أسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح. وحسنه الألباني في الصحيحة بمجموع الطرق (١٧٨٨)، وفي صحيح الجامع الصغير (٢٩٧٥، ٢٩٧٦) ومعنى الحديث صحيح بالإجماع.

فالمراد بالعلم بالله أو المعرفة به سبحانه: العلم والمعرفة المقدوران للبشر، واللائقان بهم، وليس العلم المحيط بالذات الإلهية وصفاتها.

ونحن وإن لم نستطع معرفة الله معرفة تامة، ولا نستطيع أن نعرف ذاته، إلا أننا نستطيع أن نعرف بعض كمالات الله سبحانه التي أخبرنا بها في كتابه وعلى لسان نبيه، فحسبنا أن نعلم أن الله واحد لا شريك له، لا شريك له في ذاته، ولا شريك له في صفاته، ولا شريك له في أفعاله، نعرفه سبحانه بأسمائه وصفاته، كما علّمنا ربنا في كتابه، وعلمنا نبينا ﷺ في سنته.

من هذا الطريق وحده نستطيع أن نعرف كمالات الله، وليس من طريق الفلسفات، أو من طريق الجدل الكلامي، بل من طريق القرآن الذي يقنع العقل، ويحرك القلب، ويملأ الإنسان يقيناً بأن الله ﷻ هو المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٣، ٤].

فكل ما جاء في القرآن من هذه الأسماء والصفات يجب أن نؤمن به، دون تحريف ولا تعطيل، ودون تكييف ولا تمثيل، لا نعطل الأسماء والصفات من مدلولها، ولا نُشَبِّه ولا نُمَثِّل ولا نُكَيِّف؛ لأن الله كما أخبر عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

قال السفاريني في (لوامع الأنوار البهية): «لا خلاف بين العقلاء أن الله ﷻ متّصف بجميع صفات الكمال، منزّه عن جميع صفات النقص،



لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا في الكمال والنقص، فتراهم يثبت أحدهم لله ما يظنه كمالاً، وينفي الآخر عين ما أثبتته هذا لظنه نقصاً، وسبب ذلك أنهم سلطوا الأفكار على ما لا سبيل إليه من طريق الفكر، فإن الله تعالى خلق العقول، وأعطاهها قوة الفكر، وجعل لها حدّاً تقف عنده من حيث ما هي مفكّرة، لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدّها، ووقّت النظر حقّه، أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها، ووراء حدّها الذي حدّه الله لها، ركبت متنّ عمياء، وخبطت خبط عشواء، فلم يثبت لها قدّم، ولم ترتكن على أمرٍ تطمئن إليه، فإن معرفة الله التي وراء طورها، مما لا تستقلّ العقول بإدراكها من طريق الفكر، وترتيب المقدمات، وإنما تدرك ذلك بنور النبوة، وولاية المتابعة، فهو اختصاص إلهي يختص به الأنبياء، وأهل وراثتهم، مع حسن المتابعة، وتصفية القلب من وضر البدع والفكر من نزغات الفلسفة، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»^(١) اهـ.

منهج القرآن في ذكر أسماء الله تعالى وصفاته:

وسنّة القرآن في ذكر أسماء الله تعالى وصفاته: هي النفي المجمل والإثبات المفصّل، على غير ما كان عليه الفلاسفة والمعتزلة وكثير من المتكلمين من أنهم يفضّلون في النفي، ويُجملون في الإثبات، فعندهم صفات الله مجموعة من السلوب؛ ليس بعرض، وليس بجوهر، وليس داخل العالم، وليس خارجاً عن العالم، ليس متصلاً به، وليس منفصلاً عنه، كل صفات الله عندهم ليس... ليس... فما هو إذن؟

(١) لوامع الأنوار البهية (١/١٠٥، ١٠٤)، نشر مؤسسة الخافقين، دمشق، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

الصفات الإيجابية عندهم قليلة، والسلبية كثيرة جداً.

ومنهج القرآن عكس هذا، فالصفات السلبية قليلة مجملة كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وكما في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وأما الصفات الإيجابية فهي كثيرة: فهو سبحانه مَالِكُ الْمُلْكِ، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وهو ذو الجلال والإكرام كما قال: ﴿نَبِّرْكَ أَتَمُّ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]. وهو رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤]. وهو رب الناس، ملك الناس، إله الناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٣]. فالتفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي، أو الإجمال في الصفات السلبية، والتفصيل في الصفات الإيجابية، هو منهج القرآن. وكل ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم مفصلاً يجب الإيمان به على التفصيل المذكور في القرآن من غير تجاوز لما ذكر فيه.

ولا شك أن التوسُّع في النفي حصل عند المتكلمين للرد على المجسِّمة الذين يقولون: هو جسم، ويبحثون: هل له جوف أو لا جوف له؟! ويقولون: استقرَّ على العرش ولو شاء لاستقرَّ على ظهر بعوضة.. ونحو ذلك!

والقرآن يعبر عن اتصافه تعالى بكل كمال بقوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ كما في أوائل سورة طه، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]. وكما في أواخر سورة الحشر، بعد أن ذكر جملة من أسمائه سبحانه ثم قال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤]، وكما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: ١٨٠].

وقد لخص الإمام البيهقي كيف أن الأسماء الحسنى تصحح للبشر تصور الألوهية الحقّة، حيث قال: «ذكر الحاكم أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي فيما يجب اعتقاده والإقرار به في الباري ﷻ عدة أشياء: أحدها: إثبات الباري ﷻ، لتقع به مفارقة التعطيل.

والثاني: إثبات وحدانيته، لتقع به البراءة من الشرك. والثالث: إثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض، ليقع به البراءة من التشبيه. والرابع: إثبات أن وجود كل ما سواه كان من قبّل إبداعه واختراعه إياه، لتقع به البراءة من قول من يقول بالعلّة والمعلول.

والخامس: إثبات أنه مدبّر ما أبدع ومصرّفه على ما يشاء، لتقع به البراءة من قول القائلين بالطبائع، أو بتدبير الكواكب، أو تدبير الملائكة. قال: ثم إن أسماء الله - تعالى جدّه - التي ورد بها الكتاب والسنة، وأجمع العلماء على تسميته بها، منقسمة بين العقائد الخمس، فيلحق بكل واحدة منهن بعضها، وقد يكون منها ما يلحق بمعنيين، ويدخل في بابين أو أكثر»^(١).

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٣٥/١)، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، نشر مكتبة السوادي،

جدة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

أسماء الله في كتاب الله وعلى لسان رسوله:

لا يوجد كتابٌ في الدنيا فيه ذكرُ الله وأسمائه وصفاته وأفعاله مثل القرآن، فمن أول آية فيه: ﴿اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفتح: ١، ٢]، إلى آخر سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]، تجد ذكر أسماء الله وصفاته.

ولا يعرف فضل القرآن إلا من قرأ الكتب الأخرى، فما يسمّى بالتوراة (أسفار العهد القديم) لا تكاد تُحسُّ بوجود الله تعالى فيها، إلا بين الفينة والفينة، فهي مشحونة بالحديث عن بني إسرائيل، وعن ملك بني إسرائيل، ومجدد بني إسرائيل، وأخبار بني إسرائيل، وقبائل بني إسرائيل، وتعداد بني إسرائيل، أما الله وصفاته وأسمائه وأفعاله فشيء قليل جدًا.

ولا يوجد بشر عرف الله وذكره كمحمدٍ نبي الإسلام ﷺ، يقول شيخنا العلامة محمد الغزالي رحمه الله: «رجعتُ البصر في كتب مقدّسة لأديان أخرى، فوجدتها كلها دون ما حوى القرآن الكريم من إعظام لله، وتفصيل لأمجاده ومحامده؛ لقد ذكر القرآن أسماء الله الحسنى مئات المرات في تضاعيف قصصه وتشريعه ووصفه لمشاهد الكون، ومشاهد البعث، ورفض أن يكون الشئ على الله نظريًا، لا يتحرك به فؤاد، ولا يرقى به سلوك، ثم ترجم النبي العابد محمد ﷺ هذا المنهج في نواحي حياته كلها، فصار إنسانًا ربانيًا، ترنو بصيرته إلى الله، ويباشر كل شيء في الدنيا باسمه، كأنه منه على مرأى ومسمع»^(١).

(١) فن الذكر والدعاء عند آخر الأنبياء للغزالي ص ٨، نشر دار نهضة مصر، ط ١.

حديث الأسماء التسعة والتسعين ومعنى إحصائها:

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة». وزاد في رواية أخرى: «وهو وتر يحب الوتر»^(١).

وانفرد البخاري برواية: «لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة»^(٢).

قال ابن الملقن في (التوضيح): «معنى: «أَحْصَاهَا»: حفظها.. وقيل: عدّها، فلا يقتصر على بعضها. وقيل: أطاقها بحسن المراعاة لها، وحفظ حدودها في معاملة الرب تعالى بها. وقيل معناه: عرفها وعقل معانيها وآمن بها. وقال الزجاج: «من أحصاها». يريد بها توحيد الله تعالى وإعظامه. وقال ابن الجوزي: لعل المراد من قرأ القرآن حتى يختمه، فمن حفظه - إذن - دخل الجنة؛ لأن جميع الأسماء فيه»^(٣).

وقال في موضع آخر: «واختلفوا في معنى الإحصاء، فذكر البخاري وغيره أنه حفظها، وهو الصحيح عملاً بالرواية الأخرى: «من حفظها». وقيل: معناه: عدّها في الدعاء بها. وقيل: أطاقها. أي: أحسن المراعاة لها، والمحافظة على ما تقتضيه، وصدّق بمعانيها. وقيل: معناه: العمل بها، والطاعة بمعنى كل اسم منها. والإيمان بها لا يقتضي عملاً.

وأغرب بعضهم فقال: أراد حفظ القرآن أجمع وتلاوته كله؛ لأنه مستوفٍ لها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشروط (٢٧٣٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٧).

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٤١٠).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٦٢/١٧)، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي،

نشر دار النوادر، دمشق، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

وقال الخطابي: يكون الإحصاء بمعنى العقل والمعرفة، فيكون معناها: من عرفها وعقل معانيها وآمن بها دخل الجنة. مأخوذ من الحَصَاة: وهو العقل. قال طرفة بن العبد:

وإن لسان المرء ما لم يكن له حَصَاةً على عوراته لدليل^(١)

والعرب تقول: فلان ذو حَصَاة: أي ذو عقل^(٢).

وقال: «الإحصاء في اللغة يطلق بمعنى: الإحاطة بعلم عدد الشيء وقدره. ومنه: ﴿وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]. هذا قول الخليل.

وبمعنى: الإطاقة له، لقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]. أي: لن تطيقوه. وقال ﷺ: «استقيموا ولن تُحصوا». أي: لن تُطيقوا العمل بكل ما لله عليكم. والمعنى في ذلك كله متقارب.

وقد يجوز أن يكون المعنى: من أحصاها عدداً وحفظاً وعلماً بما يمكن علمه من معانيها المستفادة منها علم الصفات التي تفيدها؛ لأن تحت وصفنا له بعالم؛ إثبات علم له تعالى لم يزل موصوفاً به، لا كالعلوم، وتحت وصفنا له بقادر، إثبات قدرة لم يزل موصوفاً بها لا كقدرة المخلوق، وكذلك القول في الحياة وسائر صفاته.

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد العمل بالأسماء والتعبد لمن سُمِّي بها. فإن قلت: كيف وجه إحصائها عملاً؟ قيل له: وجه ذلك أن ما كان من أسماء الله تعالى كالرحيم، والكريم، والعفو، والغفور، والشكور،

(١) انظر: لباب الآداب للثعالبي ص ١١٥، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٨٧/٢٩، ٣٨٨).

والتواب، وشبهها، فإن الله يحب أن يرى على عبده حُلاها، ويرضى له معناها، والافتداء به فيها، فهذا العمل بهذا النوع من الأسماء.

وما كان منها لا يليق بالعبد معناها: كالله، والأحد، والقدير، والجبار، والمتكبر، والعظيم، والعزیز، والقوي، وشبهها، فإنه يجب على العبد الإقرار بها والتدُّلُّ والإشفاق منها.

وما كان بمعنى الوعيد كشديد العقاب، وعزیز ذي انتقام، وسريع الحساب، وشبهها، فإنه يجب على العبد الوقوف عند أمره، واجتناب نهيه، واستشعار خشيته وَعَلَّكَ من أجلها، وخوف وعيده وشديد عقابه. هذا وجه إحصائها عملاً، فهذا يدخل الجنة إن شاء الله تعالى.

وقد نُقل عن الأصيلي أنه أشار إلى هذا المعنى فقال: الإحصاء لأسمائه تعالى هو العمل بها لا عدها وحفظها. فقال: إنه قد يعدها الكافر والمنافق، وذلك غير نافع له^(١).

مراتب إحصاء أسماء الله الحسنى:

ومراتب إحصاء أسماء الله تعالى متعدّدة، تشمل عدَّ الألفاظ وحفظها، ثم تفهّم معانيها ومدلولاتها، والثناء على الله بموجبها، ودعائه سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ بمقتضاها، دعاء طلب ومسألة، ودعاء ثناء وإجلال وتعظيم.

قال الإمام ابن القيم: «في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة، ومدار النجاة والفلاح:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٣١/٢٣٠، ٢٣١).

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهو مرتبتان إحداهما: دعاء ثناء وعبادة. والثاني: دعاء طلب ومسألة. فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات، اغفر لي وارحمني. بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل - ولا سيما خاتمهم وإمامهم - وجدها مطابقة لهذا، وهذه العبارة أولى من عبارة من قال: يتخلّق بأسماء الله؛ فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة، وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان، وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال.

فمراتبها أربعة: أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال: التخلّق، وأحسن منها عبارة من قال: التعبد. وأحسن من الجميع: الدعاء، وهي لفظ القرآن^(١).

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (١/١٦٤)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

غير مرخصة للطباعة

كيف نتعامل مع أسماء الله الحسنى؟

علينا أن نتعامل مع أسماء الله الحسنى معاملة ينير سناها في قلوبنا، ويشع في تعاملنا وسلوكنا، وألا نكتفي بترديد ألفاظها، وحفظ حروفها، ومعرفة معانيها اللغوية، دونما بحث في حقائقها، وتحقق بمعانيها، بما يبعث على أن يمتلئ القلب بتعظيم الله وحبّه، فيتدرّج العبد في مدارج السالكين، ويترقى في مراقبي الأصفياء المقربين، وأنقل هنا عن حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، فهو فارس حلبة هذا الأمر، وابن بجدته.

معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة والمشاهدة:

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في «المقصد الأسنى»: «اعلم أن مَنْ لم يكن له حظٌّ من معاني أسماء الله عَزَّوَجَلَّ إلا بأن يسمع لفظه، ويفهم في اللغة معنى تفسيره ووضعه، ويعتقد بالقلب وجود معناه في الله تعالى، فهو مبخوس الحظ، نازل الدرجة، ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله، فإن سماع اللفظ لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع التي بها تدرك الأصوات، وهذه رتبة تشارك البهيمة فيها.

وأما فهم وضعه في اللغة، فلا يستدعي إلا معرفة العربية، وهذه رتبة يشارك فيها الأديب اللغوي، بل الغبي اللغوي البدوي.

وأما اعتقاد ثبوت معناه لله ﷻ من غير كشف^(١)، فلا يستدعي إلا فهم معاني الألفاظ والتصديق بها، وهذه رتبة يشارك فيها العامي، بل الصبي، فإنه بعد فهم الكلام إذا ألقى إليه هذه المعاني تلقاها وتلقنّها، واعتقدّها بقلبه، وصمّم عليها. وهذه درجات أكثر العلماء فضلاً عن غيرهم، ولا يُنكر فضل هؤلاء بالإضافة إلى من لم يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث، ولكنه نقص ظاهر بالإضافة إلى ذروة الكمال، فإن حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، بل حظوظ المقرّبين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة:

الحظُّ الأول: معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة والمشاهدة، حتى يتّضح لهم حقائقها بالبرهان، الذي لا يجوز فيه الخطأ، وينكشف لهم اتّصاف الله ﷻ بها انكشافاً يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنه، لا بإحساس ظاهر، وكم بين هذا وبين الاعتقاد المأخوذ من الآباء والمعلّمين تقليدًا والتصميم عليه وإن كان مقرونًا بأدلة جدلية كلامية.

الحظ الثاني من حظوظهم: استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام، يشوّقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات، ليقرّبوا بها من الحق قربًا بالصفة لا بالمكان، فيأخذوا من الاتصاف بها شَبَهًا بالملائكة المقرّبين عند الله ﷻ، ولن يُتصوّر أن يمتلئ القلب باستعظام صفة واستشرافها إلا ويتبعه شوق إلى تلك الصفة، وعشق لذلك الكمال والجلال، وحرص على التحلّي بذلك

(١) الكشف: هو ضرب من المعرفة الروحية المباشرة، وهي المعرفة عن طريق (الحدس) أو (البصيرة). ويعرفه أرباب التصوف بأنه: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني العلية والأمور الخفية وجودًا وشهودًا. انظر: التعريفات للشريف الجرجاني ص ١٨٤، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



الوصف إن كان ذلك ممكنًا للمستعظم بكماله، فإن لم يكن بكماله فينبعث الشوق إلى القدر الممكن منه لا محالة.

ولا يخلو عن هذا الشوق أحد إلا لأحد أمرين: إما لضعف المعرفة واليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال، وإما لكون القلب ممتلئًا بشوق آخر مستغرقًا به، فالتلميذ إذا شاهد كمال أستاذه في العلم انبعث شوقه إلى التشبُّه والاقتداء به، إلا إذا كان مملوءًا بالجُوع مثلاً، فإن استغرق باطنه بشوق القوت ربما يمنع انبعاث شوق العلم، ولهذا ينبغي أن يكون الناظر في صفات الله تعالى خاليًا بقلبه عن إرادة ما سوى الله وَعَزَّ وَجَلَّ، فإن المعرفة بذُر الشوق، ولكن مهما صادف قلبًا خاليًا عن حسيكة [هي النبات ذو الشوك] الشهوات، فإن لم يكن خاليًا لم يكن البذر مُنْجَحًا.

الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات، والتخلُّق بها، والتحلِّي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانيًا - أي: قريبًا من الرب تعالى - وبه يصير رفيقًا للملأ الأعلى من الملائكة، فإنهم على بساط القرب، فمن ضرب إلى شَبَه من صفاتهم نال شيئًا من قربهم، بقدر ما نال من أوصافهم المقرَّبة لهم إلى الحق تعالى»^(١).

التعبد بجميع الأسماء:

ومما ينبغي على العبد في تعامله مع أسماء الله تعالى الحسنَى أن يتعبد بها جميعًا، فلا يحجبه اسم عن اسم، ولا صفة على صفة، بل يعبد الله بكل أسمائه وصفاته، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأكمل الناس عبودية:

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني الأسماء الحسنى للغزالي ص ٤٥، ٤٦، تحقيق بسام عبد الوهاب

الجابي، نشر الجفان والجابي، قبرص، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللفظ والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء.. ونحو ذلك، وهذه طريقة الكَمَل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ^(١).

* * *

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٤٢٠/١)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

أثر الإيمان بأسماء الله وصفاته

إحصاء أسماء الله أصل لكل العلوم:

إن العلم بأسماء الله وَعَبَّكُ، ومعرفة معانيها ودلالاتها، والتفقه فيها، والتعبد إلى الله بها، أصل للعلم بكل المعلومات، فكل ما سوى الله إما أن يكون خلقه، وإما أن يكون أمره، فمن نظر في الكون الذي هو خلق الله تعالى، وعرف شؤونه وأحواله، تبين له أنه متعلق بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ومرتبطة بها أتم ارتباط، وظهر له أن الوجود كله آيات بينات، وشواهد واضحات على أسماء الله تعالى وصفاته، فما الكون كله بكل ما فيه إلا مظهر تجلٍّ لهذه الأسماء والصفات، ومن نظر في أمره الذي هو الشرائع التي شرعها الله لخلقها بعين التدبر والتأمل، وجدها أيضًا تدل على أسمائه تعالى وصفاته من العلم والحكمة والرحمة والرفقة والعدل.. إلخ.

يقول الإمام ابن القيم: «إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواء، إما أن تكون خلقًا له تعالى، أو أمرًا، إما علم بما كونه، أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح

العباد، والرفقة والرحمة بهم، والإحسان إليهم، بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة وحكمة ولطف وإحسان، إذ مصدره أسماؤه الحسنی، وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنی، فلا تفاوت في خلقه، ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلاً ولا سدى، ولا عبثاً، وكما أن كل موجود سواء فبإيجاده، فوجود من سواء تابع لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسمائه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللاً ولا تفاوتاً؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به أو لعدم حكمته وأما الرب تعالى فهو العليم الحكيم فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض»^(١).

معرفة الله تأمر بكل إحسان:

إن معرفة الله تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته تورث المؤمن بها حب كل فضيلة، وتزجره عن مقارفة كل رذيلة، فهي أصل كل خير، ومصدر كل بر، فمن عرف الله بإحسانه وعطائه، وعرف الله بعفوه وغفرانه، وعرف الله بعدله وحكمته، وعرف الله بقوته وعزته؛ ازداد إحساناً فيما بينه وبين ربه، وبينه وبين خلقه، وازداد أدباً وخشية في السر والعلانية، فيكون في خلوته وجلوته محبباً هائباً، راغباً راهباً.

(١) بدائع الفوائد (١/١٦٣).

قال الإمام العز بن عبد السلام: «أفضل أوصاف الإنسان العرفان، وأفضل العرفان: معرفة الديان، لأمرها بكل إحسان، وزجرها عن كل غدران، ويلي ذلك معرفة أحكام القرآن، وما وعد به أهل الطاعة والإيمان، وأهل الكفر والعصيان، فثمرة معرفة الرحمن: أحوال بهية، وأنوال سنّية، وأفعال رضية، ودرجات أخروية»^(١).

ثم قال: «.. الجهل بالله مثمر لأضداد ثمار العرفان، فإنه مفضٍ إلى الخلود في النيران وسخط الرحمن، والجهل ببعض الصفات مفضٍ إلى أضداد تلك الصفات من خير الدنيا والآخرة»^(٢).

وقال: «اعلم أن معرفة الذات والصفات ثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات تثمر حالاً عليّة، وأقوالاً سنّية، وأفعالاً رضية، ومراتب دنيوية، ودرجات أخروية، فمثل معرفة الذات والصفات كشجرة طيبة أصلها - وهو معرفة الذات - ثابت بالحجة والبرهان، وفرعها - وهو معرفة الصفات - في السماء مجداً وشرفاً ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ من الأحوال والأقوال والأعمال ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]. وهو خالقها، إذ لا يحصل شيء من ثمارها إلا بإذنه وتوفيقه، منبت هذه الشجرة القلب، الذي إن صلح بالمعرفة والأحوال صلح الجسد كله؛ أما في الحال فبالأقوال والأعمال، وأما في المال فبنعيم الجنان ورضوان ذي الجلال.

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال للعز بن عبد السلام ص ١٦، تحقيق أحمد فريد المزيدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) المرجع السابق ص ١٧.

وإذا فسد بالغِي والضلال فسد الجسم كله، أما في العاجل فبالمعاصي والإهمال، وأما في الآجل فبعذاب النار وغضب الجبار. من فقد فرعاً من فروع هذه الشجرة فقد ثمراته في الحال وفي المآل. فطوبى لمن غرس هذه الشجرة بالنظر، وتعهدها بالتقوى، وحرسها بالاستقامة، وصانها من رياح الهوى، وخاف عليها من صواعق الشك، وبوائق الشرك، وجوائح سوء الخاتمة، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

ولهذه الشجرة ثلاثة فروع، لكل فرع منها شعب وأغصان:

الفرع الأول: معرفة الصفات السالبة لكل عيب ونقصان كسلب السنّة والنوم والظلم.

الفرع الثاني: معرفة صفات الذات وشُعَبها سبعة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

الفرع الثالث: معرفة الصفات الفعلية، وشُعَبها كثيرة كالضر والنفع، والغفر والستر، والإنعام والإفضال، والإعزاز والإذلال.

وتثمر كل شعبة من هذه الشعب ما يناسبها من الأحوال، وما يلائمها من الأقوال والأعمال، فعارف الجمال محبّ، وعارف الجلال هائب، وعارف سعة الرحمة راغب، وعارف شدة النقمة راهب، وعارف التوحيد بالأفعال مفوّض، وعارف العظمة فانٍ عن الأكوان.

فالمعرفة أصل لكل خير، ومصدر لكل بر، ومصرف لكل شرّ، مع شرفها بنفسها ومتعلّقها وثمرها وأجرها، وأفضل الأحوال ما نشأ

عن أشرف المعارف، وأشرف المعارف ما تعلق بالله وحده بحيث لا يشاركه غيره»^(١).

الأدب مع الله:

ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: أنها تورث العارف بها أدباً مع خالقه ومولاه، وكلما ازدادت معرفة المسلم بربه وشرعه ودينه ازداد أدباً مع الله ومع الخلق.

يقول ابن القيم في (المدارج): «لا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لئنة متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً وحالاً. والله المستعان»^(٢).

محبة الله والرضا بقضائه:

ومن ثمرات معرفة أسماء الله وصفاته: امتلاء القلب محبة لله ورضاً بقضائه وتسليماً بحكمه.

قال السفاريني: «من ذاق طعم المعرفة، وجد فيه طعم المحبة، فوقع الرضا عنده ضرورة»^(٣).

الطمأنينة:

ومن ذلك: طمأنينة تملأ النفس، وسكينة تغمر القلب، وراحة تغمر البال، فينشرح الصدر، ويسكن القلب، ويفرح الفؤاد.

(١) شجرة المعارف والأحوال ص ٢٠، ٢١.

(٢) مدارج السالكين (٣٦٥/٢).

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (٥٦٦/٢)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط ٢،

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

قال ابن القيم في (الروح): «وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله، فتلقاه بالقبول والتسليم والإذعان، وانشرح الصدر له وفرح القلب به، فإنه معرّف من معرفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله، فلا يزال القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته، وتوحيده، وعلوه على عرشه، وتكلمه بالوحي؛ بشاشة قلبه، فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش، فيطمئن إليه، ويسكن إليه، ويفرح به، ويلين له قلبه ومفاصله، حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل، بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه، فلو خالفه في ذلك من بين شرق الأرض وغربها لم يلتفت إلى خلافهم.. وقد كان الصديق الأكبر مطمئناً بالإيمان وحده وجميع أهل الأرض يخالفه، وما نقص ذلك من طمأنينته شيئاً، فهذا أول درجات الطمأنينة، ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه، وهذا أمر لا نهاية له»^(١).

كمال الإيمان وزيادته:

ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: أن يرتقي العبد بها إلى أعلى درجات المؤمنين، وأكمل منازل الصالحين، وأرفع مقامات المحبين، وكلما ازداد العبد بها معرفة ازداد رُقياً، وازداد خشية لله، وحياءً منه، وتعظيماً له.

(١) الروح لابن القيم ص ٢٢١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها، كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء، بل آمن بها إيماناً مجملاً، أو عرف بعضها، وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته، كان إيمانه به أكمل»^(١).

وقال ابن القيم: «كلما ازدادت معرفة العبد بربه، ازدادت هيئته له وخشيته إيَّاه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. أي: العلماء به. وقال النبي ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية»^(٢).

ومن عرف الله صفاته العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله، واستوحش من الناس، وأورثته المعرفة الحياء من الله، والتعظيم له، والإجلال، والمراقبة، والمحبة، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والرضا به، والتسليم لأمره»^(٣).

التوسط والاعتدال بين حالي الخوف والرجاء:

ومن آثار الإيمان بالأسماء الحسنى والصفات العلى أنه يحدث في نفس المسلم توازناً واعتدالاً بين الخوف والرجاء، فصفات الله منها صفات جلال، ومنها صفات جمال، فهو سبحانه موصوف بالجبروت والقهر والانتقام، وموصوف كذلك بالرحمانية والرحمة والرأفة والإحسان

(١) مجموع الفتاوى (٢٣٣/٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠١)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٦)، عن عائشة، ولفظ البخاري: «فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية».

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم ص ٤٠٦، نشر دار الكتب العلمية، بيروت،

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

والإنعام، وأسلوب القرآن أنه يجمع في السياق الواحد بين التخويف والترجية، ويجمع بين صفات الجلال وصفات الجمال، يقول تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، ﴿نَبِيُّ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]. وهكذا نجد التوازن بين أسماء القوة وأسماء الرحمة، بين أسماء الجلال وأسماء الجمال، كما يسميها علماء المسلمين.

يقول الإمام ابن القيم: «القرآن كلام الله، وقد تجلّى الله فيه لعباده وصفاته، فتارة يتجلّى في جلاباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق وتنكسر النفوس، وتخضع الأصوات، ويزدوب الكبر كما يذوب الملح في الماء، وتارة يتجلّى في صفات الجمال والكمال، وهو كمال الأسماء، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، الدال على كمال الذات، فيستنفذ حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، بحب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله، فيصبح فؤاد عبده فارغاً إلا من محبته»^(١).

حسن معرفة أسماء الله وصفاته تورث في القلب التوكل على الله:

فمن عرف ربه رحماناً رحيمًا، عزيزاً حكيماً، سميعاً عليماً، حيّاً قيومًا، غنيّاً حميدًا، خبيرًا بصيرًا، قهارًا قديرًا، رزاقًا ذا قوة متينًا، لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء، فعلاً لما يريد، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجد نفسه مدفوعاً إلى الاستناد إليه، والتوكل عليه.

(١) الفوائد ص ٦٩، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

ولذا نقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى: أن التوكل لا يصح ولا يتصور من فيلسوف، ولا من القدريّة النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء.

فأيُّ توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم سفليه وعلويه؟ ولا هو فاعل باختياره، ولا له إرادة ومشية، ولا يقوم به صفة. فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف كان توكله أصح وأقوى^(١).

ومن ثمَّ كان التوكل من خصائص دين التوحيد، دين المسلمين، الذي تميز بإثبات صفات الكمال المطلق لله تعالى، من العلم والحكمة، والمشيئة والقدرة، والغنى والرحمة، والحياة والقيومية، وسائر الكمالات الإلهية. بخلاف من يرون أن الله خلق العالم أزلًا ثم تركه يسير بالنواميس، ولم يعد يدبّر فيه أمرًا!

فعندنا - نحن المسلمين - أن المُلْك كله بيد الله، وتحت سلطانه، يسط ويقبض، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويحيي ويميت، ويُعزّز ويُذلّ، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه.

فكلما قويّت معرفة المرء بربه، وقدره حقّ قدره، وتجلّت له معاني أسمائه وصفاته، قويّ اعتصامه به، واعتماده عليه، وكان له نعم الوكيل، ونعم المولى، ونعم النصير.

ولهذا نجد القرآن يربط التوكل بعددٍ من أسماء الله الحسنى، لما لها من إحياء ودلالة وتأثير.

(١) مدارج السالكين (١١٨/٢).

أكثرها وأعظمها: لفظ الجلالة، وهو الاسم الجامع لكل الكمالات: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

ومنها: اسم «الرحمن» منفردًا: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩].

واسم (الرحيم) مقرونًا بغيره: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧].
والرحمن الرحيم لا تضيق رحمته الواسعة بمن لجأ إليه واعتمد عليه.

ومنها: اسم «العزیز» مقرونًا بغيره كالرحيم والحكيم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]. عزيز: أي لا يذل من لا ذ بجنابه، وأوى إلى حماه، حكيم: لا يضيع من وثق بحسن تدبيره لمن تولاه.

ومنها: اسم «الرب» كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ومنها: اسم «الحي» كما في قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فالذي يعتمد على الخلق يعتمد على حي يعتره الموت. أما من يعتمد على الله، فهو يعتمد على حي لا يموت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

ومنها: اسما «السميع العليم»، كما في قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرْبُّكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]؛ فهو يسمع دعاء من دعاه، جهرًا أو سرًا، ويعلم ما تكنه الصدور: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].



ولذا ذكر ابن القيم: أن التوكُّل من أعم المقامات تعلُّقًا بالأسماء الحسنى: فإن له تعلُّقًا خاصًّا بعامة أسماء الأفعال، وأسماء الصفات؛ فله تعلُّق باسم «الغفار والتواب والعفو والرؤوف والرحيم»، وتعلق باسم «الفتاح والوهاب والرزاق والمعطي والمحسن»، وتعلق باسم «المعز المذل، الخافض الرافع المانع» من جهة توكله عليه في إذلال أعداء دينه، وخفضهم ومنعهم أسباب النصر، وتعلُّق بأسماء «القدرة والإرادة».

وله تعلُّق عام بجميع الأسماء الحسنى. ولهذا فسر التوكل من فسرهِ من الأئمة بأنه: «المعرفة بالله»^(١).

* * *



(١) مدارج السالكين (٢/١٢٤، ١٢٥).

الله جلّ جلاله

أعظم حقائق الوجود وأجلاها هي: وجود الله تعالى. هذه هي الحقيقة الأولى، والحقيقة الكبرى، والحقيقة العليا، والحقيقة الفاعلة، التي منها وعنهما نشأت كل حقيقة أخرى نعلمها.

فنحن البشر الذين نعيش في هذه الأرض، وبدأنا نحاول أن نعرف ما حولنا، وما فوقنا، وما يحيط بنا من سماوات وكواكب لها صلة بأرضنا، مثل الشمس والقمر والمريخ.. وغيرها. هؤلاء البشر بملياراتهم الثمانية - وما يزيد عليها - إنما هم بعض فعل الله تعالى وخلقه، هؤلاء البشر الذين تعلّموا وتفوّقوا، إنما يعيشون في جزء صغير جدًا من الكون، أشبه بغرفة في مدينة كبيرة.

ولكن لهذا الكون الكبير الذي نعيش فيه - أو في جزء صغير منه - وتطلع علينا شمسُه في النهار، ويطلع لنا قمره في الليل، وتبدو نجومه التي تظهر لنا صغارًا، وعلماء الفلك الذين يرقبونها بأدواتهم المقرّبة والمكبّرة يرونها كبيرة جدًا، ويقول الشاعر العربي عنها:

إن الكواكب في علوّ محلّها لترى صغارًا وهي غيرُ صغار^(١)

(١) من شعر أبي الحسن التهامي. انظر: الحماسة المغربية (٨٦٩/٢)، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

لهذا الكون ربُّ خلقه كلّه، بكلِّ من فيه، وكلِّ ما فيه، ودبَّر أمره، وأحسن فيه كلَّ شيء خلقه، وأتقن كلَّ شيء صنعه، هذا الرب الذي خلق وأنشأ، وصوّر وصنع وأحسن، هو (الله)، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

عرفنا أن لهذا الكون ربًّا يدبره هو الله:

إن لهذا الكون بكلِّ من يعيش فيه مِنَّا بني الإنسان، وكلِّ ما يعيش فيه من غير بني الإنسان، مما يعقل، وما لا يعقل، من الجماد والنبات والحيوان، والطير والحشرات والزواحف، والأسماك والحيتان، وكلِّ ما في البحر، وما في البر، وما فوقنا، وما تحتنا، ما يرى وما لا يرى: خالقًا بارئًا مصورًا، أنشأ هذه الكائنات من عدم، وأبرزها في الوجود.

وقد قال علماء الكون: إننا لا نرى بأعيننا ومكبراتنا إلا ثلاثة في المائة من محتويات هذا الكون المادية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا بُصِّرُونَ وَمَا لَا بُصِّرُونَ﴾ إِنَّهُ، لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿[الحاقة: ٣٨ - ٤٠]. الأمر لا يحتاج إلى قَسَم، فهو في غاية الوضوح لمن لديه العقل السليم والفطرة السوية، وهذا أوسع ما جاء من القَسَم في القرآن؛ ما نبصره وما لا نبصره.

من يتأمل في هذا الكون الكبير - الذي لا نعرف إلا القليل جدًّا منه - سيجده يدلُّنا من خلال النظر في آفاقه، والتدبُّر في آياته، والاستماع إلى بيِّناته، يجد هذه كلها وغيرها تقول لنا: إن من وراء هذا الكون، خالقًا لكلِّ ما فيه، وكلِّ مَنْ فيه، يدبِّر أمره، ويرفع بناءه، إلهاً لهذا الإنسان، يُحييه ويهديه، وإن لكلِّ حيٍّ وجمادٍ في هذا الكون ربًّا خلقه ودبَّره، وربَّاه ويسَّره، خلق فسوَّى، وقدَّر فهدى، وأعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى.

عرفنا الله بالعقل:

عرفنا بالعقول التي ركبها الله فينا، وعن طريق المعارف البديهية المغروسة في كيانتنا، لم يُلقها إلينا مُلقٍ، ولم يُلقَّنها لنا معلِّم، عرفنا: أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل مربوب لا بد له من رب، وكل حركة لا بد لها من محرِّك، وكل نظام لا بد له من منظم. عرف الناس ذلك ببداهة عقولهم حين لم تكن لديهم مدارس ولا جامعات، وعرفوا ذلك بعد أن اتسعت دائرة المعارف والمعلومات، وكثُر المتعلِّمون والمعلِّمون، ووصلوا إلى مستويات في معرفة الحقائق - وخصوصًا بالنسبة للكون والإنسان والحياة والأحياء - لم يحلم بعُشر معشارها ولا بواحد في الألف منها الأقدمون، وما زال البشر يتقدَّمون في معارفهم يومًا بعد يوم. وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وخاطب الناس فقال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

سُئِلَ الأعرابيُّ في البادية: بم عرفت الله؟ أو: ما دليلك على وجود الله؟ فقال: البعرة تدلُّ على البعير، وخطُّ السير يدل على المسير، فكيف بأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، وسماء ذات أبراج، وكواكب نورها وهَّاج؟! أفلا يدل ذلك على العليِّ القدير؟!

وعرفنا الله بالفضرة:

وهذا هو الذي يعبر عنه العلميون والفلاسفة بقانون السببية والعِلِّيَّة، وكل مخلوق كِبُر أو صَغُر له عِلَّة، هي التي أدَّت إلى خلقه، فما العلة الفاعلة لهذا الكون؟ لا شيء إلا الله تعالى، ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

هذا الخالق دلَّت عليه الفِطْر السليمة، التي لم تفسد بفساد الناس الذين يلوِّثون فطرهم بأيديهم، مع أن الإنسان لو ولد في العراء وحده، وربما لم يجد من يُعَلِّمه بوجود الخالق أو الإله العظيم، سينتهي بفطرته إلى ما انتهى إليه إنسان ابن الطفيل في رسالته (حي بن يقظان)؛ إلى وجود الله. ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقد أخبر نبيُّ الإسلام محمد ﷺ أن هذه الدلالة على وجود الله، يولد الناس مفطورين عليها، لو لم تتدخل العوامل المفسدة لفطرتهم؛ قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه». ثم تلا قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]^(١).

وعرفنا الله بالكون الدال على المكون:

هذا الخالق العظيم، له صفات اتَّصف بها، دلَّ عليها عمله وتنظيمه، ودقته وإحكامه، وروعته وإتقانه، في إدارة هذا الكون الواسع، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧ - ٤٩].

وبهذه الآية القرآنية الواضحة عرفنا أن كل شيء خلقه الله تعالى يقوم على قاعدة الزوجية، الذكورة والأنوثة في الإنسان والحيوان وغيرهما، والسالب والموجب في الفلزات وغيرها، والإلكترون والبروتون في عالم الذرة، كل شيء يقوم على الزوجية، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجناز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.

الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ [يس: ٣٦].
أما الذي يقوم على الفردية المطلقة فهو الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

بمنطق العقل ناقشنا الملاحدة فأفحمناهم:

وكما دلّت الفطرة السوية على وجود هذا الخالق، دلّت عليه كذلك: العقول الرشيدة، التي استحال عليها أن تجد كوناً ولا مكوّن له، ونظاماً ولا منظّم له، ومُحكّماً ولا مُحَكِّم له، ومتحرّكاً ولا محرّك له، وهذا الكون يسير على أبدع قواعد السير، دون خلل ولا اضطراب ولا تناقص، آلاف السنين، وملايين السنين، وعشرات الملايين من السنين، وما شاء الله من الأزمنة المتطاولة، دون أن يرتطم بعضه ببعض، أو يفلت بعضه من بعض، أو ينقض بعضه بعضاً.

قال تعالى يناقش الملاحدة: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٦]. هذه الأسئلة التي أثارها القرآن وقف أمامها الملحدون مبهورين، ما جوابهم عليها؟ طبعاً لم يُخلقوا من غير شيء؛ لأن هذا تُنكره الفطر والعقول؛ إذ لا خلق إلا بخالق، ولا خلق من غير شيء.

أهم الذين خلقوا أنفسهم؟! هذا مستحيل، فالشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل أن يُخلق كان عدماً، فكيف يخلق العدم الوجود؟ ولهذا لم يدّع أحداً أنه خلق ذاته.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿٣٥﴾﴾، وإذا كانوا لم يخلقوا أنفسهم، فهل ادّعوا أنهم خلقوا السماوات التي فوقهم تُظِلُّهم، والأرض التي تحتهم

تُقَلِّهُم، وخلقوا ما فيهما من كائنات وجمادات ونباتات وأحياء متنوعة، عاقلة وغير عاقلة، ناطقة وغير ناطقة؟

لم يدع أحد من منكري الألوهية، أو حتى ممن ادَّعوا الألوهية كذباً على الناس: أنهم هم الذين خلقوا السماوات وما فيها، والأرض وما عليها؛ لأنهم لو قالوا هذا لكذبهم الناس العقلاء من حولهم في مشارق الأرض ومغاربها.

كيف يزعمون أنهم خلقوا السماوات أو الأرض، وهما مخلوقتان من قبل أن يُخلق هذا الإنسان، وقبل أن يُخلق أبواه وأجداده وأجداد أجداده؟ فهذه مخلوقة من زمن قديم طويل، لا يعلمه إلا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضْداً﴾ [الكهف: ٥١].

وهذا الخالق العظيم دلَّت عليه مخلوقاته نفسها؛ فهذه الأرض والسماوات، وهذه الجبال والبحار والمحيطات، وهذه الشمس والقمر، وهذه النجوم المنيرة، ما نراها وما لا نراها، كلها آيات دالة على من أوجدها بإحكام، وسخرها بإبداع ونظام، لا يعتريه خلل، ولا يداخله زلل، ولا يحتاج إلى شيء ليمضي مستمراً في طريقه، وهو آية، بل آيات من الله لعباده، تدل على وجوده وقدرته، وإرادته وعلمه وحكمته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۝﴾ [فصلت: ٥٣].

اتفاق موكب الرسل الداعين إلى الله طوال التاريخ:

وهذا الخالق العظيم، دلّ على وجوده وبالعقد قدرته، وواسع علمه، وعظيم حكمته، وواسع رحمته: موكب الرسل والنبیین، الذين بعثهم الله تعالى هداة إلى خلقه، ودعاة إلى حقه، وقائمين بقسطه، ومبشرين ومنذرين للناس، بما عند الله من مثوبة لمن صدّقهم، وأطاع الله بطاعتهم، وما عنده من عقوبة لمن كذّبهم، وعصى الله بعصيانهم، ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقد جاءت رسل الله تعالى - وخاتمهم محمد ﷺ - بتحديد صفات الله تعالى، التي سمّاها القرآن أسماء لله تعالى، وكل اسم منها يتضمن صفة من صفاته العلا، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ * ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ * ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]. فكل اسم من هذه الأسماء يستلزم صفة من الصفات اللائقة بكماله سبحانه.

ومن الآيات التي أنزلت على محمد خاتم الأنبياء، ودلّت على عظمة الله تعالى وعلو شأنه: آية الكرسي الشهيرة، وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومن ذلك أول سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿[الحديد: ١ - ٦].

هذا الموكب الذي ابتدأه الله بنبيه آدم، ثم كان أول الرسل إلى من أشركوا بالله نوحًا عليه السلام، وختموا بمحمد عليه السلام، وكلهم جاؤوا لإقامة الحق والعدل في الأرض للناس جميعًا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فهذا الموكب الحافل بالرسل الكبار، الذين اشتهروا في الناس، وأقام الله الحُجَجَ على ما معهم من حق، وأهلك أعداءهم الذين كذبوهم ووقفوا في طريقهم، وأذوهم ومن آمن بهم، من قوم نوح، وعاد قوم هود، وثمود قوم صالح، وقوم إبراهيم، وقوم شعيب، والذين كذبوا موسى وعيسى، فأخذهم الله بذنوبهم، وسجّل التاريخ عليهم فرارهم من نور الحق، واستمرارهم على الباطل، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ * وَإِذْ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ

تَصَدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ
إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كُنَّا لَنَا
أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا إِلَّا
نَنُوكَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٩ - ١٢﴾ [إبراهيم: ٩ - ١٢].

وفي سورة هود نجد أهل مدين يجادلون نبيهم شعيباً، فيقولون:
﴿أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا
نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧].

ولكن منطق رسل الله كان قوياً واضحاً مضيئاً؛ لأنه ينطق بالحق، ويجهر
بالعدل، لا يحيد إلى الباطل، ولا يميل إلى الحيف، ولا يتبع الهوى، فيضل
عن سبيل الله، ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ
لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
تُرِيدُونَ أَنْ تَصَدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

(الله) أعظم الأسماء:

قال الإمام الغزالي في «المقصد الأسنى»: «(الله) هو اسم للموجود
الحق، الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المتفرد
بالوجود الحقيقي، فإن كل موجود سواه غير مستحق الوجود بذاته، وإنما
استفاد الوجود منه. فهو من حيث ذاته هالك، ومن الجهة التي تليه
موجود. فكل موجود هالك إلا وجهه. والأشبه أنه جارٍ في الدلالة على
هذا المعنى مجرى أسماء الأعلام، وكل ما ذكر في اشتقاقه وتعريفه
تعسف وتكلف»^(١).

(١) المقصد الأسنى ص ٦١.

وهو أعظم الأسماء، لدلالته على ما يجمع الصفات الإلهية كلها، وأنه لا يُقال لغير الله تعالى.

يقول الغزالي: «اعلم أن هذا الاسم (الله) أعظم أسماء الله وَجَلَّ التسعة والتسعين؛ لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها، حتى لا يشذَّ منها شيء، وسائر الأسماء لا يدل أحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو فعل أو غيره؛ ولأنَّه أخص الأسماء؛ إذ لا يطلقه أحدٌ على غيره، لا حقيقة، ولا مجازاً، وسائر الأسماء قد يُسمَّى به غيره، كالقادر والعليم والرحيم.. وغيره. فلهذين الوجهين يُشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء».

ثم بيَّن الغزالي أن هذا الاسم لا يُتصوَّر فيه مشاركة مع أحد من الخلق، لا على سبيل المجاز، ولا على سبيل الحقيقة، فقال: «معاني سائر الأسماء يُتصوَّر أن يتَّصف العبد بشيء منها.. كالرحيم والعليم والحليم والشكور وغيره، وإن كان إطلاق الاسم عليه على وجه آخر يباين إطلاقه على الله وَجَلَّ».

وأما معنى هذا الاسم (الله) فخاصٌّ خصوصاً لا يُتصوَّر فيه مشاركة، لا بالمجاز، ولا بالحقيقة؛ ولأجل هذا الخصوص يوصف سائر الأسماء بأنها اسم الله وَجَلَّ، ويعرَّف بالإضافة إليه، فيقال: الصبور والشكور والملك والجبار من أسماء الله وَجَلَّ، ولا يقال: الله من أسماء الشكور والصبور؛ لأنَّ ذلك من حيث هو أدلُّ على كُنْه المعاني الإلهية وأخصُّ بها، فكان أشهر وأظهر، فاستُغني عن التعريف بغيره، وعُرف غيره بالإضافة إليه»^(١).

(١) المقصد الأسنى ص ٦١.

وقد قال بعض العلماء: إن لفظ الجلالة (الله) مشتق، خلافا لما ذكره أبو حامد الغزالي فيما سبق، وانتصر الإمام الرازي في (تفسيره) إلى أنه ليس مشتقاً، فقال: «المختار عندنا أن هذا اللفظ اسم علم لله تعالى، وأنه ليس بمشتق البتة، وهو قول الخليل وسيبويه، وقول أكثر الأصوليين والفقهاء»^(١).

لفظ الجلالة في القرآن:

ولفظ الجلالة تكرر في القرآن (٢٦٩٧) مرة^(٢)، وهذا يدل على أن القرآن جاء ليصل الناس بالله: يُعرّفهم بالله إذا جهلوا، ويذكّرهم به إذا نسوا، ويُقوّي صلتهم به إذا ضعفوا. ولا يوجد مثل هذا في كتاب من الكتب السماوية، فطالما طالعت في أسفار التوراة الخمسة الموجودة فيما يُسمّى (الكتاب المقدس)، وطالعت العهد القديم والعهد الجديد، ما وجدتُ ذكراً لله بهذه الكثافة، في القرآن تجد ذكر (الله) في كل بضع آيات من آياته، وهذا غير ذكره بأسمائه وصفاته وأفعاله، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

القرآن كله كتاب يهدي إلى الله، ويُقوّي علاقة الإنسان بربه، يريد منا القرآن أن نكون مع الله دائماً داعين مستغفرين، عابدين مستعنيين، متضرعين طائعين، منيبين خاشعين.

(١) تفسير الرازي (١/١٤٣)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

(٢) تكرر لفظ الجلالة: الله (١٥٦٧) مرة، والله (٢٣٠) مرة، بالله (١٣٢) مرة، تالله (٨) مرات، لله (١١٣) مرة، والله (١٨) مرة، فلله (٦) مرات.

الله لا إله إلا هو:

لم يُعَنَّ القرآن كثيرًا بقضية إثبات وجود الله ﷻ، فهذه قضية شبه متفق عليها، لم ينكرها إلا القليل من الملحدين، الذين كانوا ضد جماهير الناس الذين عرفوا الله تعالى بفطرتهم وبدائه عقولهم، ولكن الذي ضلَّ البشرية حقًا هو الشرك بالله تعالى، فمنهم من عبد الشمس أو القمر أو النجوم، أو مصادر الخير للناس، كالأنهار أحيانًا، وكالبقر في الهند، أو عجل أبيس في مصر الفرعونية، ومنهم من عبد الجن أو الشيطان، أو غير ذلك. ولهذا كان إرسال رسل الله تعالى إلى الأقوام والأمم بالتوحيد الخالص، فقال كل رسول لقومه: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، نطق بها الرسل الذين بعثهم الله لهداية العباد من ضلالتهم، وتعليمهم من جهالتهم، وردهم إلى الصراط المستقيم: نوح ﷺ، ومن بعده هود وصالح، ومن بعدهم إبراهيم ولوط، وشعيب، وموسى وعيسى ومحمد ﷺ. كلهم دعوا أقوامهم إلى ترك الشرك، وإلى عبادة الله وحده، كلهم قالوا باللفظ وبالمعنى: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وقال الله تعالى لنبيه محمد في قرآنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال الله لموسى في أول خطاب له: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال تعالى عن عيسى ومن جعلوه ابنًا لله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ

يَتَّخِذْ وَلَدًا * إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا * [مريم: ٨٨ - ٩٥].

كل الأنبياء من آدم ﷺ إلى خاتمهم محمد، أجمعوا على أنه لا إله إلا الله، ولا يعبد أحد غير الله، وأن التوحيد هو غاية الوجود، ودعوة الرسل جميعاً، وثمرته: أن يتجرد العباد في الدنيا من الخضوع لأي جهة أو طائفة أو مجموعة أو فرد غير الله وحده، وأن يسعدوا في الآخرة برضا الله تعالى والنظر إليه، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

ذكر اسم الله:

والقرآن كما يربط المسلم بالله تعالى وصفاته، وأوامره ونواهيه، وأفعاله وقدرته، ويبين له ما يحب الله من عباده وما يكره، يطلب منه أيضاً أن يكون اسم (الله) تعالى محور حياته، وأن يكون مصاحباً له في شأنه كله، فاسم الله هو مصدر كل بركة، وسبب كل نعمة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * نَبِّرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٧، ٧٨].

فأول آية في ترتيب المصحف هي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]. وهي أيضاً أول آية يقرأها المسلم في صلاته، ويكررها كل يوم على الأقل سبع عشرة مرة وهو يقرأ الفاتحة.

وأول آية نزلت من القرآن: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

ومن هنا تعلّم المسلمون: أن يبدؤوا أعمالهم كلها باسم الله، فكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر.

وقد قرؤوا في قرآنهم: أن نوحاً ﷺ حين صنع سفينته قال للمؤمنين معه: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرُدَهَا وَمَرْسَهَا إِنَّ رَبِّيَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

وأن سليمان عليه السلام، حين كتب كتابه إلى ملكة سبأ، بدأه بقوله:
﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

والقرآن يحكم بالظلم الذي لا ظلم فوقه على من عطل المساجد أن يذكر فيها اسم الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤].

وقد فرض الله على الأمة جهاد أهل الباطل ومدافعتهم؛ لئلا تهدم أماكن العبادة التي يذكر فيها اسم الله كثيراً: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا وَإِلَى اللَّهِ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمُوعُ وَبِيعُ وَصَلَاتُ وَمَسْجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

وقال عن بيوته وعمارها: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

وأمر المسلم أن يذكر اسم (الله) على الصيد الذي صادته الجوارح المعلقة، فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

وقال في شأن الذبائح: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]. وجعل ما لم يذكر اسم (الله) عليه فسقاً إذا قصد الذابح ذلك، ونهانا عن أكله فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وجعل القرآن من أهم مقاصد الحج ذكر اسم (الله)، فقال: ﴿وَإِذْ فِي

النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ ﴿٢٨﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

وأمر نبيه بقيام الليل إلا قليلاً، ثم أمره بعد ذلك بذكر اسم ربه والتبتل إليه ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٨، ٩]، وقال له في آية أخرى: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥].

ورتب الله الفلاح على تزكية النفس وذكر اسم (الله): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥]. إلى غير ذلك من الآيات، التي تربط المؤمن بالله تعالى.

وكذلك سنة نبي الإسلام ﷺ العملية والقولية تربط المسلم في أحواله كلها باسم الله تعالى، فالنبي ﷺ كان يذكر الله على كل أحواله وأحيانه^(١).

وهو يعلم المسلم أن يقول إذا وضع جنبه ليخلد إلى النوم: «باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه»^(٢).

وإذا استيقظ لينطلق في موكب الحياة ذكر الله حامداً إياه: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(٣).

فإذا جلس على مائدة طعامه وأراد أن يبدأ الأكل، ذكر اسم الله الذي هيأ له الأسباب حتى وصل إليه هذا الرزق الطيب، فكانت بدايته (باسم الله)^(٤).

(١) إشارة إلى قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه. رواه مسلم في الحيض (٣٧٣)، والبخاري في الأذان تعليقا قبل حديث (٦٣٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٢٠)، ومسلم في الذكر (٢٧١٤)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٢)، عن حذيفة.

(٤) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك». رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٢)، عن عمر بن أبي سلمة.

وإذا فرغ من طعامه حمِد الله^(١). فيبدأ طعامه باسم الله، ويختمه بحمد الله.

وكذلك يسمّي الله عند الشرب ويحمده عند الانتهاء^(٢).

حتى لحظة الاستمتاع بالشهوة الجنسية - وهي شهوة حيوانية عاتية - لا ينسى المسلم اسم (الله) تعالى، فيقول إذا أتى زوجته: «باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا»^(٣).

وفي كل ما يعتري الإنسان من أحوال وردت أذكار وأدعية عن النبي ﷺ، تشرح الصدور، وتملأ القلوب بمعرفة الله تعالى وبمحبتة.

وفي ذلك ألف الإمام النووي كتابه «الأذكار»، وألف الإمام ابن تيمية كتابه «الكلم الطيب»، وألف تلميذه ابن القيم «الوابل الصيب في الكلم الطيب».

لذا يقول الإمام الرازي رحمته الله في تفسيره: «اعلموا أيها الناس أنني أقول طول حياتي: الله. فإذا متُّ أقول: الله. وإذا سُئِلْتُ في القبر أقول: الله. وإذا جئتُ يوم القيامة أقول: الله. وإذا أخذتُ الكتاب أقول: الله. وإذا وُزِنَتْ أعمالي أقول: الله. وإذا جُزْتُ الصراط أقول: الله. وإذا دخلت الجنة أقول: الله. وإذا رأيت الله قلتُ: الله»^(٤). فما زال مع الله، وبالله، ومن الله، ولله، وإلى الله، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن مع هذا الاسم العظيم (الله).

(١) عن أبي أمامة، أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفٍّ ولا مُودَع ولا مُستغنى عنه ربنا». رواه البخاري في الأُطعمة (٥٤٥٨).

(٢) إشارة إلى حديث: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها». رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٤)، وأحمد (١١٩٧٤)، عن أنس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٤١)، ومسلم في النكاح (١٤٣٤)، عن ابن عباس.

(٤) تفسير الرازي (١/١٥٤).

غير مرخصة للطباعة

وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ

من أسماء الله تعالى وصفاته: أنه الواحد، الذي لا شريك له، ولا ندَّ له، ولا ضدَّ له، دلَّت على ذلك كل الدلائل العقلية والنقلية؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وكل رسل الله من عهد نوح إلى خاتمهم محمد جاؤوا يدعون إلى التوحيد الخالص، الذي لا تشوبه شائبة من الاثنينية التي كانت عند المجوس، الذين قالوا بالهين: إله للخير وإله للشر، أو إله للنور وإله للظلمة، وأنكر القرآن ذلك حين قال: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

ولا من التثليث الذي اشتهر عند الهنود القدماء، وأخذه عنهم النصراني، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ اثْنَانِ يُؤَفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]. وقد حكم الله على هؤلاء المثليين بالكفر في ذلك، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وبعض النصارى عبدوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۖ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

وبعض النصارى اتخذوا المسيح ابناً لله، كما أن بعض اليهود اتخذوا غُزيراً ابناً لله، وقد رفض القرآن ذلك، فإن البنوة المجازية لله قد يُثبتها بعض الناس للبشر جميعاً، كما رُوي في بعض الحديث الضعيف: «الخلق عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»^(١).

وقف الأنبياء جميعاً يعلنون دعوتهم إلى التوحيد، وبراءتهم من الشرك، كما في قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۖ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ ۖ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۖ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنِينٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاثِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزِلْكُمْ كُفُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهِرُونَ ۖ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرْبُكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ ۖ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۖ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ

(١) رواه البزار (٦٩٤٧)، وأبو يعلى (٣٣١٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٧٠٦): فيه

يوسف بن عطية الصفار وهو متروك. قال الذهبي في الميزان (١٩٢/٥)، في ترجمته: مجمع على ضعفه... ومن مناكيره... ثم ساق له أحاديث، هذا أحدها. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٩٠٠)، عن أنس.

اللَّهُ خَيْرٌ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّي إِذَا لِمَنِ الظَّالِمِينَ * قَالُوا يَنْفُخُ قَدْ جَدَلْتَنَا
فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ
إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ
يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤ - ٢٥﴾.

وكذلك تحدثت سورة هود عن عاد قوم هود، وعن ثمود قوم صالح،
وسائر المرسلين.

وكذلك جاء ذكر هؤلاء المرسلين في سورة الأعراف، وسورة
الأنبياء، وسورة الشعراء، وسورة الصافات، وإنكارهم على قومهم
شركهم، وضياع دين التوحيد من أقوامهم، واتخاذهم من دون الله آلهة
لا يغنون عنهم من الله شيئاً.

ذَكَرَ هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ أَقْوَامَهُمْ بِرَبِّهِمْ، وَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِهِ، فَلَا يَعْبُدُونَ
غَيْرَ اللَّهِ رَبًّا، وَلَا يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا، وَلَا يَتَّبِعُونَ غَيْرَ اللَّهِ حُكْمًا.

أنواع التوحيد:

فهناك ثلاثة أنواع من التوحيد لا بد منها كلها:

١ - توحيد الربوبية أو الخالقية:

الأول: توحيد الربوبية، أو قل: توحيد الخالقية، بمعنى أنه لا رب
للكون، ولا رب للإنسان إلا الله، فلا بد للناس أن يفرّدوا الله تعالى
بالربوبية.

وقد وردت بعض الأحاديث فسّرت الربوبية بمعنى التشريع للناس،
والتحليل لهم، والتحريم عليهم، كما جاء في تفسير قوله تعالى عن

اليهود والنصارى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]: أنهم أشركوا بالله شركًا من نوع خاص، أحلّ أحبارهم ورهبانهم الحرام، فاستحلّوه، وحرّموا عليهم الحلال، فحرّموه^(١)، ولهذا آثرنا أن نضيف إلى كلمة (الربوبية) كلمة (الخالقية).

وهذا التوحيد اعترف به مشركو العرب، ولم ينكروه، بل ذكر القرآن اعترافهم لله بالخالقية جليًا واضحًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤَفِّكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله: ﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولَنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩].

٢ - توحيد الإلهية أو العبادة:

والنوع الثاني للتوحيد، هو: توحيد الإلهية، أو توحيد العبادة.

فهناك آلهة كثيرة اتخذها الناس، ليعبدوها من دون الله، أو ليعبدوها مع الله، فمنهم من عبد الشمس، كأهل اليمن أيام الملكة بلقيس، قبل أن تسلم مع سليمان لله رب العالمين. وقد حدّث الهدد نبي الله الملك سليمان بذلك حين قال: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٢٣ - ٢٥].

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠٩/١٤) وما بعدها، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

وهناك من عبدوا القمر، وهناك من عبدوا النجوم.

وهناك من عبدوا البقر، ومنها العجول، كما عبد المصريون القدماء (عجل أبيس). وما زال الهنود إلى اليوم - وهم أمة بأتباعها وممثليها في البلاد الأخرى تقارب المليار - يعبدون البقرة الأنثى، أما قرينها الثور، وهو أضخم منها جثة، وأشد قوة، فليس أهلاً لأن يعبد. قال بعضهم: لأن الثور لا يؤخذ منه اللبن. قلنا: هناك الجاموس الذي هو قرين البقر وصنؤه، ومع هذا لا يُعبد، مع أنه أكثر درًا للبن من البقر، وأكثر الناس يفضلون لبنه على لبن البقر.

ومن الناس من يعبد القرد.

ومن الناس من يعبد الشيطان.

ومن الناس من يعبد الفرع.

ومنهم من يعبدون ما لا يخطر لك على بال، وقد جاء رسل الله تعالى وأنبيأؤه يحاربون هذا النوع من الشرك أشد المحاربة، وأعلنوا جميعاً: أنه (لا إله إلا الله) فهذه كلمة النجاة من الشرك، وبالتالي من عذاب الله الدائم في النار.

نادى الأنبياء جميعاً بالتوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. فهكذا كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده، وإلى اجتناب كل ما يُعبد ويعظم من دون الله، وهو مصدر كل جبروت وطغيان.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

كان النداء الأول لكل رسول هو قوله تعالى: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٨٤، المؤمنون: ٣٣].

ودارت بين الرسل وقومهم محاورات في الشرك والتوحيد، كما ذكر القرآن نقاش عاد لنبيهم هود: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنِزْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠ - ٧١].

قال الله تعالى: ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٤].

وفي سورة الفاتحة، التي يقرأها المسلم في صلواته المفروضة كل يوم سبع عشرة مرة، يقرأ المسلم فيها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي: يا رب لا نعبد إلا أنت، ولا نستعين بأحد سواك. وهذا هو التوحيد الحقيقي، أن يُفرد الله تعالى بالعبادة والاستعانة ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨، الشورى: ١٠].

وبهذا يتحرر المسلم من كل عبودية لغير الله تعالى، فلا عبودية للناس، لا للكبراء، ولا للصُّلَحَاءِ، ولا للملوك، ولا للشيطان، ولا للمال، ولا للشهوات، ولا لأيٍّ من الآلهة المكشوفة والمستورة، التي يتخذها الناس آلهة مع الله أو من دونه.

والله تعالى يريد المسلم الحقَّ عبداً له وحده، لا عبداً لأحد غيره، لا إنساً ولا جنّاً، ولا ملكاً ولا شيطاناً، وقد عاب الله على بعض الناس أنهم ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَعَاهَدَ لَكُمْ يَبْنِيءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠ - ٦١].

رفض الإسلام كل الأرباب المصنوعة، والآلهة المتخذة، وأعلن الوحداية لله لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

٣ - توحيد الحاكمية:

وهناك توحيد ثالث: أعلنه سورة التوحيد، التي سماها الرسول سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

ذلك أن الله تعالى هو الحَكَم، وهو الحاكم، كما قال تعالى: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]. جاء ذلك على لسان يوسف عليه السلام.

وقد جاء ذلك في القرآن الكريم الذي يقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ

﴿يُونُس: ١٠٩﴾، وقال سبحانه: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿التين: ٧، ٨﴾، وقال: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقال: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الملتحنة: ١٠].

هذه الآيات كلها تُعطينا دلالة مؤكدة: أن الحكم لله وحده، لا ينبغي أن ينازعه أحد فيه، ولا غرور في ذلك؛ فهو وحده خالقُ الخلق، ومالكُ المُلْك، ومانحُ الحياة، ومعطي الرزق، ومهيئ كل الأسباب للناس، ما علموا منها، وما لم يعلموا؛ فلا عجب أن يكون الحكم كله لله.

ولكن ما معنى أن يكون الحكم لله تبارك وتعالى؟

الحكم هنا له معنيان أصليان: الحُكْمُ الخَلْقِي، والحكم الأمرِي، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وأحياناً يعبر عنه بـ (الحكم الكوني) و(الحكم التشريعي)، وكلا الحكمين لله لا لغيره.

فمن الحكم الأول: أن الأمور كلها لله، وفي يده وحده، يصرفها كيف يشاء، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصل ويقطع، ويُعزّز ويُذلّ، ويهدي ويُضللّ، يوسّع على من شاء، ويضيّق على من شاء، فما يجري به القدر على الإنسان من خير أو شر، من نعيم أو بؤس، من صحة أو مرض، من عز أو ذل؛ فهو حكم الله القدري التكويني، كما قال سيدنا يعقوب لأبنائه: ﴿يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، وقال أكبر أبنائه حين لم يعودوا بأخيهم: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠].

فهذا حكم الله القدري في الخلق، وهو يجري كما قدر الله، وفق سنته الماضية، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

والنوع الثاني من الحكم، هو: الحكم الأمري التشريعي، الذي يُرجع فيه إلى ما أنزل الله على رسله من الآيات البينات، والأحكام والتشريعات، ومن الأوامر والنواهي، ومن التحليلات والتحريمات، ومن المستحبات والمكروهات، فعلى الناس هنا أن يخضعوا لحكم الله تعالى وتشريعه، وأن يقولوا عندما يسمعون حكم الله: سمعنا وأطعنا. ولا يجوز لمؤمن أن يسمح لنفسه أن يقف معارضا لحكم الله تعالى، أو متوقفاً فيه، أو متشككاً في تبيينه.

اسمع إلى قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا *﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٣].

بيّنت هذه الآيات موقف المنافقين من حكم الله التشريعي ومحاولة التملص منه، ولكن الله تعهدهم بمحكم كتابه، وبآياته المستفيضة التي لا محيص لهم عنها.

ويقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ



يُحْيِفُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٨﴾ [النور: ٤٧ - ٥٤].

وبهذا كان النوع الثالث من التوحيد هو: ألا ننازع الله في حكمه الخَلْقِي القَدْرِي، ولا في حكمه الأَمْرِي التشريعي؛ لأنه لا حاكم في الأمرين غيره.

الواحد:

قد جاء اسم الله (الواحد) في القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٣: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال تعالى على لسان يوسف: ﴿يَصَدِّجِي السِّجْنَءَ أَزْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

قال القرطبي: «اسم الله (الواحد) جاء في الكتاب والسنة، وأجمع عليه علماء الأمة.

وهو من أعظم أسمائه الحسنى، وأولاها بالاختصاص به، وعدم المشاركة فيه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١١٧]، وقال: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى يرد على النصاري: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

ولا يجوز إجراؤه على غير الله إلا مجازاً في المعقول، إذ لا يجوز في المعقول وجود حادث مفرد؛ لأنه إن كان جوهرًا يستحيل وجوده عاريًا عن الأعراض، ولو كان عرضًا لاستحال وجوده قائمًا بنفسه في غير محله، فكل موجود سوى الله يجوز وصفه بأنه أحد، ولكنه في حقيقة المعقول تجوز لا حقيقة له، وإنما الحقيقة الله الواحد الأول الأحد، والذي لا ثاني له، ولا شريك، ولا مثل، ولا نظير، لم يسبقه في أزله شيء، تبارك وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون..

فالله تعالى متعالٍ عن أن يشبه شيئاً من الحادثات، أو يمازجه شيء من الكائنات، بل هو بذاته متفرد عن جميع المخلوقات، وأنه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم، خلافاً للنصارى والمجسمة تعالى الله عن قولهم وتسميتهم، وأنه لا تحلله الكائنات، ولا تمازجه الحادثات، ولا له مكان يحويه، ولا زمان هو فيه، أولٌ لا قبل له، آخرٌ لا بعد له، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فهو سبحانه واحد من حيث إنه لا شريك له، فيجري عليه لأجله حكم العدد، وتبطل وحدانيته.

وقد نبّه سبحانه على هذا بقوله: ﴿لَا تَخْذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]. فنبه على أن الإله الحق لا يتعدد، وأن كل من يتعدد فليس بإله؛ ولذلك اقتصر على ذكر الاثنين؛ لأنه قصد نفي التعدد. والشركة عبارة عن التعاون على الفعل لعدم استقلال أحد الشريكين بالفعل، فلو قُدّر شريك يكون إلهًا، وقُدّر جرمٌ ما، فأراد تحريكه أحدهما والآخر تسكينه، فإما أن تنفذ إرادتهما معًا، أو لا تنفذ، أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر.

الأول: محالٌ لقيام الحركة والسكون بمحلٍّ واحد.

والثاني: يدل على عجزهما وخلو المحل.



فبقي الثالث: فمن نفذت إرادته فهو القادر، والثاني عاجز، والعجز لا يكون إلا عن معجوز عنه. فتفهّم هذا، فهو دليل التوحيد، وهو المسمى بدليل التمانع.

فإن قيل: ما المانع أن يتفقا؟ قيل له: يجوز أن يختلفا، سلمنا الاتفاق، لكن العالم جواهر وأعراض؛ فمن وُجد منه التأثير فهو الإله، والثاني مستغنى عنه، كما ذكرنا أن مقدورين قادرين محال.

وإذا تقدّر هذا، فاعلم أن أهل اللغة قالوا: الواحد في كلام العرب له معنيان:

أحدهما: مُفتتح الوجود.

والثاني: أنه الذي لا نظير له، ولا مثل، كقولهم: فلان واحد قومٍ في الشرف والكرم والشجاعة. قال الشاعر:

يا واحد العرب الذي ما في الأنام له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير^(١)

يريد أنه رئيسهم وعمدتهم.

فالله تعالى هو الواحد، لا نظير له، وهو الذي يعتمد عليه عباده ويقصدونه، ولا يتكلمون إلا عليه جل وعز. يُقال: رجلٌ وحدانيٌّ: متفرد. قال النابغة:

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بَنَى بَذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَجِدٍ^(٢)

(١) من شعر ابن المولى المدني، كما في معجم الشعراء للمرزباني ص ٤١١، تصحيح أ. د. ف. كرنكو، نشر مكتبة القدسي، ودار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ.

(٢) انظر: ديوانه ص ٣١، تحقيق كرم البستاني، نشر دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣م.

والوحدة: الانفراد، والواحد: المنفرد...

وقال أهل العلم باللسان: إن الواحد يختص بالذات، وأحد مختص بالصفات.

وقال الأزهري: إن الأحد بُني لنفي ما يذكر معه من العدد، والواحد اسم بني لمُفتَح العدد، تقول: جاءني واحدٌ من النَّاسِ، ولا تقول: جاءني أحد^(١).

وقيل: إن أحداً يستعمل فيما يعقل خاصة، وواحد يستعمل فيهما، فواحد في صفة الله معناه نفي المثل والنظير والنَّد.

قال أبو المعالي: معناه نفي التبعض، فهو سبحانه لا جزء لذاته، ولا بعض، وليس بمؤلف جل وتعالى.

قال الإسفراييني: وتحقيق الواحد أنه لا يتبعّض في الوهم، ولا يتجزأ بالفعل. وتفسير الأحد: لا يشبه شيئاً من المخلوقات، وتحقيقه أنه لا يُتَصَوَّر في الوهم، وما دونه يقبل هذه الصفة.

فيجب على كل مكلف اعتقاد هذا، ثم يجب عليه أن يطلب حقيقة معنى التوحيد ويتعرفها بالمداومة على الاستدلال بالآيات التي نصبها شواهد على ذلك، من خلق السماوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما ليعرف بأسمائه وصفاته، وليدّان له بالتوحيد^(٢).

* * *

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة (و. ح. د).

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ص ١٦١ - ١٦٥، تحقيق صالح عطية الحطمانى، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط ١، ٢٠٠١ م.

الله أحد الله الصمد

مما اهتم به القرآن: إبراز اسمي (الأحد) و (الصمد). وهما يُثبتان صفتي الأحدية والصدمية لله ﷻ، فهو سبحانه (الأحد)، وهو جل شأنه (الصمد)، وقد نزلت في ذلك سورة الإخلاص التي كان يتلوها الرسول ويُرددها، ويعلن أنها ثلث القرآن^(١).

روى الإمام أحمد عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، انسب لنا ربك. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]^(٢).

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه»^(٣).

(١) روى البخاري في فضائل القرآن (٥٠١٣)، وأحمد (١١٣٠٦)، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

(٢) رواه أحمد (٢١٢١٩)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. والترمذي (٣٣٦٤)، والحاكم (٥٤٠/٢)، كلاهما في التفسير، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٨٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨١٣).

وروى البخاري، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟». فشق ذلك عليهم، وقالوا: أيُّنا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»^(١).

قال مفسرو السلف: لما قال من قال: نحن نعبد عزيرًا ابن الله. وقال من قال: نحن نعبد المسيح ابن الله. وقال من قال: نحن نعبد إله الخير، وإله الشر. وقال المشركون: نحن نعبد الأوثان. أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعني هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا شبيه ولا عديل... لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّكَمُ﴾ يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم. قال ابن عباس: هو السيد الذي قد كُمل في سؤدده، والشريف الذي قد كُمل في شرفه، والعظيم الذي قد كُمل في عظمته، والحليم الذي قد كُمل في حلمه، والعليم الذي قد كُمل في علمه، والحكيم الذي قد كُمل في حكمته، وهو الذي قد كُمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، ليس له كُفء، وليس كمثله شيء، سبحانه الله الواحد القهار^(٢).

الأحد:

وقال صاحب (الظلال) رحمته الله في تعليقاته العذبة النديّة التي يعلو فيها ويخلق في سماء القرآن بغير جناح، إلا جناح المؤمن الأديب الشاعر

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠١٥)، وأحمد (١١٠٥٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥٢٧/٨ - ٥٢٨)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢،

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



المفسر الموهوب، الذي يُفيض الله عليه بما يُفيض، يعلّق على الأحدية التي أعلنتها سورة الإخلاص، يقول: «هذه الأحدية عقيدة للضمير، وتفسير للوجود، ومنهج للحياة».

وقد تضمنت سورة الإخلاص أعرض الخطوط الرئيسية في حقيقة الإسلام الكبيرة.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.. وهو لفظ أدق من لفظ (واحد)؛ لأنه يضيف إلى معنى (واحد) أن لا شيء غيره معه، وأن ليس كمثله شيء.

إنها أحدية الوجود، فليس هناك حقيقة إلا حقيقته، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية.

وهي من ثم أحدية الفاعلية، فليس سواه فاعلاً لشيء، أو فاعلاً في شيء، في هذا الوجود أصلاً.

وهذه عقيدة في الضمير، وتفسير للوجود أيضاً.

فإذا استقرّ هذا التفسير، ووضح هذا التصوّر، خلّص القلب من كل غاشية، ومن كل شائبة، ومن كل تعلّق بغير هذه الذات الواحدة المتفرّدة بحقيقة الوجود، وحقيقة الفاعلية.

خلّص من التعلّق بشيء من أشياء هذا الوجود - إن لم يخلّص من الشعور بوجود شيء من الأشياء أصلاً! - فلا حقيقة لوجود، إلا ذلك الوجود الإلهي، ولا حقيقة لفاعلية، إلا فاعلية الإرادة الإلهية، فعلام يتعلّق القلب بما لا حقيقة لوجوده ولا لفاعليته؟!!

وحين يخلص القلب من الشعور بغير الحقيقة الواحدة، ومن التعلق بغير هذه الحقيقة، فعندئذ يتحرّر من جميع القيود، وينطلق من كل الأوهاق^(١). يتحرّر من الرغبة، وهي أصل قيود كثيرة، ويتحرّر من الرهبة، وهي أصل قيود كثيرة، وفيّم يرغب وهو لا يفقد شيئاً متى وجد الله؟ ومن ذا يرهّب ولا وجود لفاعلية إلا لله؟

ومتى استقرّ هذا تصوّر الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله، فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها، وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلا الله؛ لأنه لا حقيقة هناك يراها إلا حقيقة الله.

كذلك سيصحبه نفي فاعلية الأسباب، وردّ كلّ شيء وكل حدث وكل حركة إلى السبب الأول الذي منه صدرت، وبه تأثرت، وهذه هي الحقيقة التي غني القرآن عناية كبيرة بتقريرها في التصور الإيماني، ومن ثمّ كان ينحّي الأسباب الظاهرة دائماً، ويصل الأمور مباشرة بمشيئة الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦ - الأنفال: ١٠].. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠ - التكويد: ٢٩]، وغيرها كثير.

وبتنحية الأسباب الظاهرة كلها، وردّ الأمر إلى مشيئة الله وحدها، تنسكب في القلب الطمأنينة، ويعرف المتّجّه الوحيد الذي يطلب عنده ما يرغب، ويتّقي عنده ما يرهّب، ويسكن تجاه الفواعل والمؤثّرات والأسباب الظاهرة التي لا حقيقة لها ولا وجود! وهذه

(١) جمع وهق، وهو: الحبل في أحد طرفيه أنشودة يطرح في عنق الدابة والإنسان حتى يؤخذ. الوسيط مادة (و. ه. ق).

هي مدارج الطريق التي حاولها المتصوّفة، فجذبتهُم إلى بعيد! ذلك أن الإسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق إلى هذه الحقيقة وهم يكابدون الحياة الواقعية بكل خصائصها، ويزاولون الحياة البشرية والخلافة الأرضية بكل مقوّماتها، شاعرين مع هذا أن لا حقيقة إلا الله، وأن لا وجود إلا وجوده، وأن لا فاعلية إلا فاعليته، ولا يريد طريقاً غير هذا الطريق!

من هنا ينبثق منهج كامل للحياة، قائم على ذلك التفسير، وما يُشيعه في النفس من تصورات ومشاعر واتجاهات:

منهج لعبادة الله وحده. الذي لا حقيقة لوجود إلا وجوده، ولا حقيقة لفاعلية إلا فاعليته، ولا أثر لإرادة إلا إرادته^(١).

ومنهج للاتجاه إلى الله وحده في الرغبة والرغبة، في السراء والضراء، في النعماء والبأساء، وإلا فما جدوى التوجه إلى غير موجود وجوداً حقيقياً، وإلى غير فاعل في الوجود أصلاً؟! ومنهج للتلقي عن الله وحده، لتلقي العقيدة والتصوّر، والقيم والموازين، والشرائع والقوانين، والأوضاع والنظم، والآداب والتقاليد، فالتلقي لا يكون إلا عن الوجود الواحد والحقيقة المفردة في الواقع وفي الضمير.

ومنهج للتحرك والعمل لله وحده، ابتغاء القرب من الحقيقة، وتطلّعاً إلى الخلاص من الحواجز المعوّقة، والشوائب المضلّلة، سواء في قرارة

(١) حاول بعض المتشددّين من دعاة السلفية المتطرفة، اتهام صاحب (الظلال) رَحِمَهُ اللهُ، بأنه في أحاديثه عن الأحدية، يدعو إلى وحدة الوجود! وهو اتهام باطل لم يُبَيّن على قراءة كل ما كتبه سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ، ومن يقرأ كلامه كله، لا يتصوّر أن يصل إليه ذرة من شك في سلامة عقيدة التوحيد وثباتها ووضوحها عند مفسرنا في ظلاله وكتبه كلها رَحِمَهُ اللهُ، وتقبّل منه.

النفس، أو فيما حولها من الأشياء والنفوس، ومن بينها حاجز الذات، وقيد الرغبة والرغبة لشيء من أشياء هذا الوجود! ومنهج يربط - مع هذا - بين القلب البشري وبين كل موجود برباط الحب والأنس والتعاطف والتجاوب.

فليس معنى الخلاص من قيودها هو كراهيتها والنفور منها، والهروب من مزاولتها، فكلها خارجة من يد الله، وكلها تستمد وجودها من وجوده، وكلها تُفيض عليها أنوار هذه الحقيقة، فكلها إذاً حبيب، إذ كلها هدية من الحبيب!

وهو منهج رفيع طليق، الأرض فيه صغيرة، والحياة الدنيا قصيرة، ومتاع الحياة الدنيا زهيد، والانطلاق من هذه الحواجز والشوائب غاية وأمنية، ولكن الانطلاق عند الإسلام ليس معناه الاعتزال ولا الإهمال، ولا الكراهية ولا الهروب، إنما معناه المحاولة المستمرة والكفاح الدائم لترقية البشرية كلها، وإطلاق الحياة البشرية جميعها، ومن ثم فهي الخلافة والقيادة بكل أعبائهما، مع التحرر والانطلاق بكل مقوماتهما. كما أسلفنا.

إن الخلاص عن طريق الصومعة سهل يسير، ولكن الإسلام لا يريده؛ لأن الخلافة في الأرض والقيادة للبشر طرف من المنهج الإلهي للخلاص، إنه طريق أشق، ولكنه هو الذي يحقق إنسانية الإنسان. أي يحقق انتصار النفخة العلوية في كيانه.. وهذا هو الانطلاق، انطلاق الروح إلى مصدرها الإلهي، وتحقيق حقيقتها العلوية، وهي تعمل في الميدان الذي اختاره لها خالقها الحكيم^(١).

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤٠٢/٦ - ٤٠٤)، نشر دار الشروق، القاهرة.



إن هذه الأحذية تنطق بها فطرة كل إنسان من أعماقه، مهما يتراكم على هذه الفطرة صدأ الشبهات أو غبار الشهوات، وقد تنحرف وتتدنس باتباع الظن أو اتباع الهوى، أو التقليد الجاهل للأجداد والآباء، أو الطاعة العمياء للسادة والكبراء. وقد يصاب الإنسان بداء الغرور والعُجب، فيظن نفسه شيئاً يقوم وحده، ويستغني عن الله!! بيد أن هذه الفطرة الأصيلة تذبل ولا تموت، وتكمن ولا تزول. فإذا أصاب الإنسان من شدائد الحياة وكوارثها ما لا قبل له به، ولا يد له ولا للناس في دفعه، ولا رفعه، فسرعان ما تزول القشرة السطحية المضللة، وتبرز الفطرة العميقة الكامنة، وينطلق الصوت المخنوق المحبوس، داعياً ربه وحده، منيباً إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ﴾ [الإسراء: ٦٧].

الصمد:

واسم الصمد لم يأت في القرآن إلا مرة واحدة، في قوله تعالى في سورة الإخلاص: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].

ومعنى (الصمدية) في صفته تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، كما روي عن ابن عباس ترجمان القرآن، يعني: الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم^(١). وعنه: هو السيّد الذي كُمل في سؤدده، والشريف الذي كُمل في شرفه، والعظيم الذي كُمل في عظمته، والحليم الذي كُمل في حلمه، والعليم الذي كُمل في علمه، والحكيم الذي كُمل في حكمته، وهو الذي قد كُمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، ولا يشبهه شيء، فسبحان الله الواحد القهار^(٢).

(١) رواه أبو الشيخ في العظمة (٩٢)، بنحوه.

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٨).

وقال أبو وائل: الصمد السيّد الذي قد انتهى سؤدده^(١). وعن ابن مسعود مثله^(٢).

وقال الحسن وقتادة: الصمد هو الباقي بعد خلقه^(٣).

وقال الحسن: هو الحيّ القيوم الذي لا زوال له^(٤).

وقال عكرمة: هو الذي لا يخرج منه شيء^(٥).

وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد، كأنه جعل ما بعده تفسيراً له، وهو قوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

وقال السّدي: الذي لا جوف له.

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب^(٦).

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب (السنة) له، بعد إirاده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير ﴿الصّمدُ﴾: وكلُّ هذه صحيحة، وهي صفاتُ ربِّنا وعلِّك، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك أيضاً^(٧).

(١) رواه البخاري تعليقاً (١٨٠/٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٧١)، وصحح إسناده الألباني.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٦٦٦)، وحسن إسناده الألباني.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٦٧٩)، وصحح إسناده الألباني.

(٤) رواه أبو الشيخ في العظمة (٩٣).

(٥) رواه الطبري في التفسير (٦٩١/٢٤).

(٦) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٦٨٢)، وصححه إسناده الألباني.

(٧) الأسماء والصفات للبيهقي (١٥٧/١ - ١٥٩).



قال حجة الإسلام الغزالي: «هو الذي يُصمد إليه في الحوائج، ويُقصد إليه في الرغائب، إذ ينتهي إليه منتهى السؤدد، ومن جعله الله تعالى مقصد عباده في مهمات دينهم ودنياهم، وأجرى على يده ولسانه حوائج خلقه؛ فقد أنعم عليه بحظٍّ من معنى هذا الوصف، لكن الصمد المطلق هو الذي يُقصد إليه في جميع الحوائج، وهو الله ﷻ»^(١).

ما لي - وقد فرطت في أمري - سوى
ما كان من عذر لتقصيري سوى
كسلى عن الخيرات جدّ ثقيلة
نامت وأهل الجد قوَّام، ولم
لم تحذُ حذو الصادقين، وظهرها
قعدت، ولم تبذل كما بذلوا، ولم
أشهدتها ربّي: «ألستُ برّبكم؟»
ودنوت منها بالعطاء تحبُّبا
يا رب، في الأولى سترت نقائصي
ما لي سواك إذا الخطوب تفاقت
لو كان لي رب سواك رجوته

ربّ إلى نفحاته أتعرضُ
نفسٍ تقاد إلى الجنان فتعرضُ
وهي الجواد إلى البطالة يركضُ
تنفض غبار النوم فيما يُنفض
من زحمة الأوزار أوشك يُنقض
تسمع دعاء الله: «من ذا يُقرضُ؟»
قالت: بلى، فلما تحيد وتنقضُ؟
يا ويحها، بالجهل منك تبغضُ!
فأتم سترك يوم عندك أعرضُ
أمري إليك على الدوام مفوّض
فلمن أمدُّ يدي ومن أستقرضُ^(٢)؟

(١) المقصد الأسنى ص ١٣٤.

(٢) من قصيدة: مناجاة، في ديواني: نفحات ولفحات.

الله بكل شيء عليم

ومن أسماء الله تعالى الحسنى التي نطق بها القرآن العظيم، وأكدتها السنة المشرفة، وأجمعت عليها الأمة كافة: اسم (العليم)، الذي يوجب لله تعالى صفة العلم، فهو العليم بكل شيء، مما صغر أو كبر، مما دق أو جلّ، مما خفي أو ظهر، مما هو منظور وما هو غير منظور، من عالم الأفلاك والسموات التي بينها وبين بعض نجومها ملايين السنوات الضوئية، ومن عالم الجمادات والنباتات وعوالم الحيوانات البرية والبحرية، والزواحف والوحوش والحشرات وغيرها، ومن عالم الإنس الذي يرى، وعالم الجن الذي لا يرى، ومن العوالم العاقلة كعالم الملائكة، ومن كل ما غاب عن الإنسان بحكم تكوينه، والذي يسمى (عالم الغيب).

الله يعلم هذه الأشياء كلها؛ لأنه خالقها، ومدبر أمرها، ومُجري رزقها لمن يحتاج إلى الرزق منها، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وهو جل شأنه يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون؛ كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ

شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿ [إبراهيم: ٣٨]. ويقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة: ٧]. ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]. ويقول سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]. ويقول: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢].

علم الساعة:

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقد جاء في صحيح البخاري تسمية هذه الأمور الخمس: (مفاتيح الغيب)^(١).

وعِلْمُ السَّاعَةِ انفرد الله تعالى به، ولم يعطه لأحد من خلقه، ولمَّا سأل النبي ﷺ جبريل ﷺ عن الساعة في الحديث المشهور الذي رواه الشيخان، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»^(٢).

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٦٩٧)، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس...».

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

وقد ذكر القرآن سؤال كثيرين عن الساعة، فأحالهم الله تعالى إلى علمه وحده، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وفي بعض الأحيان يعلن القرآن عن قربها: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

ولكن القرب هنا أمر نسبي؛ بالنسبة لعمر الأرض، أو لعمر الكون، ويقدرونه بما شاء الله من الملايين، وقد اعتبرت بعثة الرسول الكريم، وخاتم الرسل محمد ﷺ، من أشراط الساعة وعلاماتها، التي يسمونها العلامات الصغرى. قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْثَةٌ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

وقد قال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين». ومدَّ إصبعيه السبابة والوسطى^(١).

علم المخلوقات:

كل المخلوقات في السماوات، أو في الأرض، لها علم محدود، تستطيع أن تنميه وتوسّعه، وتضيف إليه، وتعُدّل منه، كلما جاءها جديد تصحّح به القديم، أو تزيده وتعمّقه، أو تنقصه وتغيّره إلى ضده. وتستطيع أن تقول في بعض ما تُسأل عنه: لا أعلم، أو لا أدري. كما يفعل كثير من أئمة العلم؛ فقد سئل مالك عن أربعين مسألة، فقال في

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الطلاق (٥٣٠١)، ومسلم في الفتن (٢٩٥٠)، عن سهل بن سعد الساعدي.

ستّ وثلاثين منها: لا أدري^(١). وقال ابن عباس: لا أدري نصف العلم^(٢). وقال سيدنا موسى حين سأله فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿ [طه: ٥١، ٥٢]. وكما قالت الملائكة حين سألهن الله عن أسماء بعض الأشياء: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، وقال الله تعالى عن البشر: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال لخاتم رسله محمد: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى على لسان الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى على لسان عبده ورسوله المسيح: ﴿تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

والإنسان وإن اتسع علمه، وعلت مداركه، وحصل على أعلى الشهادات، وأرقى الدرجات في الرُّتَب العلمية، لا تزال تؤخذ عليه غفلات، وتُستدرك عليه هفوات، وتُكتب عليه أخطاء.

وقد رأينا الكنيسة الغربية ارتكبت مجازر بشرية ضد العلماء المفكرين المكتشفين لحقائق جديدة تدحض الخرافات التي كان علماء العصر الوسيط في أوروبا يتعلمونها ويعلمونها، ويعتبرونها حقائق لا تناقش، فمن اكتشفوا كروية الأرض حكم عليهم بالإعدام - في حين كان المسلمون يقررونها في كتبهم الدينية المطولة^(٣) - وأقيمت محاكم التفتيش لإعلان الحرب على هؤلاء الذين يزعمون أنهم مجددون.

(١) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (٣٣٨/٢)، نشر مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) رواه البلاذري في أنساب الأشراف (٥٢/٤)، عن ابن عباس.

(٣) مثل ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٨/٢)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

وللجهل وللخطأ عند الإنسان أسباب كثيرة، منها نقصه الذاتي، وأن من طبيعته النسيان، كما قال الشاعر:

وما سُمِّيَ الإنسانُ إلا لنسيه وما القلب إلا أنه يتقلبُ

وقال رفيق موسى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]. كما أن الإنسان قد يخطئ في القضايا الاجتهادية التي تحتمل أكثر من رأي، لا بد أن يكون واحد منها صواباً والباقي خطأ، وفي القضايا العلمية التي يتعرض العلماء المتبحرون للحكم فيها بالاجتهاد: من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد.

وقال الرسول المعلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكْرِهوا عليه»^(١).

وعلمنا الله في آخر آية في سورة البقرة أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وجاء في صحيح مسلم أنه تعالى أجاب الدعاء^(٢).

وكثير من الأشياء التي يطلب الإنسان معرفتها يجدها فوق طاقته، وكثيراً ما تبحثُ المجامع في مسائل ضاق عنها علم الأفراد، وما زال في كل عصر علم جديد، غاب عن الأولين، والتقطه الآخرون، وكم من أُلغاز وقف الناس جميعاً فيها حيارى.

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٥)، وابن حبان (٧٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. والحاكم في الطلاق (١٩٨/٢)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٦٤)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٩٩)، عن أبي هريرة، وعن ابن عباس (٢٠٠)، بلفظ: «قال: قد فعلت».

وكم من عالم انتقل من علم إلى علم آخر، من اللغة إلى الفقه، أو من التفسير إلى الحديث، أو من مذهب إلى مذهب آخر، مالكي يصبح شافعيًا، أو العكس، أو شافعي يصبح حنفيًا، كأبي جعفر الطحاوي. وكم من متدين يصبح فاسقًا، وهو نادر، وكم من فاسق يصبح صالحًا، وهو الأكثر، وكم من مسلم قد يصبح كافرًا، وهو نادر جدًا، وهو أمر مشاهد معروف، وكم كافر يصير مسلمًا، وهو الأصل. وكل المسلمين في الأصل كانوا في أول الأمر منتقلين من وثنية أو مجوسية أو يهودية أو نصرانية. وكم من بلاد كاملة، انتقلت من ديانة إلى ديانة، مثل جزيرة العرب، التي انتقلت من الوثنية إلى الإسلام.

الله ﷻ يعلم تغير هؤلاء الناس، ومراحل هذا التغير، ويكتب لكل منهم ما يستحق ثوابًا وعقابًا.

والعلماء يختلفون أيضًا، فمنهم من يميل إلى الظاهر والحرفية، ومنهم من يتأول، ومنهم من يهتم بمقصد النص ولا يتشبث باللفظ وحده، وعرف هذا في الفقه وأصوله.

ومنهم من آتاه الله بصيرة فيما وراء الظواهر، ومنهم من لم يؤت كل ما أوتي ذلك، ولعل من أمثلة هؤلاء الذين لكل منهم طريقته ويجب عليه أن يتعرف على طريقة الآخر: سيدنا موسى ورفيقه سيدنا الخضر (عليهما السلام)، اللذان ذكر الله قصتهما في سورة الكهف، حيث قال عن موسى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا

فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * [الكهف: ٦٥ - ٨٢].

فانظر إلى هذا العبد الصالح الذي آتاه الله علماً من لدنه، لم يؤته موسى، فهو ينظر إلى بواطن الأمور ومستقبلها، ويبني عليها حكمه. وقد شرح ذلك لموسى، واقتنع به، قال: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا *.

علم الله ليس كعلم البشر:

علم الله تعالى ليس كعلم خلقه من البشر، في كثير من أوصافه وخصائصه ومقوماته، فعلم الله ثابت لا يتغير، فما علمه الله عن شيء فهو يعلمه على حقيقته وصفته، كمًا وكيفًا، ولونًا وعدًا، ولو كان سيتغير لعلم الله أنه سيتغير، وكيف يتغير، وكم يتغير، ومتى يتغير، وإلى أي مدى يتغير.



ثم إن علم الله من ذاته، لا يحتاج إلى معلّم، ولا إلى أداة، ولا إلى وقت، فهو يعلم ما يشاء، متى يشاء، كيف يشاء.

وكذلك علم الله لا يعتريه نقص أو تغيير أو اختلاط بمرور الأزمان والأعصار وملايين السنين، وما جاء في القرآن وغيره أن الله يتلى الناس بالمحن والبلايا ليختبرهم، فلا يعني ذلك: أنه يجهل حالهم، ولكن يعاملهم كمعاملة المختبر، وهو أعلم بهم منهم. كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهو سبحانه صاحب العلم المحيط المستوعب لكل شيء، في عالم الخلق والتكوين، أو في عالم الأمر والتشريع، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ألا يعلم من خلق؟

وهو الذي كشف لخلقه بعض ما أودعه في مخلوقاته، وأجل بعضه فأظهر كثيراً منه فيما توالى من العصور، وما زال بعضه يظهر إلى اليوم، كما قال تعالى في المركوبات: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]. فأخفى عنا كثيراً من وسائل الحمل وأدوات النقل، التي أظهر لنا كثيراً منها في عصورنا الأخيرة، وما زال ينكشف لنا الكثير ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

ما يتعلّمه الناس عن طريق المشافهة، وما يتعلّمونه عن طريق الكتابة، وما يتعلّمونه عن طريق الفكر، وما يتعلّمونه عن طريق الحس، وما

يتعلّمونه عن طريق الحفظ، وما يتعلّمونه عن طريق الجوارح، وما يتعلّمونه عن طريق الخيال، كل ذلك قطرة في جانب بحر علم الله الواسع، الذي لا يحيط به شيء، وهو يعلم ما أظهره وما أخفّوه، وما يمكن أن يظهره، لا يغيّب عنه سرٌّ ولا علانية، ولا يخفى عليه خافية، كما قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿[الملك: ١٣، ١٤]، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

علام الغيوب:

ويدخل في هذا الاسم (العليم)، أو هذه الصفة (العلم)؛ ما جاء في وصفه تعالى بقوله: ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩، ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وكل ما يُبَيِّن من جهات العلم ما يوسّع من شأن هذه الصفة، ويعلي من قدرها وعمقها واتساعها بين الناس، فهذا مما نرغب به، وهو لا يضيف شيئاً جديداً إلى الله تباركت آلاؤه وتقدّست أسماؤه.

الله على كل شيء قدير

كما أَنَّ الله بكل شيء عليم، فهو على كل شيء قدير، فالقدرة من صفاته، والتقدير من أسمائه الحسنى، وقد نطق بذلك القرآن العظيم، وأكدته السنة النبوية، وأجمعت على ذلك الأمة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨، ٢٥٩]، وهو المقتدر أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]. وهو القادر أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وهذه غير ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، فهذا من قَدَرَ الله الشيء، أي: قَدَرَهُ، فهي من التقدير وليست من القدرة.

إنه لا يعجز عن شيء من خلقه، من العقلاء أو غير العقلاء، ممن في الأرض أو في السماء، فكلهم عاجزون ضعفاء أمام قدرته، ومن تتمه هذه القدرة: أنه خلق كل بني آدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ

لَمِيتُونَ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٦]. فخلق الإنسان الأول - وهو آدم عليه السلام - من طين، وفي الآيات: ﴿ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وفي بعض الآيات: ﴿ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤]. أو: ﴿ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٦]. وكله صنف واحد: تراب انضم إليه ماء، فصار طيناً، ثم تحوّل الطين إلى ما تحوّل إليه، ثم سوّى ذلك كله، ونفخ فيه من روحه، وبهذا تكوّن الإنسان الذي أراده الله خليفة في الأرض، كما قال تعالى في سورة الحجر: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴾ [ص: ٧١].

لا يعجز الله تعالى عن شيء أراد أن يخلقه أو يسوّيه ويكمله، كما قال تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣١]. ويقول تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

ولهذا تعجّب القرآن من إنكار المشركين عودة الحياة إلى الإنسان بعد موته، واستبعادهم قدرة الله على ذلك، وقد رد الله تعالى عليهم فأفحمهم وأسكتهم: ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٧٧﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٨﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٩﴾ [يس: ٧٧ - ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

بَيَّنَّ الله تعالى للناس: أنَّ الذي خلق الناس أول مرة، قادرٌ على أن يعيدهم مرة أخرى، بل هو أهون عليه، وكل شيء هين عليه.

كما أنَّ الذي خلق الأكوان العظيمة التي لا يعلم عظمها ولا اتساعها، ولا ما فيها من كواكب وملائكة ومخلوقات إلا الله: الذي خلق هذه الأكوان المنظَّمة البديعة، لا يعجز أن يخلق الإنسان على ضعفه، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

ثم إن الله تعالى لا يخلق بأدوات كأدواتنا، ولا بمحاولات كمحاولاتنا، بل أمره كما أخبرنا عن نفسه بين الكاف والنون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٦٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٥، ٦].

معنى القدير والمقتدر:

قال الإمام القرطبي: «الله جَلَّالَهُ قَادِرٌ مُّقْتَدِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّنْ يَقْبَلُ الوجود والعدم، والقدير اسمه، والقدرة صفته، والاقتدار فعله.

قال الحلبي: (القدير) المظهر قدرته بفعل ما يقدر عليه، وقد كان ذلك من الله تعالى فيما أمضاه، وإن كان يقدر على أشياء كثيرة لم يفعلها، ولو شاء لفعلها. فاستحق بذلك أن يسمى مقتدراً^(١).

وقال الخطابي: (المقتدر) هو التام الذي لا يمتنع عليه شيء، ولا يحتجز عنه شيء بمنعة وقوة. ومقتدر: وزنه مفتعل من القدرة، إلا أن الاقتدار أبلغ وأعم؛ لأنه يقتضي الإطلاق، والقدرة قد يدخلها نوع من التضمين بالمقدور^(٢). فهو المقتدر يظهر بقدرته على المقدورات؛ ويعلو عليها فيغلبها. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]. فوصف سبحانه نفسه بأنه الملك المقتدر عند البلوغ من مراده من عباده، وأشعر ذلك بدوام اقتدار إلى ما لا نهاية. وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، مُشْعِرٌ بالأوائل والأواخر.

فالقدير: التام القدرة الذي لا يلبس قدرته عجز بحال، وهو الله عَزَّوَجَلَّ، فقدرته سبحانه لإيجاد الموجودات من الممكنات، وقوته وأمره لاستغنائه عن الاكتساب والمحاولات واستعمال الجوارح والآلات، التي يمس من يستعملها في الاكتساب التعب والنصب واللغوب والضجر، فالقادر يدل على من له قدرة وتتضمن الحياة وجميع صفات الأفعال.

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٨٠/١).

(٢) المصدر السابق.



وأجمعت الأمة من أهل السنة: أن الله قادر على كل شيء مقدور عليه، موجودًا كان أو معدومًا، خيرًا كان أو شرًّا، حسنًا كان أو قبيحًا، لم يشركه في خلق ذلك شريك، ولم يستظهر عليه بظهير، وما كان جلًّا جلاله ليتخذ المضلين عضدًا، بل هو الغنيُّ الحميد، خلق القادرين سواه، المتصفين بالقدرة، وخلق قُدْرهم، فهو سبحانه الموصوف بالقدرة على الإبداع كله، والإيجاد كله، والخلق كله، والقادرون سواه غير موصوفين بالقدرة على شيء من ذلك كله، إلا على مقدور يسمى: الكسب. وكل ذلك مقدور للقادر الحق، خلقهم وخلق قُدْرهم وعملهم وما يعملون، على هذا انعقد إجماع المهتدين، وأصفق عليه إصفاق العالمين^(١)...

تعامل العبد العاجز مع ربه القادر:

وإذا علم العبد أن ربه **عَزَّ وَجَلَّ** قادر، وأنه لا يعجزه مقدور، ولا يجوز أن يخرج مقدور عن قدرته، فيخاف عذابه، وأنه قدير على أنواع العذابات والعقوبات فلا يأمنه، وكذلك فلا يئس من رحمته. ويرجوه رجاء من يُعلم أنه قادر على توصيل كل مرجوٍّ، وإنالة كل محبوب، على أحسن المآخذ، وألطف المسالك، واسأله يملأ قلبك رجاءً له، ومخافة منه^(٢).

* * *

(١) قال ابن منظور: أصفقوا على الأمر: اجتمعوا عليه. اللسان مادة (ص. ف. ق).

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٢٥٨ - ٢٦١.

اللهُ فَعَّالٌ لَمَّا يُرِيدُ

كما أن الله تعالى على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو سبحانه الفَعَّالُ لما يريد، كل ما في الكون بإرادته، وما يصدر عن الخلائق من خير أو شر، من طاعة أو معصية، فهو بمقتضى مشيئته، لا يقع شيء في كونه إلا بمشيئته التامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]. فمشيئتنا الإنسانية هي جزء من مشيئة الله العامة في الكون، فلسنا نعمل رغم مشيئة الله تعالى، أو ضد مشيئة الله تعالى، ولكن بعض ما يشاء سبحانه يرضاه ويحبه، وبعضه يقع بإرادته ومشيئته، ولكن لا يرضاه ولا يُحِبُّه، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. فهو سبحانه يُمضي الكون وفق سننه التي يراها، وهي سنن عامة وثابتة، كما قال: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

لا يستطيع أحد أن يُكرِه الله تعالى على شيء لا يريد أن يقع أو لا يكون، ومن هذا الذي عنده القدرة على أن يُكرِه الله جَلَّالَهُ على ما لا يريد؟ وكل من في الكون عُلُوِّيَّهٌ وَسُفْلِيَّهٌ هم عبادُه، وهم مخلوقون

له، مسخرون بأمره ولأمره، ولو أراد أن يميتهم جميعاً في لحظة واحدة لفعل، ولكنه ﷺ رتب هذا الكون ترتيباً بديعاً وفق حكمته، على ما مضت به مشيئته، فالمشيئة هنا موافقة للحكمة، لا تنفصل عنها، فكل ما يطلب من القادر على كل شيء، الفعّال لما يريد، المعطي والمانع لما يشاء ومن يشاء، لا بد أن يقع وفق حكمة الرب العليم الحكيم، الذي لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا يخلق شيئاً باطلاً، ولا يترك شيئاً سدى، وإنما تقع مراداته ﷻ في هذا الكون وفق سنن ماضية، تسير المخلوقات كلها تبعاً لها، مرتبة بعضها على بعض، تبعاً لنظام حكيم، وترتيب متقن، ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، وهي سنن عامة ثابتة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وكما ذكرنا قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

ولذلك كانت أفاعيله تعالى في خلقه، وبلاياه بين خاصة عباده، تقع في هذه الدائرة، وقد يظن الجاهلون أنها وقعت عن غفلة، ولكن العارفين بمقام الله تعالى وسعة علمه وعمق حكمته يعرفون أن كل شيء له قدره المقدور، لا يعلم إلا في حينه.

انظر إلى ما جرى ليوسف عليه السلام في صغره من محن، ربما رآها الناس كثيرة على هذا الطفل الصغير الجميل البريء، الذي فقد أمه، ولكن الله كان يهيئه لأمر عظيم، لإنقاذ أقطار من الأرض من محنة اقتصادية، كادت ترددهم وتهلكهم لولا وجود يوسف في مصر في الموقف الذي يمكنه أن ينقذهم منه، فجلّ من لا يعلم حكمته إلا هو.

الله يريد، والإنسان يريد، فكيف تكون للإنسان إرادة مع إرادة الله؟ هذا هو الذي جعل بعض الناس يصعدون ويهبطون، ويقبضون ويبسطون، ويوسعون ويضيّقون. فقد نظروا إلى أمر، ونسّوا أمرًا آخر، وضيّقوا في ناحية، ووسّعوا في أخرى.

فالواقع أنّ على العاقل أن يأخذ الأمر بكل ما فيه، وأن ينظر إليه باعتدال وتوازن، وأن يعطي كلّ ذي حقّ حقّه، ويسلّم فيما لم يصل إليه علمه إلى من يعلمه ولا يخفى عليه.

فالله هو الخالق، القادر على كل شيء، الفعال لما يريد، العادل الذي لا يظلم أبدًا، ولا يعاقب إنسانًا بغير ما فعل، ولا يضيع ثواب إنسان على ما فعل.

والإنسان هو المخلوق المربوب لخالقه، الذي يفعل بإرادته التي أعطاه الله إياها من عنده، كما أعطاه القدرة والعلم، فالإنسان يدبّر أعماله بإرادته في ضوء الإرادة الإلهية، ويتحمّل نتيجة عمله الاختياري الذي ليس فيه إكراه ولا إجبار، وإن دخل فيه إجبار أو إكراه فلا إثم عليه، حتى الكفر يُكره عليه لا عبرة به، ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]. وكذلك من ألجأته الضرورة إلى الحرام، فلا إثم عليه، ولذا قال تعالى لمن أكل الميتة أو الدم أو لحم الخنزير أو ما أهّل لغير الله به: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ومعنى أن الله فعال لما يريد أنه سبحانه صاحب الإرادة المطلقة، فإذا أراد شيئًا لم يمنعه مانع، ولم يقف في وجهه شيء، مهما أراد فعله، لا مُعَقَّبَ لحكمه، ولا يُسأل عمّا يفعل، بحيث لا يتخلّف مرادٌ



من أفعاله تعالى وأفعال غيره، وذلك لعظمته وقهره، وحكمته وعدله. كما رُوي عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال لي: إني فعَّال لما أُريد^(١). و(فعَّال) صيغة المبالغة؛ لأنَّ ما يريد ويفعل في غاية الكثرة.

* * *



(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨١).

الله الرحمن الرحيم

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾

[الحشر: ٢٢].

من أسماء الله تعالى الحُسنى الدالة على صفاته العليا: الرحمن الرحيم، وهما الاسمان الكريمان للذات الإلهية، اللذان أصبحا جزءاً من (البسملة) الإسلامية المحفوظة، التي يفتح بها المسلمون أعمالهم، والتي ابتدأ بها القرآن الكريم الفاتحة أولى سُورِهِ، والتي وُضِعَتْ في أول كل سورة من القرآن، إلا سورة التوبة؛ لأنها سورة جاءت تُلغي عهود الكفار، وتُنذرهم بقتال ضارٍ لا توقُّف فيه، فلا مجال للتسمية في هذه السورة بذكر هذين الاسمين.

صفة الرحمة بين القرآن والكتاب المقدس:

والرحمن الرحيم قد وردا في فاتحة الكتاب، واقتربنا معاً في كل بسملات القرآن في أوائل السور، واقتربنا في غيرها من آيات القرآن خمس مرات، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وذكر اسم الرحمن وحده في القرآن من غير ذكر اسم الرحيم ٥٧ مرة، وذكر اسم الرحيم ٩٤ مرة معرّفًا ومنكّرًا، وذكر مرة واحدة منكّرًا وصفًا للرسول محمد ﷺ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وذكر القرآن (رحيمًا) في حالة النصب وصفًا لله ٢٠ مرة.

غير المرات الأخرى الكثيرة التي ذكرت فيها مادة (رحم) نحو: (من رحمته)، و(من رحمتنا)، و(رَحِمَ)، و(يرحم)، و(ارحم)، إلخ. وقد تكرر هذان الاسمان واقترنا كثيرًا في السنة النبوية الصحيحة، وأجمعت عليهما الأمة.

وتكرار ذكر صفة الرحمة لله في القرآن الكريم لا تجد مثله في كتاب آخر، اقرأ ما يسمّى الكتاب المقدس بـ (عهده القديم)، وفيه أسفار التوراة الخمسة وملحقاتها، و(عهده الجديد)، وفيه الأناجيل الأربعة وتوابعها، وانظر هل تجد اسم (الرحيم)، أو (الرحمن)، أو (الرحمة) بهذه الكثرة التي ذكرت في القرآن؟!

والعجيب أنهم مع هذا يزعمون أن الإسلام دين العنف، وأن الله في تصور المسلمين إله قاسٍ؛ لأن من أسماء الله (الجبار)!

واسم (الجبار) لم يُذكر في القرآن إلا مرة واحدة في سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقد ذكر في الآية التي قبلها: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]، وفي الآية نفسها: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ الذي يؤمن عباده من الخوف، أغفلوا هذا كله، وزعموا أن الإسلام دين العنف!

اقرأ التوراة وملحقاتها، واقرأ الأنجيل وتوابعها، لا تجد ذكر الرحمة لله كما في القرآن، بل تجد في (سفر الخروج) من أسفار التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى جميعاً وصف الإله بالغيرة والانتقام، حتى إنه يعاقب الأبناء بذنوب الآباء، والأحفاد إلى الجيل الرابع بآثام الأجداد، ففي سفر الخروج: «لأنني أنا الرب إلهك، إله غيور، أفقد آثام الآباء في البنين، حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضي»^(١).

الفرق بين اسمي الرحمن والرحيم:

الرحمن عَلَّم على الله تبارك وتعالى، مشتق من الرحمة، لا يُوصَف به غير الله، بخلاف الرحيم فيوصف به غيره، قال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا». قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم. قال: «إنه ليس برحمة أحدكم خاصته، ولكن رحمة العامة»^(٢).

فالرحمن عَلَّم على الذات الإلهية، وهو أبلغ من الرحيم، وهو يُعامل معاملة لفظ الجلالة، في إيقاعه مبتدأ يُخبر عنه بأخبار هي من خصائص الله وحده، وهو يُدعى كما يُدعى الله، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟﴾ [الفرقان: ٦٠]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿أَنْ دَعُوا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾

(١) سفر الخروج (٢٠/٥).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٥٩٢٨)، والحاكم في البر والصلة (١٦٧/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي موسى الأشعري.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩١ - ٩٣]، ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

والنبي ﷺ يحث المسلمين على أن يسمُّوا أبناءهم بعبد الله وعبد الرحمن، فيقول: «أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى: عبد الله وعبد الرحمن»^(١). ويقاس عليهما سائر الأسماء المنصوص عليها.

والرحمن (فَعْلَان) من الرحمة، وصيغة (فَعْلَان) تدل على الامتلاء، فهي صيغة مبالغة، أي: هو العظيم الرحمة، المبالغ في الرحمة؛ لأن رحمته وسعت كل شيء.

أما رحيم فعلى وزن (فَعِيل) بمعنى فاعل، أي راحم، وبناءً فعيل أيضاً للمبالغة كعالم وعليم، وقادر وقدير.

وقد حاول المفسِّرون أن يفرِّقوا بين اسم الرحمن واسم الرحيم، فقالوا: الرحمن: المنعم بجلال المنعم، والرحيم: المنعم بدقائق النعم. وقالوا: رحمن الدنيا، ورحيم الآخرة. وقالوا غير ذلك.

لكن ما قالوه ليس عليه دليل قاطع، غاية ما هنالك أن كلا من الرحمن والرحيم مبالغة في إثبات الرحمانية والرحمة لله تبارك وتعالى.

قال الإمام الغزالي: «الرحمن أخصُّ من الرحيم؛ ولذلك لا يسمى به غير الله ﷻ، والرحيم قد يطلق على غيره، فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله تعالى الجاري مجرى العلم، وإن كان هذا مشتقاً من الرحمة قطعاً، ولذلك جمع الله ﷻ بينهما، فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا

(١) رواه مسلم (٢١٣٢)، وأبو داود (٤٩٤٩)، والترمذي (٢٨٣٣)، ثلاثتهم في الآداب، عن ابن عمر.

تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿[الإسراء: ١١٠]﴾. فيلزم من هذا الوجه، ومن حيث منعنا الترادف في الأسماء المحصاة، أن يفرق بين معنى الاسمين.

فبالحري أن يكون المفهوم من الرحمن نوعاً من الرحمة هي أبعد من مقدورات العباد، وهي ما يتعلق بالسعادة الأخروية، فالرحمن هو العطوف على العباد، بالإيجاد أولاً، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً، وبالإسعاد في الآخرة ثالثاً، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً^(١).

رحمة الله عامة وتامة وسعت كل شيء:

من أوصاف رحمة الله في القرآن: أنها وسعت كل شيء، قال الله تعالى على لسان موسى: ﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. ولذلك يقول الملائكة في دعائهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

العذاب مُقَيَّد بالمشيئة، أما الرحمة فوسعت كل شيء، تسع الأحياء باختلاف أنواعهم، وتسع غير الأحياء أيضاً من الجمادات والأفلاك والشمس والقمر والنجوم، فهي تمنعها من أن تصطدم فيدمر بعضها بعضاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِذْ مَسَّكُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١].

رحمة الله وسعت الأرض، وما في الأرض، ووسعت السماء، وما في السماء.

(١) المقصد الأسنى ص ٦٢.

ومن سعة هذه الرحمة أنها عامة تشمل عباد الله جميعًا، مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، مطيعهم وعاصيهم، لا تضيق رحمة الله بأحد من خلقه، فإنه يُطْلَع شمسُه على المؤمن والكافر، ويُنْزِل مطرُه على البر والفاجر، الكل يستفيد من خيرات الله، لا يُبْعَد أحدًا عن خيره ورحمته من أجل معصيته.

رحمة الله تامّة غير ناقصة، بعكس رحمة الرحيم من البشر فهي محدودة؛ لأن البشر ليسوا كاملي القدرة، ولا كاملي الإرادة، ولا كاملي العلم، يحيط بهم العجز والجهل والاضطرار من كل ناحية، أما الله ﷻ فرحمته تامة؛ لأنه لا يعوقه شيء، ولا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فإذا أراد أن يُوصِّل خيرًا إلى مخلوقه لم يمنعه مانع، ويوصله إليه كما يحب وكما يريد.

ورحمة الله ممتدة في الزمان كما هي ممتدة في المكان، تشمل - كما قلنا - السماء والأرض، وتشمل الدنيا والآخرة، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»^(١).

قال الإمام الغزالي: «الرحمن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحومًا، ولا مرحوم إلا وهو محتاج، والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية بالمحتاج لا يسمى رحيماً، والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها، فإن كان قادرًا

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٢) (١٩)، وأحمد (٩٦٠٩)، عن أبي هريرة.

على قضائها لم يُسمَ رحيماً؛ إذ لو تمت الإرادة لَوَفَّى بها، وإن كان عاجزاً فقد يسمى رحيماً باعتبار ما اعتوره من الرِّقَّة، ولكنه ناقص.

وإنما الرحمة التامة: إفاضة الخير على المحتاجين، وإرادته لهم عناية بهم.

والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، المؤمن والكافر، ورحمة الله وَعَلَى تَامَّةٍ وَعَامَّةٍ؛ أما تمامها، فمن حيث إنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها، وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعمِّ الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما، فهو الرحيم المطلق حقاً^(١).

أرحم الراحمين وخير الراحمين:

لذا فقد وصف القرآن الله تعالى بأنه (أرحم الراحمين) خمس مرات، وأنه (خير الراحمين) مرتين. منها قوله تعالى على لسان يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام حين قال لأبنائه وهو يوصيهم: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَام لإخوته حين قالوا له: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * [يوسف: ٩١، ٩٢].

وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

(١) المقصد الأسنى ص ٦٢.

وقال القرآن على لسان أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقال تعالى على لسان المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

وقال الله تعالى في ختام السورة لرسوله محمد، ولكل من يصلح للخطاب بعده: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]. فهو أرحم الراحمين وخير الراحمين.

من آثار الرحمة الإلهية:

وآثار رحمة الله قد امتلأ القرآن العظيم بذكرها: رحمته في عالم الخلق، ورحمته في عالم الأمر.

فمن آثار رحمته في عالم الخلق أنه قسم اليوم إلى ليلٍ يرتاح فيه الناس، ونهارٍ يطلبون فيه الرزق ويتغنون من فضل الله، ولم يجعل الليل سرمداً دائماً إلى يوم القيامة، ولا النهار سرمداً دائماً إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣].

ومن رحمة الله إنزال المطر لتحيا به الأرض ومن عليها: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠].

يحيا البلاد والعباد بعد أن قنطوا ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٨، ٤٩].

وتصبح الأرض مخضرة بعد أن كانت قاحلة لا زرع فيها، فإذا بها وقد تنوع نباتها وتعدد ثمرها ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

ومن رحمة الله: أنه تكفل برزق الناس جميعًا، بل ضمن لهم رزقهم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]. فكل دابة مهما ضعفت وصغرت، هيأ الله لها أسباب الرزق، من غير حول منها ولا قوة، فهو سبحانه يرزق الدودة العمياء في بطن الصخرة الصماء.

وقد قدر الله تعالى للناس في الأرض أرزاقهم قبل أن يخلقهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ [فصلت: ١٠].

ومن رحمة الله ﷻ: أنه يجيب دعاء من دعاه، فيشفي المريض، ويُقَوِّي الضعيف، وينصر المظلوم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

يستجيب دعاء العاجزين الذين لا ملاذ لهم إلا الله، ولا قوة لهم إلا بالله، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]. ويرفع إليه المظلومين الذين يستنصرون الله فينصرهم من فوق سبع سماوات، كما جاء في الحديث: «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»^(١).

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرجه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

فالمؤمن حق الإيمان لا يئس من رحمة الله أبداً، حتى إذا لم تكن الأسباب أمامه ظاهرة، فالله هو واضع الأسباب والمسببات، وواضع السنن، وكثيراً ما يخرقها لعباده بالمعجزات لأنبياؤه المرسلين، وبالكرامات لأوليائه الصالحين، كما قال سيدنا إبراهيم حينما بشرته الملائكة بغلام عليم: ﴿ قَالَ أَبَشِّرْهُمُنِي عَلَىٰ أَن مَّسَنِي الْكَبِيرُ فِيمَ بُشِّرُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا بُشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَنِيطِينَ ﴾ ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ ۖ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٤ - ٥٦]، وقالت امرأته: ﴿ ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣]. أتى الله إبراهيم عليه السلام إسحاق غلاماً عليمًا وهو شيخ كبير، وقبله آتاه إسماعيل غلاماً حليماً وهو شيخ كبير. كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وزكريا عليه السلام دعا ربه: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وفي موضع آخر: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٣ - ٦]. فاستجاب الله له، ووهبه يحيى، لم يجعل له من قبل سمياً، ﴿ قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۖ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٨، ٩].

إن كل رحمة في قلوب البشر مهما بلغت، بل كل رحمة نراها بين الخلائق العجماء؛ ما هي إلا قبس من رحمة الله تعالى، لذا قال الله تعالى

لنبيه ﷺ: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فالله مصدر كل رحمة.

وفي الحديث المتفق عليه: قُدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبيًا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟». قلنا: لا والله، وهي تقدر على ألا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

رحمة الله في عالم الأمر:

هذه رحمته في عالم الخلق، ورحمته في عالم الأمر أنه أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأنزل الكتب وما فيها من الشرائع رحمة للناس، كما قال الله تعالى عن التوراة: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، وقال عن القرآن كتابه الخاتم: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البجائية: ٢٠]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال لرسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال النبي ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٩)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٤)، عن عمر بن الخطاب.

(٢) رواه الحاكم (٣٥/١)، وصححه، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

وقد أشار الإمام ابن القيم إلى هذه الرحمة التي اكتنفت أحكام الشريعة الإسلامية كلها فقال: «إن الشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، ومصالح كلها، وإن كل مسألة فيها خرجت من الحكمة إلى العيب، ومن العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدها، ومن المصلحة إلى المفسدة، فليست من الشريعة في شيء، وإن أُدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه، وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهُدهد الذي به اهتدى المهتدون، وشفائوه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، حاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطُوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله ﷻ خراب الدنيا وطَيَّ العالم رفع إليه ما بقي من رسومها، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة»^(١).

مضاعفة ثواب الحسنات:

ومن آثار رحمة الله: مضاعفة ثواب الحسنات ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

(١) إعلام الموقعين (١٢/٣)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت،

ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

فالسّيئة تجزى بسّيئة مثلها، أو يعفو الله عنها، أو يتوب العبد منها، أو يشفع له الملائكة أو الأنبياء أو المؤمنون فيها.

والسّيئة إذا أقبل عليها الإنسان ثم غلب عليه خوف الله وحساب الآخرة، فتركها، تكتب في ميزان حسناته.

والحسنة يمكن أن تضاعف أكثر من عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله، كما قال تعالى في وصف الصدقة في سبيل الله: ﴿مَثَلُ الَّذِي يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. وما يصفه الله جل شأنه بالعظمة، فهو شيء فوق تصورنا للعظمة.

فالله لا يضيع ثواب الحسنة يقدمها الإنسان الصالح، وإن كانت مثقال ذرة، أو مثقال حبة خردل، ويضاعف له أجرها، بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى ما هو أكثر، ثم يزيد على ذلك ليؤتي من لده أجرًا عظيمًا.

وهكذا ترى في مجال الحسنات يُعامل الله بغير ما يعامل به السيئات؛ الحسنات تضاعف وتزداد: بالنية، وبدعاء الصالحين، أو بمصاب المصابين، وبأسباب كثيرة، ولكن السيئة لا تضاعف ولا تزداد على المكلف، بل إن الله تعالى بأدنى الأشياء يزيلها، ولو بشفاعة الشافعين، أو بدعاء الصالحين، أو بفضل ورحمته، وهو أرحم الراحمين.

الله أرحم الراحمين، فلماذا خلق الشر؟

هنا يعنُّ لبعض الناس سؤال مهم، عن الشرور في هذا العالم: هل يخلق الله الشرَّ؟ وهل يليق بالرحمن الرحيم، البرّ الكريم، أن يخلق الشرَّ؟ ولماذا لم يكفنا الشرَّ ويرحمنا منه، وهو الغني الذي بيده كلُّ شيء؟

ولا مفر من الجواب المطلوب هنا، وهو أنَّ الله تعالى لا يخلق (الشرَّ)، أعني الشرَّ المطلق المقصود لذاته، بل هو مصدر الخير والنعم كلّها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨].

وقد قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقال النبي ﷺ في مناجاة ربه: «الخير بيديك، والشرُّ ليس إليك»^(١).

وكلُّ ما نراه من شرٍّ في هذا الكون إنما هو شرٌّ جزئيّ نسبيّ، في مقابل الخير الكلّي المطلق العام، وهذا الشر من لوازم هذا الخير.

انظر إلى خلق الإنسان، فلا ريب أن خلق الإنسان في ذاته خير، وإعطاءه العقل والإرادة والقدرات التي تؤهّله للخلافة في الأرض خير، وتمييزه بالتكليف وحمل الأمانة - التي عُرضت على السماوات والأرض والجبّال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها - خير، وهدايته النجدين،

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١)، وأحمد (٨٠٣)، عن علي، ونصه: «... والخير كله في يديك، والشر ليس إليك».

وإلهام نفسه التقوى والفجور خير، وإرسال الرسل له، وإنزال الكتب، وقطع المعاذير بالنسبة له خير، وتحمله المسؤولية عن أعماله الظاهرة والباطنة خير، فإذا ترتّب على هذا الخير أنه قد يكفر برّبّه، أو يكذب رسله، أو يُسيء في عمله، ليستحقّ عقوبة ربّه الذي لا يخاف أحد عنده ظلمًا ولا هضمًا، وإنما يجزي كلّ نفس بما كسبت، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. فهذا شرّ جاء للإنسان، نتيجة لسوء عمله، وعدم استفادته من الخير الذي هيّأه الله له، وأنعم به عليه.

ونجد أن الله تعالى أنزل لعباده الأمطار، وأجرى لهم الأنهار، وقد يسبب نزول الأمطار، وفيضان الأنهار، مصائب جزئية لبعض الناس، عندما يزيد الفيضان في بعض السنوات، ولكن في مقابل هذه الفئة المتضرّرة، يستمتع الملايين بهذه الحياة، ويعتبرونها نعمة عظيمة من الله، وفي هذا يقول الناس: مصائب قوم عند قوم فوائد.

وقد يفعل الناس هذا بأنفسهم عامدين، موازين بين مصالح وأخرى، كما أقامت مصر (السّدّ العالي) لتخزين المياه خلفه، حتى لا يضيع هدرًا في البحر الذي هو المصبّ، وقد غرقت قرى كاملة وراء السد وخسرها أهلها، وعوّضتهم الدولة، بالهجرة إلى أماكن أخرى بديلة عن قراهم.

وقد كنتُ مرة في زيارة لمدينة عمّان في الأردن، لإلقاء محاضرة في الجامعة، وحاصرني الثلج الذي نزل بقوة، وعطل ألوف السيّارات في الطرق، ووقعنا في أزمة، وقد دخل علينا الليل، ونخشى أن يفرغ (البنزين) من السيارة، فتتعطّل التدفئة، فنهلك من البرد، وبعد نحو ثماني ساعات أو أكثر، جاء الفرج، وتدخلت قوات الجيش والدفاع المدني

والشرطة وغيرها، لإزاحة الثلج، وفتح الطرق للسيارات، وقلنا: الحمد لله على النجاة.

ولكنني في الصباح وجدتُ الناس يهني بعضهم بعضًا على هذا الثلج، الذي يطهر الأرض وينقيها من الحشرات الضارة بالزروع، ويزيد مخزون المياه في الأرض.. ورأيتُ الأولاد يلعبون بالثلج، ويكوّنون منه أشكالًا يتقاذفون بها في بهجة وسرور، فما كنا نحسبه نقمة عند حبسنا، أصبح نعمة عند عامّة المجتمع من حولنا.

لذا فإن المؤمن راضٍ عن نفسه، أعني عن وجوده ومكانه في الكون؛ لأنه يعلم أنه ليس ذرّة ضائعة، ولا كمًّا مهملاً، ولا شيئًا تافهًا، بل هو قس من نور الله، ونفخة من رُوح الله، وخليفة في أرض الله.

المؤمن موقن تمام اليقين أنّ تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه به، ينظر في الأنفس والآفاق فيرى آثار برّه تعالى ورحمته، فيناجي ربّه: ﴿يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] فالخير بيديه، والشرُّ ليس إليه، وما يظنّه الناس شرًّا في الوجود، ليس هو شرًّا في الحقيقة. وإذا كان لا بدّ من تسميته شرًّا، فإنما هو شرٌّ جزئي خاصّ مغمور في جانب الخير الكلّي العام، وهذا الشرُّ الجزئي، أو الشرُّ الموهوم اقتضاه التكافل بين أجزاء الوجود.

هذا التكافل الذي يقول فيه الأستاذ العقاد: «إنّ المعتقدين به - أي بهذا التكافل - يرون أن الشرَّ لا يناقض الخير في جوهره، ولكنه جزءٌ مُتَمِّمٌ له، أو شرط لازم لتحقيقه، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر، ولا معنى للكرم بغير الحاجة، ولا معنى للصبر بغير الشدّة، ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيصة تقابلها وترجح عليها. وقد يطرد هذا

القول في لذاتنا المحسوسة، كما يطرد في فضائلنا النفسية، ومطالبنا العقلية، إذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع، ولا نستمتع بالري ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح»^(١).

هذا هو الكون، الكون متكافل بأجزائه جميعاً، ومن تصور كوناً لا شر فيه قط فهو واهم؛ هذا الشر من لوازم الخير، ولذلك القرآن يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. لم يقل: (بيدك الخير والشر) وإن كان كل شيء بيديه، ولكن الخير مقصود لذاته والشر يأتي تبعاً.

الله ﷻ الذي وسعت رحمته كل شيء لا يقصد خلق الشر، ولا يخلق شراً مطلقاً، إلا لأنه من لوازم الخير، فهو شر جزئي، وشر إضافي، وشر مغمور بالخير عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته.

الخير كله من الله، ولذلك يستحب للإنسان المؤمن إذا ناجى ربه ألا ينسب إليه الشر، ولذلك سيدنا إبراهيم حينما قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿ قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٠] لم يقل: (والذي هو يُمرضني ويشفين) أدباً مع الله؛ كل شيء من الله، وكثيراً ما يأتي المرض باختيار الإنسان، بسوء صنعه الإنسان، بعدم التزام الإنسان بما شرع الله.

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه لعباس محمود العقاد ص ٨، نشر نهضة مصر، القاهرة،

إن آلام الحياة تقوي الإنسان يتعلم منها، أما الذين يؤلّدون وفي أفواههم ملاعق من الذهب، ويعيشون وهم غرقى في الديباج والحرير وبحبوحة النعيم طوال حياتهم لا يتعلمون، إنما يتعلم الذين يعانون الآلام والمصاعب منذ صغرهم.

ليس من أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر:

ومن جميل ما يذكر هنا قول الإمام ابن تيمية: «ليس من أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر، وإنما يذكر الشر في مفعولاته، كقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقوله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ * إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج: ١٢ - ١٤]. فبين سبحانه أن بطشه شديد، وأنه هو الغفور الرحيم»^(١).

ثم قال: «والمقصود هنا التنبيه على أصول تنفع في معرفة هذه المسألة؛ فإن نفوس بني آدم لا يزال يتحرك فيها من هذه المسألة أمر عظيم.

وإذا علم العبد من حيث الجملة أن الله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا، ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. فإنه ﷺ قال في الحديث الصحيح: «الله أرحم بعباده من

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩٦/٨).

الوالدة بولدها»^(١). وفي الصحيحين عنه أنه قال: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة، فيها يتراحم الخلق، حتى إن الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة، واحتبس عنده تسعاً وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك، فرحم بها عباده»^(٢). أو كما قال رسول الله ﷺ^(٣).

الغزالي يسأل ويجيب:

وقد تعرض حجة الإسلام أبو حامد الغزالي لهذا السؤال، وأجاب عنه فقال رحمه الله: «لعلك تقول: ما معنى كونه تعالى رحيماً، وكونه أرحم الراحمين؛ والرحيم لا يرى مبتلى ومضروباً ومعدباً ومريضاً، وهو يقدر على إمطة ما بهم إلا ويبادر إلى إمطته، والرب ﷻ قادر على كفاية كل بلية، ودفع كل فقر وغمة، وإمطة كل مرض، وإزالة كل ضرر، والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادر على إزالة جميعها، وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن؟

(فجوابك): أن الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهراً، والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلاام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقتة، وأن الأم له عدو في صورة صديق، فإن الألم القليل إذا كان سبباً للذة الكثيرة، لم يكن شراً؛ بل كان خيراً.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٩)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٤)، عن عمر.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٢) بنحوه، عن أبي هريرة.

(٣) مجموع الفتاوى (٩٧/٨).



والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر، وفي ضمنه الخير الجزيل، وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، ولكان الشر أعظم.

وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير، ولكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع: السلامة التي هي خيرٌ محض، ثم لما كان السبيل إليه قطع اليد، قصد قطع اليد لأجله، فكانت السلامة مطلوبةً لذاتها أولاً، والقطع مطلوباً لغيره ثانياً، لا لذاته، فهما داخلان تحت الإرادة، ولكن أحدهما مراد لذاته، والآخر مراد لغيره.

والمراد لذاته قبل المراد لغيره؛ ولأجله قال الله **وَعَلَىٰ**: «سبقت رحمتي غضبي»^(١). فغضبه إرادته للشر، والشر بإرادته، ورحمته إرادته للخير، والخير بإرادته. ولكن إذا أراد الخير للخير نفسه، وأراد الشر لا لذاته، ولكن لما في ضمنه من الخير؛ فالخير مقضي بالذات، والشر مقضي بالعرض، وكلٌّ بقدر، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلاً.

فالآن؛ إن خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيراً، أو خطر لك أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكناً لا في ضمن الشر، فاتَّهم عقلك القاصر في أحد الخاطئين.

أما في قولك: إن هذا الشر لا خير تحته، فإن هذا مما تقصُر العقول عن معرفته، ولعلك فيه مثل الصبي الذي يرى الحجامه شراً محضاً، أو

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٥٤)، ومسلم في التوبة (٢٧٥١)، عن أبي هريرة.

مثل الغبي الذي يرى القتل قصاصًا شرًا محضًا؛ لأنه ينظر إلى خصوص شخص المقتول؛ لأنه في حقه شر محض، ويذهل عن الخير العام الحاصل للناس كافة، ولا يدري أن التوصل بالشر الخاص إلى الخير العام خير محض لا ينبغي للغير أن يهمله.

أو اتهم عقلك في خاطر الثاني، وهو قولك: إن تحصيل ذلك لا في ضمن ذلك الشر ممكن، فإن هذا أيضًا دقيق غامض، فليس كل محال وممكن مما يُدرك إمكانه واستحالته بالبديهة ولا بالنظر القريب؛ بل ربما عُرف ذلك بنظر غامض دقيق يقصر عنه الأكثرون.

فاتَّهم عقلك في هذين الطرفين، ولا تُشكَّن أصلًا في أنه أرحم الراحمين، وفي أنه سبقت رحمته غضبه، ولا تستريبن في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق لاسم الرحمة، وتحت هذا الغطاء سرٌّ منع الشرع عن إفشائه، فاقنع بالإيماء، ولا تطمع في الإفشاء، ولقد نُبِّهت بالرمز والإيماء، إن كنت من أهله، فتأمل.

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي^(١)

هذا حكم الأكثرين، وأما أنت أيها الأخ المقصود بالشرح، فلا أظنك إلا مستبصرًا بسِرِّ الله وَعَجَلِك في القدر، مستغنيًا عن هذه التحويمات والتنبهات^(٢).

(١) من شعر كُثَيِّر عزة في قصيدته في رثاء خندق الأسدي، انظر: معجم البلدان نشر دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م، وقد نُسب لعبد الرحمن بن الحكم في الأغاني (٨٢/١٥)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٢) المقصد الأسنى ص ٦٤ - ٦٦.



أثر الرحمة في مجتمعات المسلمين:

وكل من يتأمل في الأمة المسلمة، وفي المجتمعات الإسلامية، المتأثرة بالعقيدة الإسلامية، والمفاهيم الإسلامية، والمشاعر الإسلامية، وباسمي الرحمن الرحيم، وآثار وصف الله تعالى بالرحمة التي وسعت كل شيء، وبأنه أرحم الراحمين، وخير الراحمين، وبأن رحمته سبقت غضبه، وبأنه الغفور الرحيم.. من يتأمل هذه المعاني كلها في المسلمين، لا شك أنه سيجد آثارها في تعاطف الناس بعضهم مع بعض، وفي رحمة القوي بالضعيف، والغني بالفقير، والقادر بالعاجز، ويرى آثار الأوقاف الإسلامية، والزكاة الإسلامية، والصدقات الإسلامية في كل مكان. وسيعلم أن هذا التراحم من بركات تعلق المسلمين باسمي الرحمن الرحيم، وعملهم ما استطاعوا بموجب ما ينبغي أن يعملوه حفاظاً عليهما، وعلى مقتضى أثرهما في الأمة، وقد قال ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١).

حظ العبد من اسم (الرحمن) واسم (الرحيم):

قال الإمام الغزالي: «حظ العبد من اسم الرحمن: أن يرحم عباد الله الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله ﷻ، بالوعظ والنصح، بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإزراء، وأن يكون كل معصية تجري في العالم كمصيبة له في نفسه، فلا

(١) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرجه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو.

يألو جهدًا في إزالتها بقدر وسْعه، رحمة لذلك العاصي أن يتعرض
لسخط الله ويستحق البُعد من جواره.

وحظه من اسم الرحيم: ألا يدع فاقة لمحتاج إلا يسدها بقدر طاقته،
ولا يترك فقيرًا في جواره وبلده إلا ويقوم بتعهده ودفع فقره، إما بماله،
أو جاهه، أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع
ذلك، فيعيّنه بالدعاء، وإظهار الحزن بسبب حاجته، رقة عليه وعطفًا،
حتى كأنه مُساهم له في ضُرّه وحاجته»^(١).

* * *

(١) المقصد الأسنى ص ٦٢ - ٦٤.

الله الملك القدوس

اسم (الملك) واسم (القدوس) من أسماء الله الحسنى، التي تكررت في القرآن، وصحت في السُّنَّة، وأجمعت عليها الأمة، فأحياناً يجمع بينهما القرآن كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١]. وأحياناً يفرد الله تعالى الملك بالذكر، كما قال تعالى: ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

١ - الْمَلِكُ:

والملك هو: المالك لجميع الأشياء في السماوات والأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، بلا ممانعة ولا مؤاخذه.

وقد ذكر اسم الملك في القرآن وحده، كما قال ﴿عَلَّيْ﴾: ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ [طه: ١١٤].

وقد أعطى الله المُلْك في القرآن لبعض الناس الذين يُسَمَّوْنَ باسم الملوك، ولكنه مُلْك ناقص؛ لأنه يملك الظاهر، ولا يملك الباطن، يملك أن يقيّد يدك، ولا يملك أن يقيّد فكري، وهو يملك بعض الناس، ولا يملك البعض الآخر؛ لأنه مُلْك محدود، ثم يزول عنه الملك، أو يزول

هو عن المُلْك، ولو بقي لغيره ما وصل إليه. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وقد حُكي عن هارون الرشيد، الذي كان يعتبر أعظم ملوك الدنيا في عصره، أنه حين قُرب من الاحتضار كان يقول: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩]. وعن المأمون بن هارون الرشيد أنه كان يقول وهو على فراش الموت: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه^(١)!

وكثيراً ما رأينا الملوك المتجبرين في الأرض حينما ينزل بهم مرض الموت وهم في ذلٍّ أكبر من ذلٍّ أحقر الناس وأضعفهم.

وقال سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]. فكان له الملك الذي سُخِّرَ له فيه الجن والإنس والطير، وسُخِّرَتْ له الرياح، وعُلِّمَ كلام الطيور والحشرات.

وهذا المُلْك الظاهر لبعض الناس إنما هو شيء يسير ومحدود في هذه الدنيا، ثم يصبح المُلْك كله يوم القيامة لله، فلا ينازعه أحد، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. حين يقول الله في ذلك اليوم العظيم: لمن الملك اليوم؟ لا يستطيع أحد أن يتكلم أو يدعي أن له مُلْكًا أو أنه كان له ملك، فيرد الله تعالى على نفسه: لله الواحد القهار.

(١) تاريخ بغداد للخطيب (٢٢/١٦)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي،

ونقرأ في فاتحة الكتاب في الثناء على الله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وحمزة^(١)، فهو الملك وحده في هذا اليوم.

والقراءة الأخرى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وهي قراءة بقية القراء السبعة، وهو في الحقيقة: الملك والمالك، كما قال تعالى: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]، وقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

قال الإمام الغزالي في شرح معنى (الملك): «هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كل موجود؛ بل لا يستغني عنه شيء في شيء، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في وجوده ولا في بقائه؛ بل كل شيء فوجوده منه، أو مما هو منه، فكل شيء سواه هو له مملوك في ذاته وصفاته، وهو مستغن عن كل شيء، فهذا هو الملك مطلقاً».

هل للإنسان شيء من الملك؟

ثم أورد الغزالي تنبيهاً قال فيه: «العبد لا يتصور أن يكون ملكاً مطلقاً، فإنه لا يستغني عن كل شيء، فإنه أبداً فقير إلى الله تعالى، وإن استغنى عمَّن سواه. ولا يتصور أن يحتاج إليه كل شيء، بل يستغني عنه أكثر الموجودات، ولكن لما تُصوَّر أن يستغني عن بعض الأشياء ولا يستغني عنه بعض الأشياء، كان له شوب من الملك».

(١) انظر: معاني القراءات للهروي (١٠٩/١)، نشر مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك

فالمَلِك من العباد هو الذي لا يملكه إلا الله تعالى، بل يستغني عن كل شيء سوى الله وَجَلَّ، وهو مع ذلك يملك مملكته بحيث يطيعه فيها جنوده ورعاياه، وإنما مملكته الخاصة به قلبه وقلبه، وجنده شَهْوَتَه وغضبه وهواه، ورعيته لِسَانَه وَعَيْنَاهُ وَيَدَاهُ وَسَائِرُ أَعْضَائِهِ، فَإِذَا مَلَكَهَا وَلَمْ تَمْلِكْهُ، وَأَطَاعَتْهُ وَلَمْ يُطْعَمْهَا، فَقَدْ نَالَ دَرَجَةَ الْمَلِكِ فِي عَالَمِهِ، فَإِنْ انْضَمَّ إِلَيْهِ اسْتَغْنَاؤُهُ عَنْ كُلِّ النَّاسِ، وَاحْتِاجُ النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِمُ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، فَهُوَ الْمَلِكُ فِي عَالَمِ الْأَرْضِ.

وَتِلْكَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَإِنَّهُمْ اسْتَغْنَوْا فِي الْهِدَايَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، إِلَّا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاحْتِاجُ إِلَيْهِمْ كُلِّ أَحَدٍ، وَيَلِيهِمْ فِي هَذَا الْمُلْكِ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا مَلِكُهُمْ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى إِرْشَادِ الْعِبَادِ، وَاسْتَغْنَائِهِمْ عَنِ الْإِسْتِشَادِ. وبهذه الصِّفَاتِ يَقْرُبُ الْعَبْدُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي الصِّفَاتِ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَا، وَهَذَا الْمَلِكُ عَطِيَّةٌ لِلْعَبْدِ مِنَ الْمَلِكِ الْحَقِّ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ فِي مَلِكِهِ»^(١).

٢ - القدوس:

و(القدوس) اسم من أسماء الله الحسنى المذكور بوضوح مع جملة من الأسماء مقترناً باسم (المَلِك) في أواخر سورة الحشر، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]. وهو مذكور كذلك في سورة الجمعة^(٢)، ومذكور - أيضاً - في السُّنَّةِ، وأُجمعت عليه الأمة.

(١) المقصد الأسنى ص ٦٦، ٦٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١].



وهو على وزن (فُعُول) من مادة (قَدَس). فهو المقدَّس أو المنزه أو المتقدس أو المتنزه عن كل ما لا يليق بكماله وجماله وجلاله، ولذا قال بعض السلف: القُدُّوس بمعنى الطاهر، أي: من كل عيب ودنس.

وقال بعضهم: المبارك، كما في القرآن: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وتكرَّرت كلمة (تبارك) لله تعالى عدة مرات.

وقال بعضهم: القُدُّوس مَنْ تَقَدَّسَهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ.

ولم يجئ في القرآن اسم على هذه الصيغة (فُعُول) إلا اسم القدوس. وجاء في السنة اسم: السُّبُّوح، على وزن القدوس، كما جاء في تسبيح الرسول ﷺ في الركوع: «سُبُّوحٌ قَدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

قال الغزالي: «هو المنزه عن كل وصف يدركه حس، أو يتصوره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يفضي به تفكير. ولست أقول: منزّه عن العيوب والنقائص، فإن ذكر ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب، فليس من الأدب أن يقول القائل: ملك البلد ليس بحائكٍ ولا حجام، فإن نَفْيَ الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود، وفي ذلك الإيهام نقص.

بل أقول: القدوس هو المنزه عن كل وصف من أوصاف الكمال الذي يظنه أكثر الخلق كمالاً في حقه؛ لأن الخلق أولاً نظروا إلى أنفسهم وعرفوا صفاتهم، وأدركوا انقسامها إلى ما هو كمال، ولكنه في حقهم، مثل علمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم وكلامهم وإرادتهم واختيارهم،

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٧)، وأحمد (٢٤٠٦٣)، عن عائشة.

ووضعوا هذه الألفاظ بإزاء هذه المعاني، وقالوا: إن هذه هي أسماء الكمال. وإلى ما هو نقص في حقهم، مثل جهلهم وعجزهم وعماهم وصممهم وخرسهم، فوضعوا بإزاء هذه المعاني هذه الألفاظ.

ثم كان غايتهم في الثناء على الله تعالى ووصفه أن وصفوه بما هو أوصاف كمالهم، من علم وقدرة وسمع وبصر وكلام، وأن نفوا عنه ما هو أوصاف نقصهم، والله سُبْحَانَهُ منزّه عن أوصاف كمالهم، كما أنه منزّه عن أوصاف نقصهم؛ بل كل صفة تُتصور للخلق، فهو منزّه ومقدّس عنها، وعمّا يشبهها ويمثلها، ولولا ورود الرخصة والإذن بإطلاقها لم يجز إطلاق أكثرها»^(١).

ومما ينبغي أن نؤكد هنا من التقديسات الواجبة لله تعالى: أنه سُبْحَانَهُ فوق كل إدراكاتنا، ولا يستطيع أن يصل تصورنا في معرفة كمالاته التي لا تتناهى، فأولى ما نقوله أن نقول ما اعترف به رسولنا المعلّم، حين قال: «سبحانك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٢).

والقدوس هو الذي تقدسه الخلائق كلها: تقدسه الملائكة في السماوات وتنزهه ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. وتقدسه الأنبياء والرسل وأتباعهم من المؤمنين الذين يقدسون الله وينزهونه بعقولهم وقلوبهم وألسنتهم، كما كان يقول رسول الله في ركوعه: «سبح قدوس..» - الحديث الذي ذكر آنفاً - وكما تعلّمه منه المسلمون، وقالوه

(١) المقصد الأسنى ص ٦٨.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٥٥)، من حديث عائشة: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، ولم أجد في الأصول لفظ «سبحانك» وهي مشتهرة على الألسن.



في صلواتهم، وذكرهم ودعائهم، ويقدسه الجنُّ المؤمنون، كما حكي القرآن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]. والله جل شأنه قَبْلَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا وبعْدَ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ يَقْدُسُ نَفْسَهُ، وَيَسْبَحُ نَفْسَهُ، وَكُفَى بِتَسْبِيحِهِ تَسْبِيحًا، وَبِتَقْدِيسِهِ تَقْدِيسًا.

حظ العبد من اسم القدوس:

ومما نبّه عليه الغزالي هنا قوله: «قُدُسُ الْعَبْدِ [أي: في هذا المقام] في أن ينزهه إرادته وعلمه؛ أما علمه فينزهه عن المتخيلات والمحسوسات والموهومات، وكل ما يشاركه فيه البهائم من الإدراكات؛ بل يكون تردد نظره وتطواف علمه حول الأمور الأزلية الإلهية المنزهة عن أن تقرب فتدرك بالحس، أو تبعد فتغيب عن الحس؛ بل يصير متجردًا في نفسه عن المحسوسات والمتخيلات كلها، ويقتني من العلوم ما لو سلب آلة حسه وتخيله بقي ربيًّا بالعلوم الشريفة الكلية الإلهية، المتعلقة بالمعلومات الأزلية الأبدية، دون الشخصيات المتغيرة المستحيلة.

وأما إرادته، فينزهها عن أن تدور حول الحظوظ البشرية التي ترجع إلى لذة الشهوة والغضب، ومتعة المطعم والمشرب والمنكح والملبس والملبس والمنظر، وما لا يصل إليه من اللذات إلا بواسطة الحس والقلب؛ بل لا يريد إلا الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يبقى له حظ إلا فيه، ولا يكون له شوق إلا إلى لقائه، ولا فرح إلا بالقرب منه، ولو عُرِضَتْ عليه الجنة وما فيها من النعيم لم تلتفت همَّته إليها، ولم يقنع من الدار إلا برب الدار.

وعلى الجملة، الإدراكات الحسية والخيالية تشارك البهائم فيها، فينبغي أن يترقى عنها إلى ما هو من خواص الإنسانية، والحفظُ البشرية الشهوانية يزاحم البهائم أيضًا فيها، فينبغي أن يتنزه عنها، فجلالة المريد على قدر جلالته مُرادَه، وَمَنْ هِمَّتْهُ ما يدخل في بطنه، فقيمتَه ما يخرج منه، ومن لم يكن له همة سوى الله وَجَلَّ، فدرجته على قدر هِمَّتِه، ومن رَقَّى عِلْمَه عن درجة المتخيَّلات والمحسوسات، وقَدَّسَ إرادته عن مقتضى الشهوات، فقد نزل بِخُبُوحَة حظيرة القدس»^(١).

* * *

(١) المقصد الأسنى ص ٦٨، ٦٩.

غير مرخصة للطباعة

الله السلام المؤمن المهيمن

يقول تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

من أسمائه تعالى الحسنى، التي جاء بها القرآن والسنة، وأجمعت عليها الأمة: أسماء: السلام والمؤمن والمهيمن، وهما من الأسماء التي وردت في أواخر سورة الحشر. فما معنى السلام؟ وما معنى المؤمن؟ وما معنى المهيمن؟

١ - السلام:

السلام مصدر من: سَلِمَ يَسْلَمُ، إذا لم يصبه أذى أو ضرر أو شرٌّ، ماديٌّ أو معنويٌّ. والله تعالى هو السالم من جميع العيوب والنقائص والأدناس؛ لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، السالم من كل نقص أو عيب، أو أذى يمكن أن يوجَّهه إليه ملحد أو كافر، بل هو السلام نفسه، وقد سَمَّى نفسه السلام، وانتسب الناس إليه، فسموا أبناءهم عبد السلام، والجنة دار السلام، على معنى أنها: دار الله تعالى، أو دار السلامة التامة، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢].

قال الغزالي في شرح اسم (السلام): «هو الذي تسلم ذاته عن العيب، وصفاته عن النقص، وأفعاله عن الشر، حتى إذا كان كذلك، لم يكن في الوجود سلامة إلا وكانت مغزية إليه، صادرةً منه، وقد فهمت أن أفعاله تعالى سالمة عن الشر، أعني الشر المطلق المراد لذاته، لا لخير حاصل في ضمنه أعظم منه، وليس في الوجود شر بهذه الصفة - كما سبق الإيماء إليه^(١) - إلا لله سبحانه»^(٢).

ولهذا كان الإسلام دين السلام للبشر كلهم، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال الغزالي: «كل عبدٍ سَلِمَ عن الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه، وسلمت عن الآثام والمحظورات جوارحه، وسلمت عن الانتكاس والانعكاس صفاته، فهو الذي يأتي الله تعالى بقلب سليم، وهو السلام من العباد، القريب في وصفه من السلام المطلق الحق، الذي لا مثوية في صفته.

وأعني بالانتكاس في صفاته أن يكون عقله أسير شهوته وغضبه، إذ الحق عكسه، وهو أن تكون الشهوة والغضب أسير العقل وطوعه، فإذا انعكس فقد انتكس، ولا سلامة حيث يصير الأمير مأمورًا، والمَلِكُ عبدًا، ولن يوصف بالسلام والإسلام إلا من سلم المسلمون من لسانه ويده، فكيف يوصف به من لم يسلم هو من نفسه؟!»^(٣).

(١) المقصد الأسنى ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق ص ٦٩.

(٣) المقصد الأسنى ص ٧٠.



٢ - المؤمن:

والمؤمن: اسم فاعل من (آمَنَ) على وزن (أَفْعَلَ) بزيادة همزة التعدية على فعل (آمَنَ) يَأْمَنُ أَمْنًا، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]. فالمؤمن هو الذي يؤمن الخائفين، وهو الذي يهب لهم الأمن من عنده، فلا يستطيع مخلوق أن يدخل عليهم القلق والرعب والخوف. قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١]. فرعب القلوب هنا إنما هو بسبب الإشراك بالله، أما المؤمن فلا يربعه شيء ما دام محصنًا بالإيمان بالله تعالى، كما قال تعالى في مدح أوليائه من العلماء الربانيين: ﴿الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]. وكما قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. وقد ظن بعض الصحابة أن الظلم المعني في الآية هو المعصية، فأفهمهم النبي ﷺ أن المراد به الشرك، كما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]^(١). وبهذا يكون معنى الآية واضحًا تمامًا: أنهم لم يلوثوا إيمانهم بأي شرك بالله تعالى، بل وحدوا ربهم غاية التوحيد.

وبهذا وقف إبراهيم أمام قومه وقفة المؤمن القوي الذي لا يخاف أحدًا غير الله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

قال الإمام الغزالي: «المؤمن: هو الذي يُعزى إليه الأمن والأمان، بإفادته أسبابه، وسده طرق المخاوف، ولا يُتصور أمن وأمان إلا في محل الخوف، ولا خوف إلا عند إمكان العدم والنقص والهلاك، والمؤمن المطلق هو الذي لا يُتصور أمنٌ وأمانٌ إلا ويكون مستفاداً من جهته، وهو الله وَجَلَّ .

وليس يخفى أن الأعمى يخاف أن يناله هلاك من حيث لا يرى، فعينه البصيرة تفيد أمنًا منه، والأقطع يخاف آفة لا تندفع إلا باليد، فاليد السليمة أمان منها، وهكذا جميع الحواس والأطراف، والمؤمن خالقها ومصوّرها ومقوّيها.

ولو قدّرنا إنسانًا وحده، مطلوبًا من جهة أعدائه، وهو ملقى في مَضِيعة، لا تتحرك عليه أعضاؤه لضعفه، وإن تحركت فلا سلاح معه، وإن كان معه سلاح لم يقاوم أعداءه وحده، وإن كان له جنود لم يأمن أن تنكسر جنوده، ولا يجد حصنًا يأوي إليه، فجاء من عالج ضعفه فقوّاه، وأمدّه بجنوده وأسلحته، وبني حوله حصنًا حصينًا، فقد أفاده أمنًا وأمانًا، فالأحرى أن يُسمى مؤمنًا في حقه.

والعبد ضعيف في أصل فطرته، وهو عرضة الأمراض والجوع والعطش من باطنه، وعرضة الآفات المُخرقة والمُغرقة والجارحة والكاسرة من ظاهره، ولم يؤمنه من هذه المخاوف إلا الذي أعدّ الأدوية نافعة ورافعة لأمرضه، والأطعمة مزيله لجوعه، والأشربة ممیطة لعطشه، والأعضاء دافعة عن بدنه، والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته، ثم خَوْفه الأعظم من هلاك الآخرة، ولا يُحصّنه عنه إلا كلمة التوحيد.

والله وَجَلَّ هاديه إليها ومرغبه فيها، حيث قال: «لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي»^(١). فلا أَمَنَ في العالم إلا وهو مستفاد بأسباب هو متفرد بخلقها، والهداية إلى استعمالها؛ فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فهو المؤمن المطلق حقًّا^(٢).

وللمؤمن معنى آخر، إذا فسرناه من آمَن - على وزن (فَاعَلَ) الرباعي - يؤمن إيمانًا، فهو بمعنى (التصديق)، مثل إيمان المؤمنين بالله تعالى، وبالرسل الذين يرسلهم الله إلى الناس، ومعنى الإيمان بهم: التصديق بما جاؤوا به، وأوله الإيمان بالله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، والإيمان ببلقائه في الآخرة.

أما معنى (إيمان الله تعالى) فهو: أنه يصدِّق أنبياءه بإظهار آياته ومعجزاته الخارقة على أيديهم، وكأن الله تعالى يقول: صدق رسلي فيما يبلغون عني. أو أن تصديقه لهم أن جعل أمة محمد ﷺ - وهي الأمة الكبرى، والأمة الأخيرة - تشهد لهم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ثم إن الله تعالى صدَّقهم في هذه الشهادة، وكفى بالله شهيدًا.

وقال بعض مفسري السلف: المؤمن: الذي آمَنَ خلقه من ظلمه^(٣). ومعنى هذا أن كل واحد منهم آمِنٌ كل الأمان من أن يعاقب بغير ذنب، أو بذنب غيره، أو بعقوبة أكبر من ذنبه. وآمِنٌ أيضًا من أن يهضم حقه،

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٥/٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٧٠٠)، عن

علي بن أبي طالب.

(٢) المقصد الأسنى ص ٧٠، ٧١.

(٣) تفسير الطبري (٣٠٢/٢٣).

فلا يُجزى بعمله الذي أحسنه مهما يكن صغيراً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّمُ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. وبهذا آمَنَ الله المؤمنَ من كل ناحية من النواحي، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

حظ المكلف من اسم المؤمن:

قال الغزالي: «حُظُّ العبد من هذا الاسم والوصف أن يأمن الخلقُ كلهم جانبَهُ، بل يرجو كل خائف الاعتضاد به في دفع الهلاك عن نفسه، في دينه ودنياه، كما قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليأمنْ جاره بوائقه»^(١). وأحق العباد باسم المؤمن من كان سبباً لأمن الخلق من عذاب الله، بالهداية إلى طريق الله ﷻ، والإرشاد إلى سبيل النجاة، وهذه حرفة الأنبياء والعلماء؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إنكم تتهافتون في النار تهافت الفراش، وأنا آخذ بحجزكم»^(٢).

قال الغزالي: «خيال وتنبيه: لعلك تقول الخوف على الحقيقة من الله تعالى فلا مخوف إلا إياه، فهو الذي خوَّف عباده، وهو الذي خلق أسباب الخوف، فكيف ينسب إليه الأمن؟

(فجوابك): إن الخوف منه، والأمن منه، وهو خالق سبب الأمن والخوف جميعاً، وكونه مخوفاً لا يمنع كونه مؤمناً، كما أن كونه مذلاً لم

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠١٦)، وأحمد (٧٨٧٨)، عن أبي شريح.

(٢) «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبهن فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها» متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٨٣)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٤)، عن أبي هريرة.

يمنع كونه معزًّا، بل هو المعزُّ والمذلُّ، وكونه خافضًا لم يمنع كونه رافعًا، بل هو الخافض الرافع، فكَذَلِكَ هو الْمُؤْمِنُ الْمَخُوفُ، لكن الْمُؤْمِنُ ورد التوقيفُ به خاصة دون الْمَخُوفِ»^(١).

ومن هنا امتنَّ الله على عباده الذين خلقهم بنعمة الأمن، كما قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]. ومن هنا تميزت الجنة التي وعد الله بها المؤمنين في الدار الآخرة، بأنها دار أمان مطلق لأصحابها، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]. واعتبر القرآن الأمن من أعظم نعم الله في الدنيا، كما قال عن سبأ في أيام عزِّهم: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَأْمِنًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

واعتبر من أشد العقوبات الإلهية للأقوام المنحرفين عن خطوط الاستقامة الشرعية عقوبة الجوع والخوف، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وأمر قريشًا أن يتجهوا إليه وحده بالعبادة؛ لأنه رب البيت (الكعبة)، وهو ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

٣ - المهيمن:

المهيمن من الأسماء الحسنى لله تبارك وتعالى التي جاءت في خواتيم سورة الحشر: اسما المهيمن والعزيز، كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ

(١) المقصد الأسنى ص ٧١، ٧٢.

الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ
الْمُتَكَبِّرُ ﴿[الحشر: ٢٣].

والمهيمن لغة، اسم فاعل من فعل هيمن يهيمن. ومعنى هَيَّمَن، كما
في المعجم الوسيط: قال: آمين. وهيمن على الشيء: أي: سيطر عليه
وراقبه وحفظه، وهمين الطائر على فراخه: رفرف عليها.

و(المهيمن): من أسماء الله تعالى، بمعنى الرقيب المسيطر على كل
شيء، الحافظ له، وفي التنزيل: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وهذا حديث عن القرآن وموضعه من الكتب
السابقة عليه، فهو مصدق لها ومهيمن عليها.

قال ابن عباس وغير واحد: المهيمن أي: الشاهد على خلقه
بأعمالهم^(١). بمعنى الرقيب عليهم، كقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]، وقوله:
﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

واسم الله تعالى المهيمن معناه أنه: المسيطر على كل شيء،
والرقيب عليه، والحافظ له، فلا يخرج عن سلطانه وحكمه وتصرفه
ورقابته وحفظه: مخلوق، حي أو جامد، في سماء أو أرض، صغير أو
كبير، دقيق أو جليل، ظاهر أو خافٍ، في دنيا أو في آخرة، مما يعقل
ومما لا يعقل، مما يرى ومما لا يرى، من العالم المنظور، ومن
العالم غير المنظور، من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم بالليل
والنهار لا يفترون في السماوات والأرض، ومن الجن الذين يرون

(١) تفسير ابن كثير (٨٠/٨).



الناس والناس لا يرونهم، منهم المؤمنون ومنهم الكافرون، وعلى رأسهم إبليس، الذي أمره الله أن يسجد لآدم أبي البشر، فأبى واستكبر، وكان من الكافرين.

ومن بني آدم أبي البشر، الذي خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعله بعد ذلك في الأرض خليفة، وجعل ذريته خلفاء في الأرض بعده، وبعث إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ليعرفوه ويعبدوه، ويعمروا أرضه، ويقيموا فيها الموازين بالقسط، ورَتَّبَ على حياتهم الدنيا وحياة الجن: حياتهم في الآخرة من السعادة والشقاء، ودخول الجنة أو النار، حسب الإيمان والعمل.

هناك عالم الأفلاك والسموات العلأ، وما فيها من مجرات هائلة، تنتشر فيها النجوم المتكاثرة، التي قد يصل إلينا ضوءها بعد ملايين السنين الضوئية، ونحن نعيش في مكان صغير جدأ، إذا نظرنا إلى سعة هذه المجرات الفسيحة الهائلة، ومنها مجرتنا التي يسمونها (سكة التَّبانة)، أي: طريق الذين يحملون التَّبن، وهو ما يخرج بعد درس القمح بالنوارج، وتذرية القمح من التبن، وسكة التبانة ينتشر فيها التبن عن يمين وشمال، بما لا يقدَّر بالملايين، وملايين الملايين، فكَذلك النجوم اللامعات في سكة التبانة، التي فيها الملايين من المجموعات الشمسية، التي مجموعتنا الشمسية، والتي نسكن في جزء منها إحدى مجاميعها.

وهناك الأرض بما فيها من بحار ومحيطات تكاد تبلغ ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية، وهناك الجزء الجامد من الأرض، وفيه الجبال الراسيات، والأراضي الصالحة للزراعة والإنبات، وهي التي

ينزل الله عليها الماء من السماء، أي من جهة السماء، وأصله من الأرض، خرج منها وعلا وارتفع، ثم نزل إليها، كما قال الشاعر العربي:

كالبحر يطره السحاب وما له فضل عليه؛ لأنه من مائه^(١)!

وهناك ماء ينبفجر من الأرض، في صورة العيون والآبار، وكل الماء أصله من الأرض كما قال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أخرجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿[النازعات: ٣٠، ٣١]. يخرج الله من الأرض المنبثة أنواعاً من الزراعات والمحصولات والأزهار والأشجار، وفصائلها تعد بالملايين، كما يقول الأساتذة المتخصصون في الزراعة ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس: ٢٤].

وهناك الملايين من أنواع الحيوانات والوحوش والطيور الجارحة وغير الجارحة، والحشرات، والزواحف والأسماك والحيتان والأحياء المائية، والحيوانات الصغيرة، والصغيرة جداً، ومنها ما لا يرى بالعين المجردة، وإنما بالمكبرات (المكروسكوبات).

كل هذه المخلوقات وغيرها مما قد يخفى علينا، لا يخفى شيء منها على من خلقها وسواها ودبر أمرها، فالله جل شأنه يسيطر عليها جميعاً، ويعرف سرّها، ويعطي كل شيء منها خلقه، ويكفيه ما يطلبه بلسان مقاله أو لسان حاله، وبعض هذه المخلوقات لا يعرفه أحد من البشر، فضلاً عن أن يسيطر عليه، فالله سبحانه هو الذي خلقه، وهو الذي يهديه، وهو الذي سواه، وهو الذي يعطيه ما يحتاج إليه من غذاء ومن شفاء، ومن

(١) من شعر هبة الله البغدادي، كما في معجم الأدباء (٢٧٧١/٦)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

دواء إن احتاج إلى دواء، كما قال سيدنا موسى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

والمهيمن اسم نطق به القرآن، وجاءت به السنة، وأجمعت عليه الأمة. ولم يَجِئ في القرآن كلمة (مهيمن) اسماً لله تبارك وتعالى إلا في سورة الحشر، ولم يَجِئ في القرآن بعد ذلك إلا وصفاً للقرآن نفسه، في قوله تعالى مخاطباً لرسوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. فالقرآن هو المهيمن على كل الكتب المنزلة الأخرى، وهو المهيمن والمسيطر عليها؛ لأن الله لم يتولَّ أن يحفظها كما قال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. فلا غرو أن أصابها ما أصابها من الضياع والنسيان، والتحريف المعنوي بسوء التأويل، والتحريف اللفظي بتغيير بعض الكلمات، أو حذفها أو كتمانها، فاحتاجت هذه الكتب إلى كتاب آخر تحتكم إليه عند الخلاف، وترجع إليه في تفصيلات الأمور، ومن ثمَّ كان إنزال القرآن، ليكون مرجعاً مضموناً محفوظاً من الله للناس أجمعين.

الله العزيز الجبار المتكبر

من الأسماء الحسنى لله تبارك وتعالى التي جاءت في خواتيم سورة الحشر: أسماء العزيز الجبار المتكبر ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]. وجاءت في حديث الرسول الكريم، وأجمعت عليها الأمة.

وروى البيهقي عن ابن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ قائماً على هذا المنبر - يعني منبر رسول الله ﷺ - وهو يحكي عن ربه ﷻ فقال: «إن الله ﷻ إذا كان يوم القيامة، جمع الله السماوات السبع، والأرضين السبع، في قبضته، ثم يقول: أنا الله، أنا الرحمن، أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً، أنا الذي أعدتها، أين الملوك؟ أين الجبابرة؟». وفي رواية ابن برهان: «أعيدها»^(١).

واسم الجبار المتكبر من أسماء الله الحسنى، تفرد الله تعالى بهما، وحين يحاول مخلوق أن يتحلى بهما، فقد خرج عن طبعه، وتمرد على وصفه، وادعى ما ليس له، ولذلك يسخط الله تعالى عليه، ويعلن نقمته

(١) رواه أبو الشيخ في العظمة (٤٤٠/٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٤)، عن ابن عمر.

له، وبرأته منه، كما قال تعالى في الحديث القدسي الذي رواه النبي عن رب العزة وَعَلَّيْ: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»^(١).

١ - العزيز:

اسم (العزيز) من أسماء الجلال، وله عدة معاني، فمن معاني العزيز أنه: الغالب، والقاهر.

والعزيز: المنيع، الذي لا يستطيع أحد أن يصل إليه أو يغالبه، ومن غالبه فهو المغلوب؛ لأن بيده مقاليد السماوات والأرض، وهو الذي أمره بين الكاف والنون، ﴿وَإِذَا قَضَيْتَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. ولذلك ليس هناك أعز منه، بل لا عزيز على الحقيقة غيره؛ لأنه لا عزة لمخلوق بذاته، والذي عزته بذاته ومن ذاته هو الله وحده. لذلك تكرر في القرآن كثيراً (هو العزيز)^(٢)، وهي صيغة حضر.. أي: لا عزيز غيره؛ لأن كل من سواه يستمد عزته منه، ومن لم يستمد عزته منه فهو الدليل، وإن ملك المال، وإن ملك الجاه، وإن ملك المنصب، وإن ملك الأولاد، وإن ملك الجنود.

ومن معاني (العزيز): المِعْز، كما يقال: أليم بمعنى مؤلم. فهو يُعْزِر من يشاء، ويُذِل من يشاء، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ

(١) سيأتي تخريجه ص ١٥٥.

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]،

وقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ

عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الزمر: ٥]،

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٤٢].

أَلْمَلِكُ مِمَّنْ نَشَاءُ وَنُعْزِزُ مَنْ نَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦]. فهو بهذا المعنى من صفات الأفعال.

ومن معاني (العزیز): نادر الوجود، الذي ينقطع نظيره، والله تعالى لا نظير له، ولا شبه له، ولا كفاء له، ولا ندَّ له؛ ولذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] أي: لا يكافئه أحد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١].

ولهذا فإن (العزیز) من أسماء التنزيه؛ لأنه يدخل في الأسماء التي تُنزه الله عن مشابهة الخلق، وعن الحد، وعن الحاجة لغيره، وعن كل ما لا يليق بكمال الألوهية الأعلى.

قال الغزالي في شرح اسم (العزیز): «هو الخطير الذي يقل وجود مثله، وتشدد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزیز، فكم من شيء يقل وجوده، ولكن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه، لم يُسم عزيزًا، وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره، ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه، لم يُسم عزيزًا. كالشمس مثلاً، فإنه لا نظير لها؛ والأرض كذلك، والنفع عظيم في كل واحد منهما، والحاجة شديدة إليهما، ولكن لا يوصفان بالعزة؛ لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما، فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة.

ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان، والكمال في قلة الوجود أن يرجع إلى واحد؛ إذ لا أقل من الواحد، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله، وليس هذا إلا الله تعالى، فإن الشمس، وإن كانت



واحدة في الوجود فليست واحدة في الإمكان، فيمكن وجود مثلها في الكمال والنفاسة. وشدة الحاجة أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء حتى في وجوده وبقائه وصفاته، وليس ذلك على الكمال إلا لله وَعَلَى.

والكمال في صعوبة المنال أن يستحيل الوصول إليه، على معنى الإحاطة بكنهه، وليس ذلك على الكمال إلا لله وَعَلَى، فإننا قد بينا أنه لا يعرف الله إلا الله، فهو العزيز المطلق الحق، لا يوازيه فيه غيره^(١).

واسم الله العزيز، جاء في الكتاب والسنة، وأجمع عليه علماء الأمة، واقترن مع أسمائه تعالى الأخرى في أواخر سورة الحشر ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

«وجاء معرفًا ومنكرًا في غير ما آية، ولا خلاف في جواز إجرائه على غير الله تعالى، كما قال في كتابه: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ اكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ﴾ [يوسف: ٥١]. ويحتمل أن يكون وصفًا.

قال ابن الحصار: ولا أعلم خلافًا في جواز التسمي به منكرًا، وإجرائه وصفًا، ولا أجيزه مُعرِّفًا؛ لأن الألف واللام في أسماء الباري تعالى إما للحصر فيما لا مشاركة فيه، وإما للمزية.

يقال منه: عزَّ يُعْزُّ - برفع العين في المستقبل - فهو عزيز، إذا غلب، ومنه قول الحق: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أي غلبني، والمعازة المُغالبة، ويقرأ: (وعازني) على معنى: وغالبني^(٢).

(١) المقصد الأسنى ص ٧٣.

(٢) نسبها أبو حيان إلى عبيد الله وأبي وائل ومسروق والضحاك والحسن وعبيد بن عمير. البحر المحيط (١٤٩/٩)، تحقيق صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

ويقال أيضاً: عَزَّ يَعُزُّ - بفتح العين في المستقبل - فهو عزيز، والمراد منه: القوة والشدة، ومنه قول الحق: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]. أي: قوَّينا وشَدَدْنَا. وتعزَّز فلان: صار عزيزاً. ويقال للأرض القوية الصُّلبة: عَزَّاز، لامتناعها على من أراد أن يحفرها. وقد عَزَز المطرُ الأرض؛ إذا لَبَّدها فاشتدت لذلك.

ومن أمثال العرب: (إذا عَزَّ أخوك فهِنْ) بكسر الهاء، معناه إذا اشتد فلن، ويقال أيضاً: عَزَّ يَعُزُّ - بكسر عين المستقبل - عَزَّا وعَزَّازة: إذا قل فلا يكاد يوجد، فهو عزيز. وعَزَّ فلان يَعُزُّ عَزَّا وعِزَّةً وعَزَّازةً أيضاً: صار عزيزاً، أي قوِّي بعد ذلَّة. هذه الثلاثة هي الأصول، واسم الفاعل من جميعها: عَزِيز، وجمعه: عِزَّاز. مثل كريم وكرام.

وحكى أبو إسحاق الزجاج: والعزیز: الجليل الشريف. ومنه قولهم: إذا عز أخوك فهِنْ. وقولهم: فلان يُعَزِّز بفلان، أي يتجالَّلُ به ويشرُّف ويتكبر، وكذلك قوله وَجَلَّ: ﴿يَقُولُونَ لَيْن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]. أي: ليخرجن الجليل الشريف منها الذليل. وقيل: العزيز: الممتنع الذي لا يُنال ولا يُدرك. فقول العرب: حصن عزيز؛ إذا كان لا يوصل إليه، ومنه قول الهذلي يصف العقاب:

حتى انتهيتُ إلى فراشِ عَزِيزَةٍ سَوْدَاءَ، رَوْثَةٌ أَنْفِهَا كَالْمِخْصَفِ

وقيل: العزيز هو المُعِزُّ لغيره، فعيل بمعنى: مُفْعِل، كألیم بمعنى مؤلِم. وقيل: هو بمعنى مُعَزَّ ومُعَزُّوز، فيكون فعيل بمعنى مفعول، كقولهم: كفَّ خَضِيبٍ بمعنى مخضوب، ورجل قتيل، بمعنى مقتول. وقيل: المعنى عزيز عليه أولياؤه، فحذف.



قلت: فهذه ثمانية معانٍ يجوز وصف الله تعالى بها كلها في قول علمائنا، يقال الله العزيز: بمعنى الغالب القاهر، فهو من صفات الأفعال، ومنه قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الباقية: ١ - ٢]. أي: من الله القاهر المُحَكِّم خالق الأشياء.

وإذا قيل في العزيز: إنه من القوة، فهو صريح في الدلالة على الاقتدار، ويتضمن سائر الصفات التي لا تصح القدرة إلا بها، كالحياة وغيرها.

وإذا قيل في العزيز: إنه لا مثل له ولا نظير، فهو يدل في حق الله تعالى على وجود تكامل [أي: كمال] حتى لا يُماثل.

وإذا قيل: إنه الجليل، فهو يدل في حق الله تعالى على شرف الذات، وكمال الصفات.

وإذا قيل: إنه الممتنع الذي لا يرام، فهو يدل صريحًا على الملك الأعلى القاهر الصمد، ويتضمن ذلك: قَهْرٌ مَنْ سِوَاهُ، وَمَعْجَزٌ مَنْ دُونِهِ.

وإذا قيل: معناه المُعَزِّز، هو صريح في ترفيعه من يشاء، وهو من صفات الفعل، فيتضمن جميع صفات الفعل، فيتضمن جميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها، ويتضمن الإرادة، وذلك يقتضي أن يخفض من يشاء، ويدل من يشاء.

وإذا قيل: إنه مُعَزِّزٌ، فيدل على عبادة العابدين، وحرمة المتحرِّمين به سبحانه [أي: المحتمين] رجاء رضوانه وخوف عقابه، وهو أيضًا من الصفات المُشْعِرة بالأفعال.

وإذا قيل: إنه بمعنى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. فيدل على كرامته سبحانه لأوليائه وأهل طاعته، ويكون أيضًا من صفات الأفعال.

فهو سبحانه المختص في كل معنى من هذه المعاني بما يجب له، ويستحيل على غيره، فهذا الاسم له بكل اعتباره، ولغيره مجاز بكل اعتبار، وإذا عزَّ المخلوق فوصف بالعزة فهذا الاسم له مستعار، وحقيقته للواحد القهار، فهو العزيز الذي لا يُضام جاره، ولا يُذل أنصاره، وهو الممتنع الذي مُنِعَ عن الأبصار أن تدركه، وعن الأوهام أن تكيفه، وهو القوي الذي لا يُغالب، والقوي الذي لا يُناهض، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، المعز لأوليائه، المانع لهم وعنهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، وقال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال الحلبي: العزيز معناه: الذي لا يوصل إليه، ولا يمكن إدخال مكروه عليه، فإن العزيز في لسان العرب من العِزَّة. وهي الصلابة، فإذا قيل لله: عزيز، فإنما يراد به الاعتراف له بالقدَم، الذي لا يتهياً معه تغييره عما لم يزل عليه من القدرة والقوة، وذلك عائد إلى تنزيهه عما يجوز على المصنوعين لاعتراضهم [أي: لتعرضهم] بالحدوث في أنفسهم للحوادث أن تصيبهم وتغيرهم^(١).

وقال الخطابي: وقد يكون بمعنى نفاسة القَدْر، يقال منه: عز يعز - بكسر العين - فيتناول معنى العزيز على هذا، إذ لا يُعادله شيء، وأنه لا مثل له، والله أعلم^(٢).

وقال ابن العربي: اختلف علماءنا رحمة الله عليهم في شرح العِزَّة، فمنهم من قال: إن العزة صفة خاصة له، زائدة على الذات. بها كان

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٩٤/١).

(٢) المصدر السابق.

عزيرًا، كالعلم، وهي صفة خاصة، ومعنى زائد على الذات، أي: كان به عالمًا. ومنهم من قال: إن العز عبارة عن مجموع ما حصل من إحاطة علمه، وعموم قدرته، وأنه لا يخرج ممكن عن إرادته. قال: وهذا هو القول الصحيح عندي، فيجب على كل مكلف أن يعلم أن العزة لله جميعًا بكل اعتبار كما تقدم، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وظاهر هذا إيثار السامعين من عزته وتعريفهم أن ما وجب له من ذلك لا مطمع فيه لغيره، فتكون الألف واللام للعهد عند العالمين به سبحانه، وبما وجب له من ذلك، وهذا هو المفهوم من قول الحق في سورة (يونس): ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، وفي سورة (سبأ): ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]. فمن علم أنه لا إله إلا الله هو، وأنه الملك الحق، علم أن الذي وجب له من العزة يستحيل أن يتصف بها غيره.

ويحتمل أن يريد سبحانه أن ينبه ذوي الأقدار والهمم من أين تُنال العزة، ومن حيث تستحق، فتكون الألف واللام للاستغراق، وهو المفهوم من آيات (فاطر).

فمن طلب العزة من الله، وصدقه في طلبها بافتقار وذلّ وسكون وخضوع؛ وجدها عنده إن شاء الله، غير ممنوعة ولا محجوبة عنه. قال ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله»^(١).

ومن طلب العزة من غير الله، وكله الله إلى من طلبها عنده. قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وذكر قومًا طلبوا العزة عند من سواه فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٨)، وأحمد (٧٢٠٦)، عن أبي هريرة.

أَيَبْنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿[النساء: ١٣٩]. فَأَنْبَأَكَ صَرِيحًا
لا إشكال فيه: أن العزة له، يعز من يشاء ويذل من يشاء.

ولقد أحسن من قال:

وإذا تذلت الرقاب تخضُّعًا منّا إليك فعزُّها في ذلِّها^(١)

فيجب على الإنسان أن يخضع لعظمة الله ويتذل لعزته، فينقاد مسلماً
له خاضعاً، لقضائه مستسلماً ومُسَلِّماً لأمره، يرجو بذلك العز الدائم
والمُلْك الأبدي، وأن يقول في الجنة لما يريده: كن فيكون ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ
رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

واعلم أن على قدر ركوعك خاضعاً، وسجودك خاشعاً، يكون عزك
في الدنيا والآخرة، قال ﷺ لمن سأله مرافقته في الجنة: «أعني على
نفسك بكثرة السجود»^(٢).

فمن استمسك بعزة الله وأعز نفسه بطاعته، نال العزة في دنياه
وأخراه، فإن أكسب الخلق مع ذلك عزة بأن دعاهم إلى الدخول في
عزة الله، وجنبهم طريق الشيطان، فهذا هو: عزيز بمعنى مُعَزٍّ. وإن
عكس هذه الحالة فهو ذليل مُذَلَّلٌ. ألا ترى ما أعد الله سبحانه لمن تكبر
وتعزز عليه؟! قال الله العظيم مُخْبِرًا عن مخاطبة المؤمنين للكافرين:
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿ [المدثر: ٤٢، ٤٣].

(١) البيت لأبي إسحاق الصابي. انظر: المتحلل للثعالبي ص ٣٥، نشر المطبعة التجارية عرزوزي
وجاويش، الإسكندرية، ١٣١٩هـ - ١٩٠١م.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٩)، وأبو داود في قيام الليل (١٣٢٠)، عن ربيعة بن كعب
الأسلمي.

وقال في تنكيل من تعزز عليه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٩]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

وقال رسول الله ﷺ مخبراً عن الله جل وعز: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته»^(١). وقال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

وعليك أيضاً أن تتذلل لأوليائه وأهل طاعته، ولا تعتز عليهم، فبذلك أمر الله نبيه ﷺ حيث يقول: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ومدح أقواماً فقال: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وأن تعز من أعزه الله بطاعته وتواليه، وتهين من أهانه بمعصيته وتباعده وتعاديه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨]. فله العزة بكل اعتبار، وهي صفته ومنعته لأوليائه، وهي فضله لرسوله بتأييده وعصمته، وإعانته ونصرته، وجميع قلوب العاملين على طاعته، والموت بين يديه قبل أن يصل أحد إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. فيخلع من قلبه عزة المخلوق، ومن لسانه تعظيمه، وعن يديه خدمته إلا ما خصّ الشرع كما ذكرنا.

(١) رواه أحمد (٨٨٩٤)، وقال مخرجه: صحيح. وأبو داود في اللباس (٤٠٩٠)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٤)، بلفظ: «أدخلته جهنم» بدل «قصمته» عن أبي هريرة. ورواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٢٠)، بلفظ: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة». عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

قال ابن العربي: وأرشق عبارة في ذلك قول بعض علماء الإشارة: حقيقة المعرفة أن يحقر الأقدار سوى قدره، ويمحو الأذكار سوى ذكره. وما أصدق قول من قال: ليس العزُّ بالماء والطين، والتكبرُّ على المساكين، إنما العز بطاعة رب العالمين»^(١).

من أين يستمد المؤمنون عزتهم؟

المؤمنون يستمدُّون عزَّتهم من الإيمان بالله تعالى، لذلك قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

إن العزة لا تطلب عند أبواب السلاطين، بل هي لا تطلب إلا من باب واحد ذكره القرآن فقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وبين أن طلب العزة من عند غيره إنما هو شأن المنافقين المدخولين في إيمانهم: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُوتَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

وقال مواسيًا نبيه: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

اطلب العزة عند ربِّ العزة، ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠].

وروى ابن عطاء الله عن شيخه أبي العباس المرسي أنه سمعه يقول: «والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق»^(٢).

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٢٠١ - ٢٠٨.

(٢) انظر: التنوير في إسقاط التدبير ص ١٢٣، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م.

وما أجمل ما قال ابن عطاء الله السكندري نفسه: إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزَّ بعز يفنى!

اجعل برِّك شأنَ عزِّك يستقرُّ ويثبتُ
فإن اعتززت بمن يموثُ فإنَّ عزَّك ميثُ^(١)

العزة الإيمانية:

المؤمن عزيزٌ، يستمد عزته من الله ﷻ، فهو متوكل على عزيز حكيم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَابْتَغِ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، عزيز: لا يذل من لاذ بجنابه، حكيم: لا يضيع من وثق بتدبيره، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]. فهذا هو شأن المؤمن، إنه إنسانٌ عزيزٌ إذا ذلَّ الناس أمام لقمة العيش أو أمام نفوذ الأقوياء والأغنياء وأهل الحكم والسلطان، فإنه لا يذل، ولا يحني رأسه ولا يطأطيء جبهته إلا لله ﷻ.

قيل لأحد العلماء: لو قبَّلت رأس الأمير حتى يصفو ما بينك وبينه! قال: والله لا أرضى أن يقبِّل رأسي، فكيف أقبل أن أقبِّل رأسه؟!

ودخل بعض الصالحين على بعض الخلفاء وقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم. قال: ما هي؟ قال: أن ترحزحني عن النار وتدخلني الجنة. فقال: لا طاقة لي به. قال: هذه هي حاجتي، أما الدنيا فلم أسأل الله الدنيا فكيف أسألك أنت الدنيا^(٢)؟

(١) انظر: شرح الحكم لزروق ص ١٣١، تحقيق الإمام عبد الحلیم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٨٥م.

(٢) هو أبو حازم سلمة بن دينار.

سَحَرَةَ فرعون حينما كانوا في ضلالة الكفر والعماية ظنوا أن لفرعون عزة؛ لما رأوه من هَيْل وهيلمان وادعاء للربوبية ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فظنوا له عزة يُلجأ إليها، ويُركن إليها، فقالوا حينما ألقوا حبالهم وعصيهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]. ولكنهم حينما تفتحت بصائرهم على نور الإيمان، وخالطت قلوبهم بشاشته، وعرفوا عجز فرعون وقوة الله، حينما رأوا الحبال والعصي تبتلعها العصا التي انقلبت حية، لقفتها كلها ولم يعد لها وجود، عرفوا أن هذا ليس من قوة البشر، ولكن هذه قدرة فوق قدرة البشر، قدرة خالق القوى والقدر؛ فآمنوا برب العالمين، وامتلات قلوبهم بعزة الإيمان، قالوا: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا﴾ [طه: ٧٢]، وقالوا لفرعون بعد أن كانوا يحلفون بعزته: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

ولا عجب أن نقراً لشاعر مؤمن يناجي ربه في عبودية عزيزة بالله، متذلة إليه، غنية بالله، فقيرة إليه، قائلاً:

ومما زادني شرفاً وعزاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك: يا عبادي وأن أرسلت أحمد لي نبياً^(١)!

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نحن كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نلتمس العزة بغيره أذلنا الله^(٢).

(١) من شعر القاضي عياض، كما في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (٤٧٥/٢)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.



حظ المؤمن من اسم العزيز:

فحظ المؤمن من اسم العزيز: أن ينتسب إلى صاحب هذا الاسم (العزيز) ويعتز به، ويشعر بذلك: أنه اكتسب بهذا الانتساب القوة والعزة، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وهو بعزة الله تعالى يقف أمام أقوى القوى، ومن معهم أعتى الأسلحة وأحدثها وأشدّها فتكًا؛ لأنّ عزة الله أكثر من عزتهم، وقوته أعلى من قوتهم، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].

وقد عبرت عن ذلك في قصيدتي (أنا بالله عزيز) من ديواني (المسلمون قادمون)، وأود أن أضعها بين يديك هنا، لتمثل لك معنى الاعتزاز بالله رب العالمين:

هات ما عندك هات	يا زمان الأزمات
أنا لا أخشاك فأنثر	كل ما في الجعبات
وارم من نبلك ما شئت	ت فلن تثني قناتي
هل ترى الإعصار يومًا	هزّ شمّ الراسيات
أنا محمي بدرع	من يقين وثبات
معي الله، فلم لا	أتحدّى النائبات؟
معي الإيمان يهدي	ني ببحر الظلمات
معي الإخلاص ينجي	مركبي والموج عات
معي حبّ الحق حبّ الـ	خير حب المكرّمات
معي حبي للورى هم	أخوتي أو أخواتي
يا زمانى أنا حرّ	حرّر الإسلام ذاتي

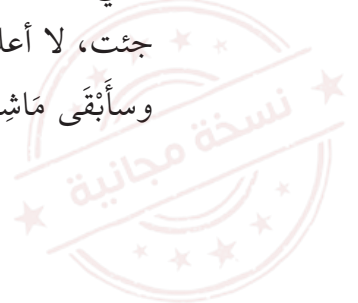


أنا بالله عزيز
 أنا لله ولي
 أنا عبد الله لا عب
 فنيث نفسي عن نف
 سخر الله السما وال
 أنا أقوى الخلق بالد
 كم توجهت إليه
 كم أناجيه فألفي
 سامعاً همسي وسري
 قابلاً مني قليلي
 غافراً ما آد ظهري
 ساتراً ما لا يراه
 أنا أغنى الخلق بالحد
 لا يداني كل ملك ال
 إن يكن قد تاه (إيليا)^(١)
 بات حيران يعاني
 بات لا يعرف معنى
 بات لا يفرق بين
 فأننا أدري وأدري

عزتي في سجداتي
 لا لعزّي أو مناة
 دُ الهوى والشهوات
 سي فسدت الكائنات
 أرض لي والنيرات
 به بذكري، بصلاتي
 في دياجي الكربات
 به مجيباً دعواتي
 ودبيب الخطرات
 من فتات الحسنات
 من جبال السيئات
 خلقه من كبواتي
 ق بأغلى الثروات
 أرض إحدى ركعاتي
 في فيافي الفلسفات
 من شكوك مظلمات
 لحياة أو ممات
 الملح والعذب الفرات
 لم أدري سرّ ذاتي

(١) يعني إيليا أبو ماضي في قصيدته الطلاس، التي يقول فيها:

جئت، لا أعلم من أين، ولكنّي أتيت
 وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أيت
 ولقد أبصرتُ قُدّامي طريقاً فَمَشَيْتُ
 كيف جئت؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
 لست أدري!





أنا أدري مبدئي من أي شيء أنا آت
 أنا أدري أين تمضي رحلتي بعد الوفاة
 أنا أدري غايتي أعرف منهاج حياتي
 حسبي القرآن أتلو هُ فيحيي لي مواتي
 شرحتُ لي أصلَ خلقي بعضُ آي (المرسلات)
 وتجلَّى لي مصيري إذ تلوت (النازعات)
 واستبانت غايتي من آية في (الذاريات)
 أنا روح، أنا نور لا حصاة في فلاة
 أنا شمس ليس تُطفأ بهبوب العاصفات
 ذاك سرِّي يا زمانِي فليمت غيظًا عِداتي!

٢ - الجبار:

ومن أسماء الله الحسنى: اسم (الجبار)، وهو صيغة مبالغة من اسم فاعل من جَبَرَ غَيْرَهُ: إذا سَيَّرَهُ على غير إرادته، وأكرهه على أن يسير كما أراد المُكْرَهُ، وينفذ ما يريده منه، بغير منازعة ولا مقاومة، ولا قدرة على ذلك، وهذا الاسم من الأسماء التي لا يجوز أن تُطلق على غير الله تعالى، ولذلك خاطب الله تعالى رسوله محمداً ﷺ في شأن الكافرين، فقال له: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، وقال الله تعالى في قصة موسى وفرعون: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

وقال الإمام الغزالي في شرح اسم (الجَبَّار) في «المقصد الأسنى»: «هو الذي يُنفِذ مشيئته على سبيل الإِجبار في كل واحد، ولا تُنفذ فيه

مشيئة أحد، الذي لا يخرج أحد من قبضته، وتقصر الأيدي دون حمى
حضرتة؛ فالجبار المطلق هو الله ﷻ، فإنه يُجبر كل أحد، ولا يُجبره أحد،
ولا مثنوية في حقه في الطرفين»^(١).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: «الجبار الذي لا تليق الجبرية إلا
له، ولا التكبر إلا لعظمته، كما في الصحيح: «العظمة إزاري، والكبرياء
ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذّبتة»^(٢). وقال قتادة: الجبار: الذي
جبر خلقه على ما يشاء. وقال ابن جرير: الجبار: المصلح أمور خلقه،
المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم^(٣)»^(٤).

وكأن ابن جرير الطبري المفسر الكبير ينظر إلى معنى (جبر) من
زاوية أخرى، وهي جبر الكسير، ولكنها لا تصلح هنا؛ لأن الجبر
والإجبار هنا معناه: إكراه الآخر على الأمر المراد، فليس له اختيار ولا
حرية، ولهذا قال تعالى في قصة مؤمن آل فرعون: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى
كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

حظ العباد من اسم الجبار:

قال الغزالي: «الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع، ونال درجة
الاستتباع، وتفرد بعلو رتبته، بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء
به، ومتابعته في سمته وسيرته؛ فيفيد الخلق ولا يستفيد، ويؤثر ولا يتأثر،
ويستتبع ولا يتبع. ولا يشاهده أحد إلا ويفنى عن ملاحظة نفسه، ويصير
متشوقاً إليه، غير ملتفت إلى ذاته، ولا يطمع أحد في استدراجه واستتباعه؛

(١) المقصد الأسنى ص ٧٤.

(٢) سبق تخريجه ص ١٥٥.

(٣) تفسير الطبري (٣٠٤/٢٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٨٠/٨).

وإنما حظي بهذا الوصف سيد البشر ﷺ، حيث قال: «لو كان موسى بن عمران حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»^(١). «وأنا سيد ولد آدم ولا فخر»^(٢) «^(٣)».

وعيد الله للمتجبرين والمتكبرين:

وقال القرطبي: «وهذا الوصف في العبد مؤذن بالذم الشديد، وداخل تحت الوعيد؛ لذلك قال تعالى في ذم الكافرين: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، وقوله تعالى: «أين المتجبرون؟ أين المتكبرون؟»^(٤) وعيد بين على من اتصف أو تسمى بهاتين أو بإحدهما.

تفسير القرطبي لاسم الجبار:

وَجَبَّارٌ فَعَالٌ مِنْ أُنْيَةِ الْمُبَالِغَةِ، وَهُوَ شَاذٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِئْ عَلَى أَصْلِهِ مِنَ الْفِعْلِ، لَمْ يَقُلْ: جَبَّرَ فَهُوَ جَابِرٌ، وَلَكِنْ يُقَالُ: تَجَبَّرَ فَهُوَ مُتَجَبِّرٌ وَجَبَّارٌ، فَالْمُتَجَبَّرُ عَلَى الْفِعْلِ مِنْ: تَجَبَّرَ، وَجَبَّارٌ عَلَى غَيْرِ الْفِعْلِ، وَقَدْ يَكُونُ جَبَّارٌ مِنْ فِعْلِ لَا يَتَعَدَّى، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ فِعْلِ مُتَعَدٍّ. قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: يُقَالُ: جَبَرْتَ الْعِظْمَ جَبْرًا، وَجَبَرْتَ الْعِظْمَ بِنَفْسِهِ جُبُورًا، أَيْ أَنْجَبَرُ، وَقَدْ جُمِعَ الْعَجَاجُ بَيْنَ الْمُتَعَدِّي وَاللَّازِمِ فَقَالَ:

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ، فَجَبَرَ^(٥)

(١) رواه أحمد (١٥١٥٦)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. والدارمي في المقدمة (٤٤٩)، قال الحافظ

ابن حجر في الفتح (٣٣٤/١٣): رجاله موثقون إلا أن في مجالده ضَعْفًا. عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (١٠٩٨٧)، وقال مخرجه: صحيح لغيره. والترمذي في التفسير (٣١٤٨) وفيه قصة،

وفي المناقب (٣٦١٥)، وحسنه، وابن ماجه في الزهد (٤٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح

ابن ماجه (٣٤٧٧)، عن أبي سعيد.

(٣) المقصد الأسنى ص ٧٤.

(٤) رواه مسلم في صفات القيامة (٢٧٨٨)، وأبو داود في السنة (٤٧٣٢)، عن ابن عمر.

(٥) انظر: ديوان العجاج من رواية الأصمعي وشرحه (٢/١)، تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي،

توزيع مكتبة الأطلس، دمشق، والصحاح للجوهري (٦٠٧/٢)، تحقيق أحمد عبد الغفور

عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ومعنى جبره الدين: تقويته وإظهاره على الأديان، فالله تعالى جابر كل مكسور، وهو جابر الدين.

قال الزجاجي: وقد يقال: جبرت العظم والفقير جُبورًا. أنشدنا ابن الأنباري عن أحمد بن يحيى ثعلب:

لا يُبْعِدُ الله قومًا إن سألْتَهُمُ أعطوا سراعًا، وإن قلتَ: انصروا، نصروا
وإن أصابتهم نَعْماءٌ سَابِغَةٌ لم يبطروها وإن فاتتهم صبروا
الكاسرين عظامًا لا جبورَ لها والجابرين فأعيا الناس ما جَبَرُوا^(١)

وتجبر الرجل من نفسه يتجبر، فهو متجبر، وفعله: الجبروت يتصف بذلك العاتي الشديد المستطيل في العدوان، من ملوك الأرض ومن لا يقبل الحق.

ويُروى أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاعل يومًا في المصحف، فخرج له قوله **وَجَلَّ: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾** [إبراهيم: ١٥] فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أَتُوعِدُ كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزَّقني الوليد
فلم يلبث إلا أيامًا حتى قُتِلَ شر قَتْلَةٍ، وصلب رأسه على قصره، وعلى سور بلده^(٢).

(١) انظر: أخبار أبي القاسم الزجاجي ص ٣٨، تحقيق د. عبد الحسين مبارك، نشر دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م. غير أنه قال: أنشدني ابن الأنباري قال: أنشدني أبي. ولم ينسبه لثعلب.

(٢) ذكرها الأصفهاني في الأغاني (٣٧/٧، ٣٨).

قال ابن الأنباري: الجَبَّار معناه في كلام العرب: ذو الجبرية، وهو القهار. والجبار: ينقسم على ستة أقسام يكون الجبار: القهار، ويكون الجبار: المُسلِّط، قال الله وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]. ويكون الجبار: القوي العظيم الجسم، كما قال تعالى على لسان بني إسرائيل حين قال لهم موسى: ﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، قالوا: ﴿يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢]. ويكون الجبار: المتكبر عن عبادة الله تعالى كما قال تعالى على لسان عيسى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢]، أي لم يجعلني مُتَكَبِّرًا عن عبادته. ويكون الجبار: القتال، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، معناه بطشتم قتالين. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩]، أي: قتالًا بغير حق. ويكون الجَبَّار: الطويل من النخل^(١). ومنه قيل للنخلة التي فاتت يد المتناول. ولذا قالوا الجبار في صفة الله: الذي لا يُنال.

قال ابن الحصار: ولما وقع هذا الاسم بين (العزیز) و(المتكبر)، عُلِمَ أن المراد به: (ذو الجبروت)، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبحان ذي المُلْكِ والمَلَكُوتِ، سبحان ذي العزة والجبروت»^(٢).

فجاء الجبروت في هذا الحديث بعد ذكر (الملك والملكوت والعزة) على نحو ما ورد في ترتيب الأسماء المذكورة في حديث أبي هريرة^(٣)،

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (٨١/١)، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٢) رواه أحمد (٢٣٩٨٠)، وقال مخرجه: إسناد قوي. وأبو داود في الصلاة (٨٧٣)، بلفظ: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة». عن عوف بن مالك الأشجعي.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٩.

ونحو ذلك في آخر سورة الحشر^(١)، وهذا الحديث يبيّن لك المراد من الاشتراك العارض في اسمه (الجَبَّار). فمعنى (الجَبَّار): ذو الجبروت، أي المستعلي المتعاضم. ثم قد ينضاف إلى ذلك حَمْلُ الغير على مراده، وإن أدى ذلك إلى دمار الغير وفساده، فيؤول صريحًا على ما يدل عليه (العزیز) وزيادة تظهر أثرها على أفعاله، ويتضمن كل ما لا يثبت صفة العزة إلا به، وكل ما لا يتم المُلْك إلا به.

وقال الفقيه أبو بكر بن العربي: قال علماؤنا: هو (جَبَّار) من الجبرية والجبروت، واتفقوا على أنها ليست بصفة خاصة ترجع إلى معنى زائد على الذات، وإنما ترجع إلى ما قدمنا بيانه من أنه مستحق لصفات التعالي والتعظيم، على الوجه الذي لا يستحقه سواه، ولا يثبت لغيره، بخلاف القدوسية، وذلك أن الجبرية تنزيه خاص، والقدوسية تنزيه عام، يدخل تحته كل تقديس، فلما كان الوصف بالقدوسية عامًا تردد في النظر أنه معنى وأنه وصف خاص يشمل أنواعًا من التنزيهات منها (الجَبَّار) وغيره، وهو لعمومه وشموله لهذه الوجوه كلها من التنزيه تنزيه.

قال ابن الحصار: وليس هذا الاسم صريحًا في التنزيه، وقد قدمنا أن معنى تَجَبَّر من الجبروت أي استعلى وجبر غيره على ما يريده، وهو يدل على إثبات وصفه سبحانه وأثره في مخلوقاته، وحكايته عن العلماء أن هذا الوصف يرجع إلى صفة التعالي يبين ما قلناه.

(١) يقول تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].



الأوصاف المشتمل عليها اسم الله الجبار:

قال ابن العربي: للبارئ سبحانه بهذا الاسم اثنا عشر وصفًا:

الأول: أنه يستغني عن الأتباع، فلا يكثر بهم من قلة، ولا يستنصر بهم من ذلة، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١].

الثاني: أنه لا يعفو عن العقوبة بعد الحجة، وإن كان يجيب المضطر إذا استقال من العثرة.

الثالث: أنه لا يشقُّ عليه البذل، إذا أعطى أعطى من سعة، وإذا منع منَّع عن حكمة، من غير تكلف ولا مؤونة.

الرابع: أنه لا يكثرث بالناكثين، ولا يفرح بالمخلصين، كما روى أبو ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله ﷻ: يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، اجتمعوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، اجتمعوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا»^(١).

الخامس: أنه لا يلهف على ما كان، ولا يتمنى ما لم يكن.

السادس: أنه لا يؤثر فيه الكور يعني الزيادة والفساد، ولا يبلى بالعدم والوجود.

السابع: أنه لا يعارض في الفعل.

الثامن: أنه لا يطالب بالعلّة، كما قال سبحانه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾

[الأنبياء: ٢٣].

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، وأحمد (٢١٣٦٧)، عن أبي ذر.

التاسع: أنه لا يُخَجَر عليه في إرادة.

العاشر: أنه لا يتوجه إليه الطلب بالإلزام، وإنما هو دعاء وتضرع.

الحادي عشر: أنه لا يجب عليه الفعل.

الثاني عشر: وإن كان لا سبيل إليه، فلا بد منه»^(١).

كيف يتعامل العبد مع الجبار سبحانه؟

ونقل القرطبي في كتابه «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» ما قاله ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ مَبِينًا كيف يتعامل العبد مع الجبار سبحانه، قال ابن العربي: «المنزلة السفلى للعبد وهي ثلاثة أحوال:

الأول: أن يلزم حال الافتقار، لما هو عليه من الافتقار، كما روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم أحييني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرنني في زمرة المساكين»^(٢).

الثانية: أنه يتدَرَّع ثوب الاستكانة، وإن عظمت منه المكانة، كما قال النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي خطيئتي وعمدي، وكل ذلك عندي»^(٣).

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٧٥ - ٣٨٠.

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٢٦)، والحاكم في الرقاق (٣٢٢/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعفه في الميزان (٢٨٣/٥)، قال المناوي في فيض القدير (١٠٢/٢): زعم ابن الجوزي (١٤١/٣)، وابن تيمية في الفتاوى (٣٨٢/١٨) وضعه. قال ابن حجر: وليس كذلك، بل صححه الضياء في المختارة، وقال الزركشي في تخريج أحاديث الرافعي: أساء ابن الجوزي بذكره له في الموضوعات. وقال المؤلف (المناوي): أسرف. وقال ابن حجر مرة أخرى: أسرف ابن الجوزي بذكره في الموضوع وكأنه أقدم عليه بما رآه مبيّنًا للحال التي مات عليها المصطفى ﷺ؛ لأنه كان مكفّيًا. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦١)، ولعل من صححه صححه لشواهد عن أنس وعائشة وعبادة بن الصامت.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى الأشعري.

الثالثة: أن يستجير عند غلبة الجبابة بعز سلطانه، كما قال النبي ﷺ: «إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى عبد^(١) يتجهمني؟ أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُحلَّ غضبك بي، أو تنزل سخطك عليّ، لك العُتْبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(٢).

فيجب على كل مسلم ألا يتصف بهذا الاسم ولا يتعاطاه، وإنما حظه الاتصاف بنقيضه، وهو التذلل والافتقار للملك الواحد الجبار الذي استعلى على الموجودات وقهرها بعد أن أنشأها وخلقها ولم يزل مستعلياً. فالخالق سبحانه هو رب العزة، والجَبَّار الذي يبطش بالجبَّارين، ويُهْلِكُ من شاء كيف شاء، ويأخذ أخذ العزيز المقتدر، ولا يخاف العقبي، وله الآخرة والأولى، ويستغيث به المظلوم عند غلبة الجبارين عليه بذل وافتقار، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء»^(٣).

٣ - المتكبر:

المتكبر هو الاسم المقترن باسمه تعالى: الجَبَّار، كما جاء في آية سورة الحشر التي سبق ذكرها، وقد ذكره أيضاً الحديث النبوي الضعيف المعروف الذي سرد الأسماء الحسنى، وأجمعت عليه الأمة.

(١) كذا هنا، وعند الطبري: بعيد.

(٢) رواه الطبراني (٧٣/١٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٥١): فيه ابن اسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٨٢)، عن عبد الله بن جعفر.

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٨٠، ٣٨١.

قال القرطبي: «ولا يجوز أن يوصف بالمتكبر غير الله تعالى باتفاق، بل هو وصف ذم في المخلوق كالجبار، يدل عليه قوله تعالى في الحديث القدسي: «أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»^(١). وقال عليه السلام: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(٢). وذكر الكبر عند المعتصم، فقال: حظ صاحبه من الله المقت، ومن الناس اللعن.

فالتجبر والتكبر محرم على كل مخلوق..

والكبر والكبرياء: هو ما يجده المتكبر في نفسه من تعزز وتعاضم واستعلاء واحتقار للغير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ [غافر: ٥٦]^(٣).

وقال الإمام الرازي في تفسير المتكبر في آية الحشر: «أما قوله (المتكبر) ففيه وجوه:

أحدها: قال ابن عباس: الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله.

وثانيها: قال قتادة: المتعظم عن كل سوء.

وثالثها: قال الزجاج: الذي تعظم عن ظلم العباد.

ورابعها: قال ابن الأنباري: المتكبر ذو الكبرياء، والكبرياء عند العرب: الملك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ أَلَكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨].

واعلم أن المتكبر في حق الخلق اسم ذم؛ لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر، وذلك نقص في حق الخلق؛ لأنه ليس له كبر ولا علو، بل ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة، فإذا أظهر العلو كان

(١) سبق تخريجه ص ١٦٣.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، وأبو داود في اللباس (٤٠٩١)، عن ابن مسعود.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ص ٣٨١.



كاذبًا، فكان ذلك مذمومًا في حقه، أما الحق سبحانه، فله جميع أنواع العلو والكبرياء، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه، فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم: قال: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]. كأنه قيل: إن المخلوقين قد يتكبرون، ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف، لكنه سبحانه منزّه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق؛ لأنهم ناقصون بحسب ذواتهم، فادعائهم الكبر يكون ضم نقصان الكذب إلى النقصان الذاتي، أما الحق سبحانه فله العُلُوّ والعِزّة، فإذا أظهره كان ذلك ضم كمال إلى كمال، فسبحان الله عما يشركون، في إثبات صفة المتكبرية للخلق»^(١).

وقال الغزالي: «المتكبر هو الذي يرى الكل حقيرًا بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه، فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد، فإن كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقًا، وكان صاحبها متكبرًا حقًا، ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا لله وعَلَّيْ».

وإن كان ذلك التكبر والاستعظام باطلاً، ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه كان التكبر باطلاً ومذمومًا، وكل من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص دون غيره كانت رؤيته كاذبة، ونظره باطلاً، إلا الله سُبْحَانَهُ»^(٢).

حظ العبد من اسم الله المتكبر:

ونبه الغزالي إلى حظ العبد من هذا الاسم فقال: «المتكبر من العباد هو الزاهد العارف، ومعنى زُهد العارف أن يتنزّه عما شغل سرّه عن

(١) تفسير الرازي (٥١٤/٢٩).

(٢) المقصد الأسنى ص ٧٥.

الحق، ويتكبر على كل شيء سوى الحق سُبْحَانَهُ، فيكون مستحقاً للدنيا والآخرة جميعاً، مترفعاً عن أن يشغله كلاهما عن الحق تعالى.

وزهد غير العارف معاملة ومعاوضة، فإنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة، فيترك الشيء عاجلاً طمعاً في أضعافه أجلاً، وإنما هو سَلَمٌ ومبايعة، ومن استعبده شهوة المطعم والمنكح فهو حقير، وإن كان ذلك دائماً، وإنما المتكبر من يستحق كل شهوة وحظ يُتَصَوَّر أن يساهمه البهائم فيهما. والله أعلم»^(١).

مناقشة وبيان لكلام الغزالي:

والغزالي هنا يقف موقف كثير من الصوفية، الذين يقولون: لا ينبغي للعابد أن يعبد الله ويقوم بأمره ونهيه، خوفاً من عقابه، أو طمعاً في ثوابه، فإن مثل هذا العابد واقف مع غرضه وحظ نفسه، ومحبة الله حقاً تأبى ذلك وتنافيه.

فإن المحبّ - كما يقول ابن القيم - «لا حظ له مع محبوبه، فوقوفه مع حظه علة في محبته، كما أن طمعه في الثواب تطلّع إلى أنه يستحق بعمله على الله تعالى أجرة».

وفي هذا آفتان: تطلعه إلى الأجرة، وإحسان ظنه بعمله، ولا يخلصه من ذلك إلا تجريد العبادة والقيام بالأمر والنهي من كل علة، بل يقوم به تعظيماً للأمر الناهي، وأنه أهل أن يعبد وتعظم حرماته، فهو يستحق العبادة والتعظيم والإجلال لذاته، كما في الأثر الإسرائيلي: «لو لم أخلق جنة ولا ناراً، أما كنت أهلاً أن أعبد؟» ومنه قول القائل:

(١) المقصد الأسنى ص ٧٥.

هَبِ الْبَعْثَ لَمْ تَأْتِنَا رَسَلُهُ وَجَاحِمَةَ النَّارِ لَمْ تَضُرْمِ
أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقُّ ثَنَاءُ الْعِبَادِ عَلَى الْمُنْعَمِ^(١)؟

فالنفوس الزكية العلية تعبده، لأنه أهل أن يعبد، ويجل ويحب ويعظم، فهو لذاته مستحق للعبادة، قالوا: ولا يكون العبد مع ربه، كأجير السوء: إِنْ أُعْطِيَ أَجْرُهُ عَمِلَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَعْمَلْ، فهذا عبد الأجرة، لا عبد المحبة والإرادة^(٢).

ولهذا يروون تلك الأبيات المشهورة:

كلهم يعبدون من خوف نار ويرون النجاة حظًا جزيلاً
أو بأن يدخلوا الجنان فيحظوا بنعيم ويشربوا سلسبيلًا
ليس لي في الجنان والنار حظ أنا لا أبتغي بحبي بديلاً^(٣)

قال ابن القيم: «ومن علماء المسلمين من ردَّ هذا الكلام، واعتبره من شطحات القوم ورعونتهم، ولم يرَ أي حرج أو نقص في عبادة الله خوفاً وطمعاً، ورغباً ورهباً، واحتجَّ هؤلاء العلماء بأحوال الأنبياء والرسل والصّديقين والصّالحين ودعائهم، والثناء عليهم في كتاب الله تعالى بخوفهم من النار ورجائهم للجنة، كما قال تعالى في خواص عباده، الذين عبدتهم المشركون ودعّوهم من دون الله أو مع الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿[الإسراء: ٥٧].

(١) ذكرهما ابن الجوزي في المدهش ص ٤٩٤، تحقيق مروان قباني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢) مدارج السالكين (٧٤/٢).

(٣) نسبها ابن الجوزي لشاب في مجلس ذي النون المصري. انظر صفة الصفوة: (٤٥٠/٢)، تحقيق أحمد بن علي، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

وذكر سبحانه عباده الذين شَرَّفهم بالإضافة إلى اسمه (الرحمن)، فسَمَّاهم: (عباد الرحمن)، وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم، فجعل منها: استعاذتهم به من النار، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۖ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

وأخبر عن المتقين من عباده أنهم توسَّلوا إليه بإيمانهم أن ينجيهم من النار، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]. فجعلوا أعظم وسائلهم إليه - وسيلة الإيمان - وسيلة لأن ينجيهم من النار.

وأخبر تعالى عن سادات العارفين أولي الألباب: أنهم كانوا يسألونه جنَّته، ويتعوَّذون به من ناره، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۖ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ۖ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمْنًا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۖ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۖ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِي بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٥].

وفي الصحيح، في حديث الملائكة السيَّارة: أن الله تعالى يسألهم عن عباده، وهو أعلم بهم، فيقولون: «أتيناك من عند عبادك يُهلِّلونك ويكَبِّرونك ويَحْمَدونك ويُمجِّدونك. فيقول وَجَّهٌ: وهل رأوني؟ فيقولون:

لا يا رب، ما رأوك. فيقول ﷺ: كيف لو رأوني؟! فيقولون: لو رأوك، لكانوا لك أشد تمجيدًا. قالوا: يا رب، يسألونك جنتك، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا، وعزتك ما رأوها. فيقول: كيف لو رأوها؟! فيقولون: لو رأوها، لكانوا لها أشد طلبًا. قالوا: ويستغيثون بك من النار، فيقول ﷺ: وهل رأوها؟! فيقولون: لا، وعزتك، ما رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد منها هربًا. فيقول: إني أشهدكم أنني قد غفرتُ لهم، وأعطيتُهم ما سألوه، وأعدتُهم ممَّا استعاذوا^(١).

والقرآن والسنة مملوءان من الثناء على عباده تعالى وأوليائه بسؤال الجنة ودرجاتها، والاستعاذة من النار والخوف منها.

وقد قال النبي ﷺ لأصحابه: «استعينوا بالله من النار»^(٢). وقال لمن سألته مرافقته في الجنة: «أعني على نفسك بكثرة السجود»^(٣).

قالوا: والعمل على طلب الجنة، والنجاة من النار: مقصودُ الشارع من أمته، ليكونا دائمًا على ذكر منهم، فلا ينسَوْنَهَا، ولأن الإيمان بهما شرط في النجاة، والعمل على حصول الجنة، والنجاة من النار، هو محض الإيمان.

ولو ذهبنا نذكر ما في السنة من قوله ﷺ: من عمل كذا وكذا أدخله الله الجنة؛ تحريضًا على عمله لها، وأن تكون هي الباعثة على العمل، لطال ذلك جدًّا، وذلك في جميع الأعمال.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٤٠٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه فضيل بن غزوان في فضائل الدعاء (١٥٨)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٧٠)، عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه ص ١٥٤.

فكيف يكون العملُ من أجل الثواب، وخوف العقاب معلولاً، والرسول ﷺ يُحرّض عليه؟!

قالوا: وأيضاً، فالله سبحانه يُحبُّ من عباده أن يسألوه جنته، ويستعيذوا به من ناره، فإنه يُحبُّ أن يُسأل، و«مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(١). وأعظم ما سُئل: (الجنة)، وأعظم ما استُعيذ به: (النار).

قالوا: وإذا خلا القلبُ من ملاحظة الجنة والنار، ورجاء هذه والهروب من هذه، فترت عزائمه، وضعفت همّته، ووهى باعثه؛ وكلما كان أشدَّ طلباً للجنة وعملاً لها، كان الباعث له أقوى، والهمّة أشد، والسعي أتم، وهذا أمر معلوم بالذوق.

قالوا: ولو لم يكن هذا مطلوباً للشارع، لَمَا وصف الجنة للعباد، وزيّنها لهم، وعرضها عليهم، وأخبرهم عن تفاصيل ما تصل إليه عقولهم منها، وما عداه أخبرهم به مُجملاً، تشويقاً لهم إليها، وحثاً لهم على أن يسعوا لها سعيها»^(٢).

على أن الإمام ابن القيم وقف موقفاً وسطاً بين الصوفيّة وبين مَنْ ردّ عليهم وخطأهم من علماء الأئمة، فقال بعد أن حكى قول أولئك وردّ على هؤلاء:

«والتحقيق أن يقال: الجنة ليست اسماً لمجرّد الأشجار والفواكه، والطعام والشراب، والحُور العين، والأنهار والقصور، وأكثر الناس

(١) رواه أحمد (٩٧٠١)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في الدعوات (٣٣٧٣)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٧)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٠٨٥)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٧٥/٢ - ٧٩).

يغلطون في مُسمَّى الجنة، فإن الجنة اسمٌ لدار النعيم المُطلق الكامل، ومن أعظم نعيم الجنة: التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، وقرّة العين بالقرب منه وبرضوانه. فلا نسبة للذة ما فيها من المأكول والمشروب والملبوس والصُّور إلى هذه اللذة أبدًا، فأيسر يسير من رضوانه أكبر من الجنان وما فيها من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]. وأتى به منكرًا في سياق الإثبات، أي: أيُّ شيء كان من رضاه عن عبده، فهو أكبر من الجنة.

قليل منك يكفيني، ولكن قليلك لا يقال له قليل^(١)!

وفي الحديث الصحيح، حديث الرؤية: «فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى وجهه»^(٢). وفي حديث آخر: أنه سبحانه إذا تجلّى لهم، ورأوا وجهه عيانًا، نسوا ما هم فيه من النعيم، وذهلوا عنه، ولم يلتفتوا إليه^(٣).

قال ابن القيم: «ولا ريب أنَّ الأمر هكذا، وهو أجلُّ ممَّا يخطر في البال، أو يدور في الخيال، ولا سيما عند فوز المحبين هناك بمعية المحبة، فإنَّ المرء مع من أحبَّ، فأَيُّ نعيم، وأَيُّ لذة، وأَيُّ قرّة عين، وأَيُّ فوز: يداني نعيم تلك المعية ولذتها وقرّة العين بها؟ وهذا والله هو العَلَمُ الذي شَمَّر إليه المحبُّون، واللواء الذي أمّه العارفون، وهو روح

(١) قال عبد القادر بن عمر البغدادي: قال عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص: هو لأبي نصر

أحمد بن علي الميكالي، وليس كذلك، بل هو لغيره. انظر: شرح أبيات مغني اللبيب

(٣٤٣/٣)، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، نشر دار المأمون للتراث، بيروت.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٨١)، وأحمد (٢٣٩٢٥)، عن صهيب الرومي.

(٣) جزء من حديث رواه عبد بن حميد (٨٥١)، عن عبد الله بن عمر.

مسمّى الجنة وحياتها، وبه طابت الجنة، وعليه قامت، فكيف يقال:
لا يعبد الله، طلباً لجنّته، ولا خوفاً من ناره؟!!

وكذلك النار أعادنا الله منها، فإنّ لأربابها من عذاب الحجاب عن
الله وإهانتة، وغضبه وسخطه، والبُعد عنه أعظم من التهاب النار في
أجسامهم.

فمطلوب الأنبياء والمرسلين والصّديقين والشّهداء والصّالحين
هو: الجنة، ومهربهم: من النار»^(١).

* * *



(١) مدارج السالكين لابن القيم (٧٩/٢ - ٨٠). وانظر كتابنا: العبادات في الإسلام ص ٩٣ - ٩٨، نشر
مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٩، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

الله الخالق البارئ المصور

ومن أسمائه تعالى الحسنى، التي حفل بها القرآن الكريم، وأكدتها السنة النبوية، ونطقت بها الألسنة، وابتهجت بذكرها القلوب، وامتلات بالدعاء بها حلقات المساجد، وأجمعت عليها أمة الإسلام في المشارق والمغارب، والشمال والجنوب: أسماء الخالق البارئ المصور، التي قرأناها في ختام سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤].

١- الخالق:

من الآية الأولى التي قرأها جبريل على محمد رسول الله، كان معنى اسم الخالق هو أول الأسماء التي عرفها رسول الله، حين قرأ عليه جبريل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

واسم (الخالق) ورد في القرآن بضع عشرة مرة بصيغ عدة، كلها تدل على هذا المعنى الكبير، وهو أنه تبارك وتعالى: هو الخالق، أو الخلاق، أو الذي خلق.

علم الله الإنسان المخاطب بكتابه: أنه مخلوق لخالق عظيم، هو وكل ما حوله في العالم العلوي والعالم السفلي مخلوقون لله.

كما بيّنت آيات القرآن: أن هذا الخالق هو الذي خلق الإنسان، وخلق قبل الإنسان السماوات والأرض، وخلق الملائكة والجن. وخلق من أجل الإنسان عالم الحيوان والأنعام، لخدمة الإنسان ومنفعته، كما قال تعالى:

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٣ - ٨].

خلق العوالم العلوية:

تحدث القرآن طويلاً عن العالم العلوي، بما فيه من سماوات سبع وكرسي، وصفه الله بقوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ ﴾ أي: لا يشق عليه ﴿ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وفوق الكرسي مخلوق أعظم منه ومن السماوات كلها، وهو (العرش) كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٧].

معنى الخلق في مفردات الراغب:

وفي (مفردات القرآن) للراغب الأصفهاني: «الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١]. أي: أبدعهما، بدلالة قوله: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧].

ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، نحو: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: ٤]، ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]، ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]. وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا الله تعالى، ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. وأما الذي يكون من الشيء، فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال، كعيسى حيث قال: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]»^(١).

الله وحده هو الخالق وهو الخلاق:

إن الله تعالى وحده هو الخالق، ولا يستطيع واحد ممَّن اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنْ دُونِهِ قَدِيمًا أَوْ حَدِيثًا أَوْ يَخْلُقُ شَيْئًا كَبْرًا أَوْ صَغُرًا، مهما يكن ضئيلًا وحقيرًا، كما قال الله تعالى للمشرِّكين: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ١٧، ٧٣].

وقال تعالى يتحدَّاهم: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَرُ﴾ [الرعد: ١٦].

إن الله سبحانه هو الخالق، وهو الخلاق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]، ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة (خ. ل. ق).

سبب عناية القرآن بالخالقية:

وقد عني القرآن بصفة الخالقية، لعدة أسباب:

أولاً: ليردّ على الماديين والجاحدين الذين لا يؤمنون بخالق فوقهم خلّقه، وظنوا أن الطبيعة هي التي خلقتهم، أو أنهم خلّقوا من غير شيء، القرآن يقول لهؤلاء: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

ثانياً: ليردّ على من اعترفوا بالخلق الأول، ولكنهم أنكروا الخلق الثاني: الإعادة، البعث بعد الموت. قد كان العرب في الجاهلية إذا سألتهم: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قالوا: خلّقهن الله، خلّقهن العزيز العليم، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]. ولكنهم لا يعترفون بقدرة الله تعالى على إعادة من خلقه، فأنكروا البعث، وأنكروا إمكان البعث، وقال قائلهم وقد جاء بعضهم قد رمّ وبلي إلى النبي ﷺ: أتزعم يا محمد أن الله يبعث هذا بعد ما رمّ وبلي؟ قال: «نعم، ويبعثك ويُدْخِلُكَ النَّارَ»^(١). ونزل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩]. الذي أنشأها أول مرة ينشئها مرة ثانية. كما قال وَجَلَّ: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، الإعادة أهون في نظر

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٩٨)، تحقيق د. محمود محمد عبده، نشر دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.

الناس، وأما الله عَلَّمَهُ فيستوي عنده الإبداء والإعادة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ثم قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، كما قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

ثالثًا: ليرد على الوثنيين الذين عبدوا أصنامًا وأوثانًا لا تخلق شيئًا، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣] الله هو الذي يخلق آلهتهم المدعاة، كما قال سيدنا إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا [فاطر: ٤٠، ٤١].

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ [الحج: ٧٣].

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النحل: ٢٠، ٢١].

رابعًا: ربط الناس بالله الخالق لكل ما في الكون، فالله ليس بآله سلبية، ليس بآله لا يعلم في الكون شيئًا، ولا يُدبر أمرًا، كما قال بعض الفلاسفة، إنما هو الخالق الباري المصور، الذي يصمم هذا الكون

ويُهَنْدِسُه وَيَبْنِيهِ عَلَى مَا يَرِيدُ، وَعَلَى مَا يُقَدَّرُ تَمَامًا، ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]. كل شيء بحساب وميزان ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

ولذلك القرآن يذكرنا دائماً بعظمة خلق الله ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرْوِفُ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴿[لقمان: ١٠، ١١].

الله سبحانه يقول هذا في سورة النحل: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايَزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ

فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ
وَسْبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا
يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿النحل: ٣ - ١٧﴾؟

٢ - الباري:

الخلق - كما قال الإمام الرازي وغيره - هو: التقدير. معناه أن الله تعالى يقدر أفعاله وما يريد أن يخلقه على أقدار معلومة، ووجوه مخصوصة، فالخالقية راجعة إلى صفة الإرادة.

وأما (البارئ) فهو بمنزلة قولك: الصانع، والموجد إلا أنه يفيد اختراع الأجسام، ولذلك يقال في الخلق: بريّة. ولا يقال في الأعراض كاللون والطعم.

ولا يوجد باري في القرآن غير ما جاء في خاتمة سورة الحشر، إلا ما جاء في قصة بني إسرائيل حين اتخذوا إلهاً من دون الله وعبدوه، حينما ذهب موسى لميقات ربه الذي أتمه الله أربعين ليلة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

٣ - المصور:

وأما المصور، فقد تكرر في صيغة الفعل في القرآن في آيات كثيرة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الأعراف: ١٠، ١١].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣]، ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

فهنا يظهر ويتجلى اسم (المصوّر) في خلق الإنسان وتصويره، وإحسان تصويره، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

قال الرازي: «أما المصور فمعناه: أنه يخلق صور الخلق على ما يريد، وقدم ذكر الخالق على البارئ؛ لأن ترجيح الإرادة مقدم على تأثير القدرة، وقدم البارئ على المصور؛ لأن إيجاد الذوات مقدم على إيجاد الصفات»^(١).

الفرق في المعنى بين الخالق والبارئ والمصور:

وننقل هنا ما قاله الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح الأسماء الثلاثة، والربط بين بعضها وبعض في كتابه «المقصد الأسنى في شرح معاني الأسماء الحسنی»، قال رَحِمَهُ اللهُ:

«قد يُظَنُّ أن هذه الأسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع، ولا ينبغي أن يكون كذلك، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود، فيفتقر إلى تقدير أولاً، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانياً،

(١) تفسير الرازي (٥١٤/٢٩).



وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً. والله سُبْحَانَهُ خالق من حيث إنه مقدر، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد، ومصوّر من حيث إنه مُرَتَّبُ صور المخترعات أحسن ترتيب.

وهذا كالبناء مثلاً، فإنه يحتاج إلى مقدّر يقدر ما لا بد له منه من الخشب واللبن، ومساحة الأرض، وعدد الأبنية وطولها وعرضها، وهذا يتولاه (المهندس)، فيرسمه ويصوّره، ثم يحتاج إلى (بّناء) يتولى الأعمال التي عندها يحدث أصول الأبنية (مناسباتها المعتمدة، ووفق أسس الصفة، مستعيناً بمن معه من معاونين، وبكل الحاجات المطلوبة)، ثم يحتاج إلى مُزَيِّن (أي: مجموعة مزينين ونقاشين ومتخصصين) ينقش ظاهره ويزين صورته، فيتولاه غير البّناء.

هذه هي العادة في التقدير والبناء والتصوير، وليس كذلك في أفعال الله وَعَلَى؛ بل هو المقدّر والموجد والمزَيِّن، فهو الخالق، البارئ، المصوّر. و(مثاله): الإنسان (يعني: الإنسان الأول وهو آدم، فهو المخلوق من طين، أما الإنسان العادي مخلوق من ماء دافق)، وهو أحد مخلوقاته، وهو محتاج في وجوده أولاً إلى أن يقدر ما منه وجوده، فإنه جسم مخصوص، فلا بد من الجسم أولاً حتى يُخصص بالصفات، كما يحتاج البّناء إلى آلات حتى يبني.

ثم لا يصلح لبنيّة الإنسان إلا الماء والتراب جميعاً؛ إذ التراب وحده يابس محض، لا ينثني ولا ينعطف في الحركات، والماء وحده رطب محض، لا يتماسك ولا ينتصب؛ بل ينسبط، فلا بد أن يمتزج الرطب باليابس حتى يعتدل، ويعبر عنه بالطين. ثم لا بد من حرارة طابخة حتى يستحكم مزج الماء بالتراب ولا يفصل، فلا يتخلق الإنسان من الطين

المحض؛ بل من صلصال كالفخار، والفَخَّار هو الطين المعجون بالماء الذي قد عملت فيه النار حتى أحكمت مِزاجه، ثم يحتاج إلى تقدير الماء والطين بمقدار مخصوص، فإنه إن صَغُرَ مثلاً، لم تحصل منه الأفعال الإنسانية؛ بل كان على قدر الذَّرِّ والنمل، فُتُسَفِّيهِ الرياح، ويهلكه أدنى شيء، ولا يحتاج إلى مثل الجبل من الطين، فإن ذلك يزيد على قدر الحاجة، بل الكافي من غير زيادة ونقصان قدر معلوم يعلمه الله وَعَلَى.

وكل ذلك يرجع إلى التقدير، فهو باعتبار تقدير هذه الأمور (خالق)، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير (مصور)، وباعتبار مجرد الإيجاد والإخراج من العدم إلى الوجود (بارئ). والإيجاد المجرد شيء، والإيجاد على وفق التقدير شيء آخر، وهذا يحتاج إليه من يُبْعَد رَدُّ الخلق إلى مجرد التقدير، مع أن له في اللغة وجهًا؛ إذ العرب تسمي الحذاء خالقًا، لتقديره بعض طاقات النعل على بعض؛ ولذلك قال الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ضُ القوم يخلقُ ثم لا يفري^(١)

(فأما اسم المصور)، فهو له من حيث رتَّب صور الأشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير، وهذا من أوصاف الفعل، فلا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة، ثم على التفصيل؛ فإن العالم كله في حكم شخص واحد، مركَّب من أعضاء متعاونة، على الغرض المطلوب منه، وإنما أعضاؤه وأجزاؤه السماوات والكواكب والأرضون، وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما، وقد رُتِّبَ أجزاؤه ترتيبًا محكمًا،

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، انظر: ديوان زهير ص ٥٦، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،



لو غُيِّرَ ذلك الترتيب لبطلَ النظامُ، فخصَّصَ بجهةِ الفُوق ما ينبغي أن يعلو، وبجهةِ السُّفل ما ينبغي أن يسفل.

وكما أن البناء يضع الحجارة أسفل الحيطان، والخشب فوقها، لا بالاتفاق؛ بل بالحكمة والقصد لإرادة الإحكام، ولو قلب ذلك، فوضع الحجارة فوق الحيطان، والخشب أسفلها، لانهدم البناء، ولم تثبت صورته أصلاً.

فكذلك ينبغي أن يفهم السبب في علو الكواكب، وتسفل الأرض والماء، وسائر أنواع الترتيب في الأجزاء العظام من أجزاء العالم، ولو ذهبنا نصفُ أجزاء العالم ونُحْصِيها، ثم نذكر الحكمة في تركيبها، لطال الكلام، وكل من كان أوفر علمًا بهذا التفصيل، كان أكثر إحاطة بمعنى اسم المصوّر، وهذا الترتيب والتصوير موجود في كل جزء من أجزاء العالم وإن صغر، حتى في النملة والذرة؛ بل في كل عضو من أعضاء النملة؛ بل الكلام يطول في شرح صورة العين التي هي أصغر عضو في الحيوان، ومن لم يعرف طبقات العين وعددها وهيئاتها، وشكلها ومقاديرها، وألوانها ووجه الحكمة فيها، فلن يعرف صورتها، ولن يعرف مصوّرَها إلا بالاسم المجمل، وهكذا القول في كل صورة لكل حيوان ونبات، بل لكل جزء من كل حيوان ونبات»^(١).

والعلماء المتخصّصون في هذه الأمور، الذين درسوا تفاصيلها، يعرفون كثيرًا من أسرار الخالق البارئ المصور، في كل جزئية من جزئيات هذا الكون، وإذا دخلوا في التفصيلات حدّثوك بالروائع الإلهية في كل نوع من الخلق الإنساني والحيواني والنباتي والفلكي،

(١) المقصد الأسنى ص ٧٥ - ٧٨.

وأطلعوك بكل دقة ممكنة على ما يبهر الأبصار، ويخلب العقول، ويجعل الإنسان يقف موقف العظة والاعتبار، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤].

حظ المكلف من هذه الأسماء الحسنى (الخالق البارئ المصور):

قال الإمام الغزالي: «حظ العبد من اسم الله المصور أن يحصل في نفسه صورة الوجود كله على هيئته وترتيبه، حتى يحيط بهيئة العالم وترتيبه كله كأنه ينظر إليها، ثم ينزل من الكل إلى التفاصيل، فيشرف على صورة الإنسان، من حيث بدنه وأعضاؤه الجسمانية، فيعلم أنواعها وعددها، وتركيبها والحكمة في خلقها وترتيبها، ثم يشرف على صفاتها المعنوية، ومعانيها الشريفة، التي بها إدراكاته وإرادته.

وكذلك يعرف صورة الحيوانات وصورة النبات ظاهراً وباطناً، بقدر ما في وسعه، حتى يحصل نقش الجميع وصورته في قلبه، وكل ذلك يرجع إلى معرفة صورة الجسمانيات، وهي معرفة مختصرة بالإضافة إلى معرفة ترتيب الروحانيات، وفيه يدخل معرفة الملائكة، ومعرفة مراتبهم، وما وُكِّل إلى كل واحد منهم من التصرف في السماوات والكواكب، ثم التصرف في القلوب البشرية بالهداية والإرشاد، ثم التصرف في الحيوانات بالإلهامات الهادية لها إلى مَظَنَّة الحاجات.

فهذا حظ العبد من هذا الاسم، وهو اكتساب الصورة العلمية المطابقة للصورة الوجودية، فإن العلم صورة في النفس مطابقة للمعلوم، وعلم الله ﷻ بالصور سبب لوجود الصور في الأعيان، والصورة الموجودة في الأعيان سبب لحصول الصور العلمية في قلب الإنسان، وبذلك يستفيد العبد العلم بمعنى اسم المصور من أسماء

الله ﷻ، ويصير أيضًا باكتساب الصورة في نفسه كأنه مصوّر، وإن كان ذلك على سبيل المجاز، فإن تلك الصور العلمية إنما تحدث فيه على التحقيق بخلق الله تعالى واختراعه، لا بفعل العبد، ولكن العبد يسعى في التعرض لفيضان رحمة الله تعالى عليه، ف﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ولذلك قال ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحاتٍ من رحمته، ألا فتعرّضوا لها»^(١).

وأما الخالق البارئ، فلا مدخل للعبد أيضًا في هذين الاسمين إلا بنوع من المجاز بعيد، ووجهه: أن الخلق والإيجاد يرجع إلى استعمال القدرة بموجب العلم، وقد خلق الله تعالى للعبد علمًا وقدرةً، وله سبيل إلى تحصيل مقدوراتهِ على وفق تقديره وعلمه.

والأمور الموجودة تنقسم إلى ما لا يرتبط حصولها بقدرة العباد أصلًا، كالسماء والكواكب، والأرض والحيوان والنبات، وغير ذلك، وإلى ما لا حصول لها إلا بقدرة العباد، وهي التي ترجع إلى أعمال العباد، كالصناعات والسياسات، والعبادات والمجاهدات، فإذا بلغ العبد في مجاهدة نفسه بطريق الرياضة في سياستها وسياسة الخلق مبلغًا، انفرد فيها باستنباط أمور لم يُسبق إليها، ويقدر مع ذلك على فعلها والترغيب فيها، كان كالمخترع لِمَا لم يكن له وجود من قبل؛ إذ يقال لواضع الشطرنج: إنه الذي وضعه واخترعه، حيث وضع ما لم يُسبق إليه، إلا أن وضع ما لا خير فيه، لا يكون من صفات المدح.

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣٣/١٩)، والأوسط (٢٨٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٧١٢): فيه من لم أعرفه، ومن عرفتهم وثقوا. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩١٧)، عن محمد بن مسلمة.

وكذلك في الرياضات والمجاهدات، والسياسات والصناعات، التي هي منبع الخيرات، صورٌ وترتيبات يتعلمها الناس بعضهم من بعض، ويرتقي لا محالة إلى أول مستنبط وواضع، فيكون ذلك الواضع كالمخترع لتلك الصورة، والخالق المقدر لها، حتى يجوز إطلاق الاسم عليه مجازًا.

ومن أسماء الله تعالى ما يكون نقلها إلى العبد مجازًا، وهو الأكثر، ومنها ما يكون في حق العبد حقيقة، وفي حق الله تعالى مجازًا، كالصبور والشكور، ولا ينبغي أن تلاحظ المشاركة في الاسم، وتذهل عن هذا التفاوت العظيم الذي ذكرناه»^(١).



(١) المقصد الأسنى ص ٧٨ - ٨٠.

غير مرخصة للطباعة

الله السميع البصير

ومن أسماء الله تعالى المشتملة على صفاته العليا، التي ذكرها القرآن الكريم، وكرّرها في سُورِهِ وآياته المكية والمدنية، ونطقت بها السنة، وأجمعت عليها الأمة، اسمًا: السميع والبصير، وهما اسمان لله تعالى من الأسماء الحسنی المقترنة التي يُدعى بها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وهما يثبتان صفتي السمع والبصر لله تعالى.

أثبت القرآن لربنا ﷻ صفة السمع وصفة البصر، وهما زائدتان عن صفة العلم، التي أثبتها وأكدها القرآن لله جل شأنه.

١ - السميع:

واسم السميع جاء في القرآن العظيم في غير موضع، مُنْكَرًا ومُعَرِّفًا، وثبت في السنة النبوية، وأجمعت عليه الأمة. وهو صيغة مبالغة من اسم فاعل: سمع يسمع. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

«ويجوز إجراؤه على العبد، يقال فيه: سَمِعَ يَسْمَعُ على الأصل، واسم الفاعل سامع، وسميع للمبالغة، وحاسة السمع فينا قوة باطنة موجودة في الجارحة المسماة بالأذن، من شأنها تأدية معانٍ ظاهرة، وهي

الأصوات كلها على اختلافها، دون ما سوى ذلك إلى قوى باطنة أُخَر.
وأما السميع في صفة الله تعالى فهو على ثلاثة أضرب:

الأول: يكون صفة ذات، ويُخالف في هذا الوجه السامع؛ لأن السامع لا بد له من متعلق بمسموع موجود، والسميع غير متعلق بمسموع، كالعليم والقدير فيكون مدحاً للذات، وأن المسموعات إذا وجدت لا تخفى عليه.

الثاني: أن يكون (سميع) بمعنى مُسمِع أي يُسمِع غيره، فيتعلق بمفعول. قال عمرو بن معدي كرب يتشوّق إلى أخته، وكان قد أسرها الصّمة أبو ذرّيد بن الصّمة:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَاعِي السَّمِيعِ يُوْرِقْنِي وَأَصْحَابِي هَجُوعٌ^(١)

الوجه الثالث: أن يكون سميع بمعنى سامع، فيتعلق بالمفعول..

وقد يكون السامع في صفات الله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ بمعنى المُجِيب، يقال: سمع الله دعاءك. أي: أجابه، كما يقال: سمع الله لمن حمده. أي: أجابه.

وقد قال الشاعر:

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ^(٢)

(١) من شعر عمرو بن معديكرب، كما في الأصمعيات ص ١٧٢، رقم (٦١)، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، نشر دار المعارف، مصر، ط ٧، ١٩٩٣م.
والشاهد أن السميع في البيت بمعنى المسمع الذي يُسمِع غيره. انظر: لسان العرب مادة (س. م. ع).

(٢) من شعر شمير بن الحارث بن ضرار الصبي، كما في النوادر لأبي زيد ص ٣٨١، تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
والشاهد: استخدام يسمع بمعنى يجيب. انظر: لسان العرب مادة (س. م. ع).



أي: لا يجيب دعائي، ومن هذا استعاذة رسول الله ﷺ من دعاء لا يُسمع^(١)، أي: لا يستجاب له، ويبينه الحديث الآخر الذي قال فيه ﷺ: «أعوذ بك من دعوة لا يُستجاب لها»^(٢).

وقد يَرِد السَّماع بمعنى: العلم، والأصل في السماع إدراك المسموعات، وما سوى ذلك تَجَوُّز وتوسع، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن.

وقال الحَلِيمي في معنى (السميع): إنه المُدْرِك للأصوات التي يدركها المخلوقون بآذانهم من غير أن تكون له أذن، وذلك راجع إلى أن الأصوات لا تخفى عليه، وإن كان غير موصوف بالحس المركَّب في الأذن؛ كالأصم من الناس لَمَّا لم تكن له هذه الحاسة لم يكن أهلاً لإدراك الصوت.

وقال الخطَّابي: (السميع): بمعنى السامع، إلا أن السميع أبلغ في الصفة، وبناء فعيل للمبالغة، وهو الذي يسمع السر وأخفى^(٣).

قلتُ (القرطبي): وأخفى ممَّا هو أخفى، فيسمع ديبب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وتحت الأرض السفلى.

روى البخاري عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول: فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي﴾

(١) رواه أحمد (٦٥٥٧)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والترمذي في الدعوات

(٣٤٨٢)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الاستعاذة (٥٤٤٢)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، عن زيد بن أرقم.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١١٩/١).

تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾
[المجادلة: ١] ﴿٢﴾.

وفي الصحيحين، عن ابن مسعود، قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر: قُرَشِيَّان وثقفِيّ - أو: ثقفِيان وقُرَشِيّ - قليلٌ فقهٌ قلوبهم، كثير شحْمٌ بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فهو يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ [فصلت: ٢٢].

اسم السميع في القرآن:

اسم السميع جاء في القرآن مقترناً مع غيره من الأسماء الحسنى في خمسة وأربعين موضعاً، ولم يأت وحده إلا في موضعين: قوله تعالى على لسان زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقوله تعالى: على لسان إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقد جاء اسم السميع مقترناً باسم البصير في عشر آيات من كتاب

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم في التوحيد (١١٧/٩)، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، ووصله أحمد (٢٤١٩٥)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي في الطلاق (٣٤٦٠)، وابن ماجه في المقدمة (١٨٨)، عن عائشة.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨١٧)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٧٥)، عن ابن مسعود.

الله، منها قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْرَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وجاء مقترناً بالعليم في اثنين وثلاثين موضعاً، منها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقوله على لسان إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. أي: أنت تسمع أقوالنا، وتعلم نياتنا.

وجاء على لسان امرأة عمران حينما حملت بمريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

وجاء أيضاً مقترناً بالقرب مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

شمول سمع الله:

إن الله يسمع كل ما تنطق به الكائنات في السماء أو في الأرض، ممن يعقل، ومما لا يعقل، من عالم الجمادات والأفلاك، وعالم البحار والجبال والأرض، وعالم النباتات والزرع، وعالم الحشرات والزواحف، وعالم الأسماك والبحريات، وعالم البهائم والوحوش والطيور، وعالم الجن وعالم الملائكة، وما لا نعرفه من العوالم، الله يسمع هؤلاء جميعاً، ويسمع ما يقوله الإنسان في خلوته، وفي جلوته، بالليل أو بالنهار، بالسر أو بالجهر، ما جهرت به على الملأ، وما أسررت به في نفسك يسمعه الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣].
 وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۖ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٧، ٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

كيف يسمع الله تعالى وكيف يرى؟

إنه لا يسمع بواسطة كما نسمع نحن بواسطة الأذن، كما أنه يرى كل شيء في الكون: عاليه ونازله، ظاهره وباطنه، قريبه وبعيده، صغيره وكبيره، بادية وخفية، دقيقة وجليلة، مكشوفة ومغطاة، كلها عنده سواء. ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۖ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۖ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ۚ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٨ - ١٠].

قال الإمام ابن القيم:

وهو السَّمِيعُ يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا في الكون من سِرٍّ ومن إعلانٍ
 ولكلِّ صوتٍ منه سمعٌ حاضرٌ فالسِّرُّ والإعلان مستويان
 والسَّمْعُ منه واسعُ الأصواتِ لا يخفى عليه بعيدُها والداني^(١)

سمع الله وسمعنا:

قال أبو حامد: «للعبد من حيث الحس حظ في السمع لكنه قاصر، فإنه لا يدرك جميع المسموعات، بل ما قرب من الأصوات، ثم إن إدراكه

(١) متن القصيدة النونية ص ٢٠٣، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤١٧هـ.



بجارحة وأداة معرّضة للآفات، فإن خفي الصوت قَصُر عن الإدراك، وإن بُعد لم يدرك، وإن عظم الصوت ربما بطل السمع واضمحلاً^(١).

أما سمع الله فسمع ذاتي، لا يحتاج إلى واسطة أو جارحة، يسمع السر والنجوى، وسواء عنده الجهر والخفوت، ولا يخفى عليه شيء مما يُسمع مهما بُعد، ولا يحول دون سَمعه الحوائل، ولا تحجب سمعه الحُجُب، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧].

يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، بل هي عنده كلها كصوت واحد، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وضجيج أصوات العباد بسمعه ولديه لا يتشابه الصوتان^(٢)

يسمع حمد الحامدين فيجازيهم، ودعاء الداعين فيستجيب لهم، وَسَعَ سَمْعُهُ الأصوات، فلا تختلف عليه أصوات الخلق، ولا تشبهه، ولا يشغله منها سمع عن سمع، ولا تغلظه المسائل، ولا يتبرّم بالحاح الملحّين على الدوام.

أما سمع الإنسان فناقص تؤثر فيه المؤثرات، وتتداخل الأصوات، وتشبهه عليه الكلمات، وهو مع هذا محدود، له مدى معين لا يسمع ما فوقه وما دونه، يقول العلماء: إن الإنسان يسمع من الأصوات ما بين ٢٠ و ٢٠٠٠٠ هيرتز، وما فوق ذلك وما تحته لا تستطيع الأذن البشرية أن تسمعه.

(١) المقصد الأسنى ص ٩٠.

(٢) متن القصيدة النونية ص ٣٥.

وسَمِعْنَا نحن المخلوقين يتغيَّر، قد تصيب أذن أحدنا آفة، فيفقد بعض السمع، أو يفقد السمع كله. يَشِيخُ أحدنا ويكبر، فيقل سمعه شيئاً فشيئاً، وربما ينمحي نهائياً، كما قال الشاعر:

إن الثمانين، وبُلِّغَتْهَا قد أحوجتُ سمعي إلى ترجُمان^(١)

أما الله ﷻ لا تغيِّره الحوادث، ولا تدور عليه الدوائر، سميع من الأزل إلى الأزل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أثر الإيمان باسم الله السميع:

من كان يؤمن بأن الله يسمعه، استحيا من الله أن يسمع منه ما لا يحب، أن يسمع منه شراً، أو فحشاً، أو سباً.

ولهذا جاءت التحذيرات من آفات اللسان، منها قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢)، وقوله: «مَنْ صَمِتَ نَجَا»^(٣).

وقال ابن مسعود: يا لسان، قل خيراً تغنم، واسكت عن شرِّ تسلم^(٤).

وكان الصالحون يخافون على أنفسهم من حصاد ألسنتهم، كما قال

(١) من شعر عبد الله بن طاهر، كما في أمالي القالي (٥٠/١)، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٦٤٨١)، وقال مخرجه: إسناده حسن. والترمذي في صفة القسامة (٢٥٠١)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. وصححه الألباني في الجامع الصحيح (٦٣٦٧).

(٤) رواه الطبراني (١٩٧/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١٥٤): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٨٧٢)، عن ابن مسعود.

النبي ﷺ لمعاذ: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: «كف عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله، وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»^(١).

حتى كان بعضهم يضع حصاة في فمه، يحتاج إلى أن يخرجها منه كلما تكلم، ليجبره ذلك على قلة الكلام فيما لا يعنيه.

قال أبو إسحاق الفزاري: كان إبراهيم بن أدهم يطيل السكوت، فإذا تكلم ربما انبسط، فأطال ذات يوم السكوت، فقلتُ له: لو تكلمت؟ فقال: الكلام على أربعة أوجه: فمن الكلام كلام ترجو منفعة، وتخشى عاقبته، فالفضل في هذا: السلامة منه. ومن الكلام كلام لا ترجو منفعة، ولا تخشى عاقبته، فأقلُّ ما لك في تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك. ومن الكلام كلام لا ترجو منفعة، ولا تأمن عاقبته، فهذا قد كفي العاقل مؤونته. ومن الكلام كلام ترجو منفعة، وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره.

قال خلف راوي هذه القصة: فقلت لأبي إسحاق: أراه قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام! قال: نعم^(٢).

(١) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، وقال مخرجه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)،

وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، والحاكم في التفسير (٤١٢/٢، ٤١٣)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن معاذ بن جبل.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٦٧/١).

وقد ذكر الإمام الغزالي في ربع المهلكات من «الإحياء» لسان عشرين آفة من الكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والخوض في أعراض الناس، والكلام فيما لا يعنيه، والاستهزاء بالآخرين، والسخرية منهم، وغير ذلك كثير.

وعدها الشيخ عبد الغني النابلسي اثنتين وسبعين آفة^(١).

ومن هنا قال الناس من قديم: إذا كان الكلام من فضة، فالصمت من ذهب^(٢). وقال الإمام الشافعي:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغَنَّكَ، إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان^(٣)

صُنْ سَمْعَكَ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ:

وينبغي كذلك للمؤمن الذي آمن بأن الله سميع ألا يسمع إلا ما فيه خير؛ لأن المحرم ليس الكلام الخبيث فقط، بل الاستماع إليه أيضاً، فالمستمع شريك المتكلم، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(١) في قصيدته المشهورة، التي ابتدأها بقوله:

تعلَّم حفظ آفات اللسان لتحظى بالأمان وبالأمانى
وخذها إنها سبعون شيئاً حكّت في نظمها عقد الجمان

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٤٧)، عن الأوزاعي قال: قال سليمان بن داود عليه السلام.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي (٨٧/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة،

ط ١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

والله تعالى ذكر في صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

إن كل ما تقول وما تسمع مكتوبٌ عند الله ومُسجَّل، يقول الله وَجَّكَ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. ملائكة الله تكتب شرك ونجواك ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كُنُيْنَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ إِذْ يَنْلَقَى الْمُلْتَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ - ١٨].

ولذا قال العلماء في الغيبة: السامع شريك المغتاب. وقالوا: لعنت النائحة والمستمعة إليها.

ومثل ذلك: الاستماع إلى الأغاني الخليعة، التي تنافي العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق الإسلامية، أو التي تؤدَّى بميوعة وتكشُّر وخضوع في القول، أو التي تقترن بمحرَّم، مثل الخمر أو التبرُّج، أو الرقص الخليع، أو نحو ذلك.

اسأل الله وحده:

الله يسمع دعاء عباده، ويستجيب لهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وإذا علم العبد أن الله يسمع دعاءه، لم يدع سواه، ولم يلجأ لغيره،

ولم يمد يده لعبد فقير مثله، كما علم رسول الله ﷺ ابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(١). فهو سبحانه يسمع الدعاء، كما في قوله تعالى على لسان زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقوله على لسان إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. ومعنى سميع الدعاء: أي يقبله ويستجيبه.

فلماذا لا تتجه القلوب إليه حين تدلهم الأزمات، وتستحكم الحلقات، ويضيق على أعناقهم الخناق؟

لماذا لا يتجه إليه المريض الذي استعصى مرضه على الأطباء، ويدعوه آملاً الشفاء؟!

ولماذا لا يلجأ إليه المكروب يسأله الصبر والرضا، والخلف من كل فائت، والعوض من كل مفقود؟!

ولم لا يلوذ بجنابه المظلوم يطلب يوماً قريباً ينتصر فيه على ظالمه، فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب؟

فيا أيها المظلوم والمغلوب، ويا أيها الملهوف والمكروب، ويا أيها المجروح والمنكوب، إن توالى عليك الخطوب، وسدت في وجهك الدروب، ما عليك إلا أن ترفع يديك لعلام الغيوب، وغفار الذنوب، وستار العيوب، ومقلب القلوب، فيفرج عنك الكروب، ويحقق لك المطلوب، كما كشف الضر عن أيوب، ورد يوسف على يعقوب.

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرجه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۖ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ ۖ وَزُوجَهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٩٠].

٢ - البصير:

ومن أسماء الله تعالى الحسنى، التي ذكرت في القرآن الكريم وذكرت في السنن والأحاديث، وأجمعت عليها الأمة: (البصير).

واسم (البصير) كثيراً ما جاء في القرآن وحده، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، آل عمران: ١٥٦، الأنفال: ٧٢، الحديد: ٤، الممتحنة: ٣، التغابن: ٢.

وجاء مقترناً مع اسم السميع في حالة الرفع: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ۖ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْرَاءِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

وفي حالة النصب منفردًا: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾^{٢٠} وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿[الفرقان: ٢٠].

وجاء مقترنًا باسم الخبير: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾^{١٧} [الإسراء: ١٧]، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦].

وجاء أحيانًا مقترنًا باسم السميع، في حالة النصب أيضًا، مثل قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^٢ [الإنسان: ٢]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^{٥٨} [النساء: ٥٨].

بين بصر الله وبصرنا:

وبصر الله وَجَلَّ ليس كبصرنا، الشيء البعيد لا نستطيع أن نراه، مهما كانت قوة الإبصار، فالإبصار له مداه، ونحن لا نستطيع أن نبصر ما وراء الحواجز، لا نستطيع أن نرى في الظلمة؛ مهما كان بصرك حديدًا، لا بد أن يكون هناك ضوء يساعد، من غير الضوء لا تستطيع أن ترى.

الله ﷻ لا يتقيّد بهذه القيود، يستوي عنده القريب والبعيد، يستوي عنده الليل والنهار، يستوي عنده الحواجز وعدم الحواجز.

وبصرنا أيضًا بحاسة وجارحة، وحِدَق وأجفان وأعصاب، وأصبح لها أطباء متخصصون، فيما عرف باسم (الشبكية) واسم (القرنية).

وأصبح الناس بالنسبة للنظر أصنافًا شتى، فمنهم من لا يرى أصلًا من بداية حياته، وهو من ولد أكمه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾^{١٩} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿[فاطر: ١٩، ٢٠]. ومنهم من أصيب بإحدى عينيه، وهو الأعور، وهي آفة من آفات الإنسان.

ومنهم من يرى القريب والبعيد، ومنهم الذي لا يرى إلا القريب، ومن لا يرى إلا البعيد، ومنهم من يحتاج إلى مكبر يكبر له ما يريد أن يراه أو يقرأه.

وقد اخترع البشر في عصرنا المكبرات مثل الميكروسكوبات، والمكبرات المقرّبات مثل: التلسكوبات التي تكبر النجوم وتقربها، ولكن الله تعالى يستوي لديه القريب والبعيد، والكبير والصغير، والبادي والخافي، وما يُرى بالليل وما يُرى بالنهار، وما يُرى فوق الأرض، وما يُرى في عمق أعماق البحر، ولذلك قال خليل الله إبراهيم لأبيه: ﴿يَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢].

اختلاف مستويات الإبصار:

ومستويات الإبصار عند الناس تختلف في درجاتها، وقد يُطلب لبعض الأعمال، وبعض المدارس مستوى معين من حدة الإبصار، والمستوى الأعلى هو (٦) ست درجات. وقد يُقبل المكفوفون في بعض المعاهد كالأزهر من قديم، الذي تعتمد علومه على الحفظ وعلى الفهم، ولهذا قال شوقي في قصيدته عن الأزهر:

والله ما تدري لعل كيفهم يوماً يكون أبا العلاء المُبْصِراً
وقد يكون الإنسان طوال حياته مبصراً، حتى إذا طال عمره، وتأخر سنُّه
فقد البصر، كما حدث لابن عباس رضي الله عنه، وقد هجاه بعضهم بهذا، فقال رضي الله عنه:
إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور!
قلبي ذكي، وذهنِي غيرُ ذي خَطَلٍ وفي فمي صارمٌ كالسيفِ مطرورٌ^(١)!

(١) ذكرهما ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢٤٣/٧)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

ضعف مدارك الإنسان وحواسه وملكاته:

إن أعيننا على ما أعطيت من قوة الأبصار، وإدراك البعيد، تظل قاصرة. والأصل أن الإنسان في كل مداركه وحواسه وملكاته الظاهرة والباطنة: ضعيف محدود القوة؛ لأنها مستمدة من قوة أعظم منها، فهي بذاتها لا حول لها ولا قوة.

ومن هنا كان تحدي القرآن للبشر، الذين يباهون بقواهم وحواسهم، وأسماعهم وأبصارهم، ويظنون أنفسهم فوق الظنون، ولا يعلمون أن هذه هبات مُنحت لهم من الخلاق العليم، الذي يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويُعزِّز ويذلُّ، ويهدي ويُضِلُّ، ومن هنا شعر ابن آدم الأول بقوته البدنية فقتل أخاه، ثم حمله زمناً ليخبئته عن أبيه وسائر إخوته، ولم يكن له علم ماذا يمكن أن يصنع بهذا الميت، حتى بعث الله غراباً يبحث في الأرض، ليريه كيف يواري سوء أخيه.

الناس يسمعون ويرون، ولكن لا يسمعون ولا يرون كلَّ شيء، إنما يسمعون ويرون ما كان قريباً منهم، إن كان هناك ضوء يساعد على الرؤية، فالإنسان لا يرى في حالة الظلمة، كما قال تعالى في وصف البحر في أعماقه: ﴿ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]. لا يستطيع أن يرى البعيد، ولا يستطيع أن يرى إلا أمامه، أما ما كان من خلفه، وما كان عن يمينه وشماله البعيدين عنه، فلا يراه.

أقدر الخلق على الرؤية:

والناس تتفاوت أبصارهم، بحسب قوة أبصارهم، ووضوح المرئي، وعدم وجود الحواجز، التي تختلف في قوة حجزها وضعفها لبعض الناس دون بعض.

ورسل الله وأنبياءه هم أقدر الخلق على رؤية ما يخفى على كثيرين، حتى إنهم قد يرون الملائكة، وعامة الناس لا يمكنهم رؤيتهم، وقد رأى رسول الله محمد ﷺ جبريل في صورته الملكيّة مرتين، وقال الله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ١٧، ١٨].

وموسى ﷺ قد كلّم ربه تبارك وتعالى، وسمع كلامه مباشرة بلا واسطة ولا حجاب، واصطفاه الله برسالاته وبكلامه ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝ ﴾ [النساء: ١٦٤]. ولكن حينما قال: ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة:

في هذه الدنيا لا يستطيع الناس بقدراتهم التي منحهم الله إياها أن يروا الله، ولكن في الآخرة يؤتيهم الله قوة أخرى يقدرّون بها على النظر إليه، كما قال تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ۝ ﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٣]. وأعظم ما ينظرون إليه: وجه الله تعالى، على حين قال تعالى عن الكافرين: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ۝ ﴾ [المطففين: ١٥].

والمقربون والصدّيقون من المؤمنين أقرب الناس درجة بعد الرسل، وبعدهم الصالحون، وبعدهم المقتصدون، كما قال الله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ إِذْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ ۖ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۝ ﴾ [فاطر: ٣٢].

الله بما تعملون بصير:

والله تعالى يبصر كل شيء، ما كبر وما صغر، ما جلّ وما دقّ، ما ظهر وما بطن، وما عمل بالليل، وما عمل بالنهار، ما عمل في العلن، وما عمل في السر، وما خفي في القلوب؛ لأن بصره تعالى غير بصرنا، لا ينظر بجارحة ولا بحاسة، ولا تحجبه حواجب، ولا تحجزه عن شيء حواجز، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَقَّ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لَجُّودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنْنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصَّبِرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤].

يقول تعالى مبيناً مدى بصره بكل ما في الكون ومدى علمه به، علماً دقيقاً قطعياً، لا تخفى عليه فيه خافية: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

والله تبارك وتعالى مُطَّلِع على كل شيء يجري في هذا الكون الواسع الذي خلقه، هو واسع بالنسبة إلينا، ولكنه بالنسبة إليه خلق ضئيل، وهو الذي خلقه وسواه، يعرف مدخله ومخرجه، وسرّه وعلمه، وظهره وبطنه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]. تستوي عنده المجرة في كبرها، والذرة في صغرها؛ لأنه خالقها ومدبّر أمرها، سبحانه سبحانه، ما أنصع برهانه! وما أعظم شأنه، وما أبلغ بيانه! وما أوضح قرآنه! يقول الشاعر:

يا مَنْ يرى مدَّ البعوضِ جناحها	في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقه في نحرها	والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خريز الدّم في أوداجها	متنقلاً من مفصل في مفصل
امنّ عليّ بتوبة تمحو بها	ما كان منّي في الزمان الأول ^(١)

كيف يتعامل المؤمنون مع صفتي سمع الله ورؤيته؟

وشمول رؤية الله وشمول سمعه هو الذي جعل المؤمنين يتوكلون على ربهم، وهم في غاية الثقة بأنه لا يتخلّى عنهم، ولا يغفل عنهم لحظة واحدة، كما قال الله لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّينًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۚ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٦].

لذلك حين قابلا هذا الجبار العنيد المتأله في الأرض، الذي قال للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. وقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] لم يخافا منه، ولم ينسيا أن الله معهما يسمع ويرى.

(١) ذكرها الزمخشري من غير نسبة في الكشاف (٧٢/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

وحينما جاء فرعون وجنوده، وهم يتتبعون موسى، حتى أدركوهم على ساحل البحر، وأصبح وضع موسى وقومه؛ البحر أمامهم، والعدو من خلفهم، العدو المدجج بأسلحته وجنوده المستعدين للقبض على هؤلاء الشرذمة القليلين، الذين هم لهم غائظون، وهم منهم حذرون، وهنا قال أصحاب موسى: إنا لمدركون؟ فماذا قال موسى؟ وماذا كان موقفه؟ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. وهنا قال الله له: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿[الشعراء: ٦٣ - ٦٨].

انتفاع المؤمنين بما منحهم الله من نعمتي السمع والبصر:

المؤمنون أقوياء العقل، أقوياء الحس، أقوياء السمع، أقوياء البصر، بخلاف الكفار الذين عطّلوا عقولهم فلا تفكر، وخرّبوا قلوبهم فلا تشعر، وأفسدوا أعينهم فلا تبصر، وآذانهم فلا تسمع. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال الله تعالى عن قوم من الكفار الذين أضلّهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣].

وقال تعالى في ذمّ هذا الصنف الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٢ - ٢٤].

ثم ذكر الله في مقابل هذا الصنف صنفاً آخر، لم يعطلوا أسماعهم وأبصارهم وعقولهم، وهم أهل الإيمان الذين أحسنوا السمع والبصر والفهم عن الله ورسوله، فقال لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وعلى العبد الضعيف الفقير إلى ربه: أن يعلم أنه تعالى يعلم حاله كله، ويراه ويشاهده، ويبصره جميعه، بما فيه من حسنات أو سيئات.. ولهذا ينبغي للإنسان أن يتعلَّم من هذا الاسم مراقبة الله وَحَقَّ.

وقد سأل جبريل في حديثه المشهور النبي ﷺ عن الإحسان، فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١). لهذا يعبد الله بإحدى هاتين الرؤيتين: إما أن يعبد عباداً من يرى ربه، بحيث لا يغيب عنه ولا يبعد عنه، في أي لحظة من لحظاته، في ليل أو نهار، في سرٍّ أو جهار، وهذه هي القمة.

وإما أن يعبد الله عباداً من يراه الله وينظر إليه، ويشاهده في كل حركاته وسكناته.

ومن الشعر الذي كان يرويه ويردده إمام السنة أحمد بن حنبل، ونحن جديرون أن نردده معه:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل:	خلوت، ولكن قل: عليّ رقيب!
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً	ولا أن ما تخفي عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعن	ذنوب على آثارهن ذنوب

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن في توبتنا فنتوب
إذا ما مضى القرن الذي أنت منهمو وخُلِّفْتَ في قرنٍ فأنت غريب^(١)

كلام الغزالي عن (البصير):

قال الغزالي في «المقصد الأسنى»: «البصير: هو الذي يشاهد ويرى، حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى. وإبصاره - أيضاً - منزّه عن أن يكون بحدقة وأجفان، ومقدّس عن أن يرجع إلى انطباع الصُّور والألوان في ذاته، كما ينطبع في حدقة الإنسان، فإن ذلك من التغيُّر والتأثر المقتضي للحدّثان، وإذا نُزّه عن ذلك، كان البصرُ في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات، وذلك أوضح وأجلى مما يفهم من إدراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات».

حظ المكلف من هذا الاسم:

قال الغزالي: «حُظُّ العبد، من حيث الحس من وصف البصر ظاهر، ولكنه ضعيف قاصر؛ إذ لا يمتد إلى ما بُعد، ولا يتغلغل إلى باطن ما قُرب؛ بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن والسرائر.

وإنما حُظُّه الدّيني منه أمران:

أحدهما: أن يعلم أنه خَلَقَ له البصرَ، لينظر إلى الآيات وإلى عجائب الملكوت والسموات، فلا يكون نظره إلا عبرة. قيل لعيسى عليه السلام: هل أحد من الخلق مثلك؟ فقال: من كان نظره عبرة، وصمته فكرة، وكلامه ذكراً؛ فهو مثلي.

(١) حلية الأولياء (٢٢٠/٩)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧ - ١٩٦٧م.



والثاني: أن يعلم أنه بمرأى من الله وَعَلَّكَ ومسمع، فلا يستهين بنظره إليه وإطلاعه عليه، ومن أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله وَعَلَّكَ.

والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان بهذه الصفة، فمن قارف معصية وهو يعلم أن الله وَعَلَّكَ يراه، فما أجسره! وما أخسره! ومن ظنَّ أن الله تعالى لا يراه فما أظلمه! وما أكفره! ^(١).

(١) المقصد الأسنى ص ٩١.

غير مرخصة للطباعة

الله الأول والآخر

اسما (الأول) و(الآخر) من أسماء الله تعالى، وهما من الأسماء المقترنة في النصوص، ذكرهما القرآن، وصحت بهما السنة، وأجمعت عليهما الأمة؛ لأن كل ما في القرآن مجمع عليه بلا شك، وتلتهما الألسنة، وخفقت بذكرهما القلوب، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وقال ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء..»^(١) الحديث.

وهذا التعبير القرآني لا شك أولى من التعبير الاصطلاحي عند علماء الكلام، الذين عبروا عن الأولية بصفة (القدم)، وعن الآخرية بصفة (البقاء)، فالنبي ﷺ لم يعبر في حديث صحيح عن هذين الاسمين أو هاتين الصفتين ولا عبّر صحابته بغير ما عبر به القرآن، ولم نقرأ في حديث مرفوع أو موقوف عن القدم والبقاء، أو عن القديم أو الباقي اسمين لله تعالى، ونحن آثرنا عبارة القرآن؛ فإن القديم يطلق على المخلوقات وعلى الأشياء، وكما قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

(١) رواه مسلم في الذكر (٢٧١٣)، وأحمد (٥٩٦٠)، عن أبي هريرة.

ويترتب على اسم الأول من الصفات: الأوليّة المطلقة لله تعالى، فليس قبله شيء في الوجود، وكل ما عداه فهو مخلوق له، في الأرض أو في السماء، مما نراه أو مما لا نراه ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فقد كان الله ولا شيء معه، وتضمنت أوليته سبحانه حدوث كل شيء غيره، وتضمنت آخريته فناء كل ما سواه، «فكان هو الأول والآخر، فهو الأول بوجوده في الأزل وقبل الابتداء، والآخر في وجوده في الأبد وبعد الانتهاء، وعلى هذا يكونان من أسماء الذات. وأنشدوا:

فيا قَبْلَ كُلِّ الْقَبْلِ لا قَبْلَ قَبْلِهِ ويا بَعْدَ كُلِّ الْبَعْدِ والبَعْدُ ذَاهِبُ
ويجوز أن يكونا من أسماء الأفعال، على معنى: أَوَّلَ الْأَوَّلِ، وَأَخْرَ
الْآخِرِ في الوجود والنسب والمراتب، ومنه قوله ﷺ: «أنت المقدم وأنت
المؤخر»^(١).

قال ابن العربي: وأما من قال: إنه آخر. بمعنى آخر الأواخر؛ فهذا
إنما يصح لو كان المؤخر، فأما الآخر فليس يشهد له تصريح ولا معنى،
ثم لفظ أَوَّلُ يقال على أنحاء، من ذلك أولية التقدم، وهي تنقسم إلى
قسمين: تقدم زمن، وتقدم مَرْتَبَةٍ، وينقسم تقدم المرتبة إلى قسمين:

تقدم شرفٍ وفضيلةٍ كقولك: الأنبياء والعلماء أَوَّلُ النَّاسِ! أي
أشرفهم. وتقدم مَبْدَأً (أي: بداية) وسببٍ؛ كآدم ﷺ، فإنه أول الخلق،
وسبب وجودهم، فله سبحانه من أقسام الأولية القَدَم لا إلى أَوَّل. وله

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، عن
أبي موسى الأشعري.

أولية الشرف والفضل؛ لأنه حاز الأسماء الحسنة كلها، وذلك بحقائقها،
واتصف بصفات العُلا على كمالها، فله الأولية في المراتب كلها، وذلك
ما عبّر عنه الحق بقوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

وقد سرد ابن العربي عن العلماء في الأوّل خمس عبارات:

الأولى: أنه الموجود قبل الخلق، كان ولا شيء قبله، ولا معه. قاله
ابن عباس.

الثانية: أنه الذي لا ابتداء له.

الثالثة: أنه الذي له كل شيء، وبه كل شيء، ومنه كل شيء، كما
يقال: فلان أول هذا الأمر وآخره.

الرابعة: أنه الأوّل بصفاته.

الخامسة: أنه الأول بمحبته لأوليائه.

قال (أي ابن العربي): والآخر مقابل الأول، ولهم في ذلك ست
عبارات:

الأولى: أنه الموجود بعد الخلق، فلا شيء بعده.

الثانية: أنه الذي لا انتهاء له.

الثالثة: أنه الذي يرجع إليه كل شيء.

الرابعة: أنه الذي آخر الأواخر، قاله الضحاك. يعني أنه الذي جعل
لكل شيء آخرًا.

الخامسة: أنه الآخر بقضائه وقدره.

قلتُ (القرطبي): وكذا هو أيضًا أوَّل بقضائه وقدره، وقَضَى وقَدَّر في الأزل.

السادسة: أنه الآخر بإظهار محبته لأوليائه ونقمته لأعدائه.

واتفقت الأمة على أنه لا يجوز وصف المخلوق بهذين الاسمين مُعَرِّفًا على الإطلاق، ويجوز مُقَيِّدًا ومُضَافًا أو مُنْكَرًا بلا خلاف. تقول: جئتكَ أوَّلَ أمس وعام الأول. وإن للزمان أولًا وآخرًا، وشبه ذلك.

وقال رسول الله ﷺ: «نحن الأولون والآخرون»^(١).

قال بعض العلماء: أراد بذلك، الأولون في عِلْم النبوة، الآخرون في إظهار البعثة والرسالة؛ لأنه روي أنه سئل ﷺ متى كنت نبيًا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»^(٢).

قال ابن العربي: ليس كذلك، والحديث إنما نصه: «نحن الآخرون السابقون، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهدانا الله له، غداً لليهود، وبعد غد للنصارى»^(٣) «^(٤)».

* * *

(١) رواه أبو يعلى (٢٣٢٨).

(٢) رواه أحمد (٢٠٥٩٦)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. وابن أبي شيبة في المغازي (٣٧٧٠٨)،

والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦٠٨/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ميسرة الفجر.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ١٣٤ - ١٣٦.

الله الظاهر الباطن

والظاهر الباطن من أسماء الله الحسنى، ومن الأسماء المقترنة، التي جاء بها القرآن وصحّت بها السنة، وأجمعت عليها الأمة، وقد جاء تفسيرهما في حديث النبي ﷺ الذي قال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»^(١).

١ - الظاهر:

والظهور هنا بمعنى القوة والعزة، والنصر والغلبة، فهو الظاهر الغالب على أعدائه، كما قال تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨]، كما قال تعالى عن عباده المرسلين: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢، ١٧٣]، وجاء في أحاديث الطائفة المنصورة المشهورة: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ٢١٦.

(٢) رواه مسلم في الإمامة (١٩٢٠)، وأحمد (٢٢٤٠٣)، عن ثوبان.



٢ - الباطن:

والباطن من البُطون، ومعناه هنا: القُرب، فهو أقرب شيء إلى خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. وحبل الوريد: طَرَفه في العنق.

قال ابن عطاء الله السكندري: «الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده، أو قبله أو بعده: فقد أعوزه وجودُ الأنوار، وحُجِبَتْ عنه شُمُوسُ المعارف بسحب الآثار...»

مما يدلُّك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه، كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر في كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو أظهر من كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الواحد الذي ليس معه شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء؟^(١)

(١) حكم ابن عطاء الله السكندري بشرح الشيخ زروق ص ٧٢ - ٨١، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

تحليلات صاحب الظلال في تفسير (الأول الآخر الظاهر الباطن):

ومن التحليلات العالية التي يحلق فيها صاحب الظلال سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ هذه التعليقة في سورة الحديد بعد لقطاته الأولى في أوائل السورة، وتعليقاته القيمة عليها، يقول: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»..

الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء.

الأول والآخر مستغرقًا كلَّ حقيقة الزمان، والظاهر والباطن مستغرقًا كلَّ حقيقة المكان. وهما مطلقتان.

ويتلفت القلب البشري فلا يجد كينونة لشيء إلا لله، وهذه كلُّ مقوّمات الكينونة ثابتة له دون سواه، حتى وجود هذا القلب ذاته، لا يتحقق إلا مستمداً من وجود الله، فهذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي الذي يستمدُّ منه كل شيء وجوده، وهذه الحقيقة هي الحقيقة الأولى التي يستمدُّ منها كل شيء حقيقته، وليس وراءها حقيقة ذاتية، ولا وجود ذاتي لشيء في هذا الوجود..

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.. عِلْمُ الحقيقة الكاملة. فحقيقة كل شيء مستمدة من الحقيقة الإلهية وصادرة عنها، فهي مستغرقة إذن بعلم الله اللدني بها، العلم الذي لا يشاركه أحد في نوعه وصفته وطريقته، مهما علم المخلوقون عن ظواهر الأشياء! فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في قلب، فما احتفاله بشيء في هذا الكون غير الله سبحانه، وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود - حتى ذلك القلب ذاته - إلا ما يستمدّه من تلك



الحقيقة الكبرى؟ وكل شيءٍ وَهْمٌ ذاهب، حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله، المتفرّد بكل مقومات الكينونة والبقاء؟

وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب لِيُحِيلَهُ قطعةً من هذه الحقيقة، فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار، فإن هذه الآية القرآنية حسْبُهُ ليعيش في تدبرها وتصوّر مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد وكفى! ولقد أخذ المتصوّفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى، وهاموا بها وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتى، بعضهم قال: إنه يرى الله في كل شيء في الوجود. وبعضهم قال: إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود. وبعضهم قال: إنه رأى الله فلم ير شيئاً غيره في الوجود.. وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة، إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ القاصرة في هذا المجال، إلا أن ما يؤخذ عليهم - على وجه الإجمال - هو أنهم أهملوا الحياة بهذا التصور.

والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة، ويعيش بها ولها، بينما هو يقوم بالخلافة في الأرض بكل مقتضيات الخلافة، من احتفال وعناية، وجهاد وجهد، لتحقيق منهج الله في الأرض، باعتبار هذا كله ثمرةً لتصور تلك الحقيقة تصوّرًا مَتَزِنًا، متناسقًا مع فطرة الإنسان وفطرة الكون كما خلقهما الله^(١).

* * *

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٤٧٩، ٣٤٨٠).

الله الغني الحميد

من أسماء الله الحسنى، التي أثبتها الله تعالى القرآن العظيم، والسنة النبوية، وأجمعت عليها أمة الإسلام: اسما (الغني الحميد)، وهما من الأسماء المقترنة في القرآن، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى وقوله الحق: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]. وتكرر ذلك في القرآن وفي الأحاديث الصحاح.

١ - الغني:

واسم الغني «يجوز إجراؤه على العبد وصفاً مقيّداً، ولا يجوز مطلقاً، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ويقال منه: غني يغني فهو غني، إذا كان له مال. وتغني الرجل: إذا استغنى. وأغناه الله. وتغانونا: أي استغنى بعضهم عن بعض. قال الشاعر:

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانياً^(١)

(١) من شعر عبد الله بن معاوية بن جعفر، كما في الكامل للمبرد (١/١٧٢)، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

وَعَنِي فِي الْمَكَان: أقام. والمَعْنَى: واحد المغاني، وهي المواضع التي كان بها أهلوها، وَعَنِي: أي عاش. والغناء - بالفتح - النفع، وأحد المغاني. والغناء - بالكسر - من السماع. والغنى - مقصور - اليسار، وقد جاء ممدودًا في الشعر، وأنشد الكوفيون:

سَيُغْنِينِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي فَلَا فَقْرٌ يَدُوم وَلَا غِنَاءٌ^(١)

وقال الزَّجَّاجي: وجائز عند الكوفيين مد المقصور، ولا يُجيزه البصريون.

والغِنَى في كلام العرب: الذي ليس بمحتاج إلى غيره، وكذلك الله ﷻ ليس بمحتاج إلى أحد، فإن كان الغِنَى من له عَرَضٌ من الدنيا محدود، فالغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض أولى باسم (الغني) وأحق به، بل هو غِنَى عن السماوات والأرض، وعن جميع المخلوقات، فإنه لم يخلقها سبحانه عن حاجة عرضت له، ولا ليسد حاجة نزلت به، وإنما خلقها لحكمة، وإن كان من دام مدة من الزمان يسمى: غَنِيًّا، فهو دائم الوجود، غني عن الأمكنة والمخلوقات، فهو الغني حقًا.

والغِنَى وصفٌ ذاتيٌّ له سبحانه، فيه معنى السلب؛ لأنه بريء من الاحتياج إلى غيره، والكل محتاج إليه، فهو الغني على الإطلاق، فله الغِنَى المطلق، وكذلك ورد في القرآن غير مُقَيَّد، فهو مُشْعِرٌ باستقلاله سبحانه بما وجب له من صفات الجلال والكمال والنزاهة، وافتقار كل ممكن إليه، فله الحياة الدائمة، والإرادة العامة، والمُلْك الدائم، وفي ضمن ذلك افتقار الجميع إليه سبحانه.

(١) شاهد نحوي على مد المقصور، وهو غير منسوب، انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي

(٢١٣/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.

وفي كتاب الله: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ
 ﴿١٧﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٨﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٩﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧]،
 وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا
 يُطْعَمُ ﴿٢٠﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ
 الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴿٢١﴾ [يونس: ٣١]، وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿٢٢﴾ [فاطر: ٣].

فيجب على العبد أن يعلم أن الغنيَّ المُطْلَق إنما هو الله وحده، وأن
 غني العبد من فضله، وأفضله غني القلب، كما قال رسول الله ﷺ: «ليس
 الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس»^(١). فبين ﷺ: أن الغنى قد
 يكون بغير المال، وأن من وضع الله الغنى في قلبه، فقد أغناه.

ولقد أحسن من قال:

كم من فقير غني النفس تعرفه وكم غني فقير النفس مسكين^(٢)
 وقال آخر:

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا فإنك لا تدري أتصبح أم تمسي^(٣)
 وقال أبو فراس:

إن الغني هو الغني بنفسه ولو أنه عاري المناكب حاف
 ما كل ما فوق البسيطة كافيا وإذا قنعت فكل شيء كاف^(٤)

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٥١)، عن أبي هريرة.

(٢) من شعر عروة بن أذينة، كما في الأغاني (٤٧٠/١٨).

(٣) من شعر ابن سعدان، كما في بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر (٢١١/١)، تحقيق
 محمد مرسي الخولي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) انظر: ديوانه ص ٢٢٣، شرح خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

فليس الغنى عن كثرة المال، إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس، فمن رضي بقسم الله تعالى له كان به غنيًا، ولديه حفيًا، ومن لم يسأل الله يغضب عليه.

وقال ﷺ مخبرًا عن ربه تعالى: «يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل، ملأت يدك شغلًا، ولم أسد فقرك»^(١). أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة، وقال: حديث حسن غريب. وفي الصحيح: «ومن يستغن يُغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله»^(٢).

وفي التنزيل قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨]. فإن قيل: فقد يوجد كثير من الصالحين فقراء ليس بأيديهم شيء من عرض الدنيا؟

قيل له: نعم قد يمنعه الأعراض الدنيوية، ويدخر له النفائس الأخروية، وذلك هو الغنى الحقيقي، فمن افتقر إلى الله الافتقار الحقيقي، وسأله العز الباقي لا العرض الدنيوي، أغنى نفسه الفقيرة بعلومه المنيرة، فاستفاد وأفاد، وأنفق مما لا يُخاف عليه النِّفَاد، فهو الغني في الدنيا وفي المعاد، والباقي بغناه أبد الآباد، ومن حرمه الله هذا الغنى، فلو نال جميع ملك الدنيا فهو فقير، ولذلك قيل: من جهل الله فذاك الفقير»^(٣).

(١) رواه أحمد (٨٦٩٦)، وقال مخرجه: إسناده محتمل للتحسين. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٦٦)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١٠٧)، والحاكم في التفسير (٤٤٣/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩١٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، كلاهما في الزكاة، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٢٢٣ - ٢٢٦.

وقد أجاد الشاعر^(١) حين قال:

ما لي وما للأغنياء وأنت يا ربي الغني، ولا يُحدُّ غناكا؟
 ما لي وما للأقوياء وأنت يا ربي وربَّ الناس، ما أقواكا؟!
 ما لي وأبواب الملوك وأنت مَنْ خلق الملوك وقسَّم الأملاك؟
 فليرضَ عني الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسعى لغير رضاكا

٢ - الحميد:

من أسماء الله تعالى الحسنى التي نطق بها القرآن ونطقت بها السنة وأجمعت عليها الأمة.

أما في القرآن، فكما في قوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]. وكما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]. وهي الآية الوحيدة التي ورد فيها اسم (الحميد) غير مقترن باسم آخر، مثل (الغني) أو الولي أو المجيد أو العزيز، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، وقوله جل شأنه عن القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

(١) هو الشاعر الشيخ إبراهيم علي بديوي، في قصيدته الشعر مع الله والذرة، انظر: أجمل مائة قصيدة في الشعر العربي الحديث والمعاصر لوحيد الدهشان وناصر صلاح ص ٨ - ١٢.

وقد ورد اسم (حميد) في القرآن (١٦) ست عشرة مرة، ومرة أخرى في حالة النصب ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

وأما في السنة، فيكفي أن نذكر الصلاة الإبراهيمية التي يذكرها المسلم في صلواته الخمس المفروضة كل يوم خمس مرات، بالإضافة إلى السنن والنوافل، وهي المختومة بقول المسلم: «وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^(١).

واسم (الحميد) على صيغة (فعل) بمعنى (مفعول): أي: المحمود المثنى عليه، فهو سبحانه المثنى عليه من قبل نفسه، فأعظم من حمد الله تعالى هو الله جلّ جلاله، فقد بدأ القرآن - بعد البسملة - بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤]. حمد الله تعالى ذاته، وأنطق بها عباده ليتلوها بالسننهم، ويفتحوا بها صلواتهم، ويسبحوا بحمد ربهم، والقرآن كله حمد لله تعالى وثناء عليه، وأنطق الله بذلك ملائكته الذين يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في الأرض، والملائكة في السماوات والأرض يحمدون الله تعالى، ويسبحونه الليل والنهار لا يفترون.

والمؤمنون من الإنس والجن يسبحون بحمد الله تعالى في عباداتهم وصلواتهم المفروضة وفي عباداتهم وتسبيحاتهم المستحبة التي يتقربون بها إلى ربهم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٧٠)، ومسلم في الصلاة (٤٠٦)، عن كعب بن عجرة.

وقد حمده وسبّحه تبارك وتعالى كلُّ شيء في السماوات والأرض،
مما نسمعه، ونعرف لغته، ونفهم كلامه، وما لا نعرفه، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ
لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا
تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهو عَجَلٌ قبل خلقه وبعدهم، يحمد نفسه، ويسبح نفسه، بما نستطيع
أن نفهمه، وما لا نستطيع أن نفهمه، وقد حمد نفسه في أول سورة من
كتابه وهي الفاتحة، وفي أوائل أربع سور أخرى، هي سورة الأنعام،
وسورة الكهف، وسورة سبأ، وسورة فاطر، وقد جاء الحمد لله والتسبيح
بحمده في ثمان وثلاثين مرة في كتابه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ
الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿
[الجاثية: ٣٦، ٣٧].

قال الإمام الغزالي: «ويرجع هذا إلى صفات الجلال، والعلو
والكمال، منسوبًا إلى ذكر الذاكرين له، فإن الحمد هو ذكر أوصاف
الكمال من حيث هو كمال».

من الحميد من العباد؟

قال الغزالي: «الحميد من العباد من حُمِدَتْ عقائده وأخلاقه، وأعماله
وأقواله كلها من غير مثنوية، وذلك هو محمد ﷺ، ومن يقرب منه من
الأنبياء، ومن عداهم من الأولياء والعلماء، وكل واحد منهم حميد بقدر
ما يُحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله، وإذا كان لا يخلو أحد عن
مذمة ونقص - وإن كثرت محامده - فالحميد المطلق هو الله تعالى»^(١).

(١) المقصد الأسنى ص ١٣٠.



أقول: وإنما كان محمدٌ هو المثل الأعلى للعباد المحمودين، لأن الله تعالى جعله هو الأسوة للخلق. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. ولذلك اصطفى الله رسوله محمدًا وزكاه وطهره؛ ليحمل الرسالة العامة الخالدة للناس جميعًا، وصنعه على عينه، ليربِّي الأمة المثلى، التي تقود البشرية للتي هي أقوم، ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وهيَّاه الله لذلك بما غرس فيه من الصفات العقلية والنفسية والخلقية، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الله الحي القيوم

ومن أسماء الله تعالى وصفاته: أنه هو الحي القيوم، وهما اسمان تكررنا واقتربنا في القرآن، وصحّت بهما السنة، وأجمعت عليهما الأمة كلها، وقد ذكرتهما أعظم آية في القرآن، وهي آية الكرسي، التي يحفظها عامة المسلمين، حتى الأميين منهم، وصغار تلاميذهم، والتي سأل عنها النبي ﷺ الصحابي الأنصاري الجليل أبي بن كعب: أي آية في كتاب الله أعظم؟ فقال: آية الكرسي. فأتنى عليه الرسول المعلم، وقال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر»^(١). وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد تكررت هاتان الصفتان مجتمعتين في آية واحدة، عدة مرات: أولاها في آية الكرسي، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وثانيها في أول سورة آل عمران: ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]. وثالثها في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨١٠)، وأحمد (٢١٢٧٨)، عن أبي بن كعب.

وعن أنس بن مالك قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالساً في الحلقة، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد فتشهد، ثم قال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك. فقال النبي ﷺ: «أتدرون بما دعا الله؟». قال: فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»^(١).

يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث:

وكان من دعاء النبي ﷺ: «يا حي يا قيوم»^(٢).

وكان يعلم فاطمة ابنته أن تقول إذا أصبحت وإذا أمست: «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»^(٣).

لن يغيث لهفتك، ولن يكشف غمّتك، ولن يُفرّج كربتك، إلا مُفرّج الكروب، وكاشف الخطوب، ومن يُجيب المضطر إذا دعاه، الحي الذي لا يموت ولا ينام، القيوم على أمور خلقه ومدبرها: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

(١) رواه أحمد (١٣٥٧٠)، وقال مخرجه: حديث صحيح. وأبو داود في الوتر (١٤٩٥)، والترمذي في الدعوات (٣٥٤٤)، وقال: حديث غريب. والنسائي في السهو (١٣٠٠).

(٢) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٣٧٣)، والضياء في المختارة (٢٤٤١).

(٣) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٣٣٠)، والبزار (٦٣٦٨)، والحاكم في الدعاء (٥٤٥/١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٩٨٤).

١ - الحي:

(الحي): اسم من أسمائه تعالى الحسنى، ورد به القرآن العظيم، وصحّت به السنة النبوية، وأجمعت عليه الأمة، ويجوز إجراؤه على المخلوق.

والحياة: ضد الموت. والحي: ضد الميت، فالله سبحانه الحي الباقي الدائم، الذي لا يجوز عليه الموت والفناء، وَعَجَّلَ وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

و«الحي اسم من أسمائه سبحانه سَمِيَ به نفسه، وهو من صفات الذات، وليس في الوجود موجود له حياة من ذاته لذاته إلا الله وحده، فصفة الحياة له ذاتية، والحياة في موضوع اللسان: تطلق حقيقة على الملائكة وعلى الجن، وعلى جميع الإنسان والحيوان، والزواحف والحشرات والأحياء المائية، والنباتات كلها تدخل في الكائنات الحية، وتطلق الحياة مجازًا على أنواع أخر، فيقال للشمس: حية، ما دامت ظاهرة. فإذا غربت قيل: ماتت، ويقال للأرض الجذبة: ميتة، فإذا نزل عليها المطر فأنبتت، قيل: حَيَّتْ، وأنواع أخر من هذا القبيل، تُطلق عليها الحياة مجازًا؛ كالأشجار^(١)، والقلوب، والإنسان، وجميع الحيوان، وإن كان يحس ويتحرك بإرادة ويُسمى: حيًا حقيقة، فحياته عَرَضِيَّةٌ غَيْرِيَّةٌ لنفسه وجسمه؛ ولذلك تُسَلَبُ عن جسمه الحياة فيموت، ونفسه وإن كانت تبقى حياة مؤبّدة، فتقدير رفع الحياة عنها ممكن، بخلاف (الحي) الذي له الحياة الدائمة على الحقيقة أزلاً وأبدًا، وهو الله سبحانه..

(١) المقرر حقًا أن الأشجار تعد في الكائنات الحية، إذ ليس المقصود بالحي العاقل كالإنسان، ولا المتحرك بالإرادة كالحيوان بأنواعه الكبيرة والصغيرة والبرية والبحرية، ومنه ما لا يرى إلا بالمكبرات والميكروسكوب كالحيوانات المنوية، وهو أصل الحياة في الإنسان، بل المراد به: ما ينمو ويتحرك، ويتأثر ويتعرض للموت، وله خصائص أخرى.



وقال الخطابي في صفة الله سبحانه بأنه (حي): الذي لم يزل موجوداً، وبالحياة موصوفاً، لا تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يَغْتَوِرُهُم الموت والعدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معاً ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ^(١).

وقال الغزالي في «المقصد الأسنى»: «الحيُّ: هو الفَعَّال الدَّرَّاك، حتى إن من لا فِعْلَ له أصلاً ولا إدراك فهو ميت. وأقل درجات الإدراك أن يشعر المُدْرِك بنفسه، فما لا يشعر بِنَفْسِهِ، فهو الجماد والميت.

فالحيُّ الكامل المُطلق هو الذي تدرج جميع المدركات تحت إدراكه، وجميع الموجودات تحت فعله، حتى لا يشذَّ عن علمه مُدْرِك، ولا عن عمله مفعول، وذلك هو الله تعالى. فهو (الحي) المطلق، المتَّصف بجميع الأسماء الحسنى والصفات العُلا بنهاياتها وحقائقها على الكمال الأقصى» ^(٢).

بين حياة الله وحياة المخلوقين:

ما الحي؟ الحي: الموصوف بالحياة.

وما الحياة؟ نحن لا نعرف كُنْه الحياة وحقيقة الحياة حتى في عالمنا هذا، ولكننا نعرف الحياة بآثارها من الغذاء والإخراج والنمو والحركة والتكاثر.. إلى آخر آثار الحياة أو صفات الكائن الحي.

والله سبحانه تعالى يتعالى عن هذه الأشياء: الله لا ينمو كما ينمو النبات أو الحيوان؛ لأن من يقبل النمو يقبل النقصان، والنمو تغير، والله

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٣١٠، ٣١١.

(٢) المقصد الأسنى ص ١٣١.

تعالى يستحيل عليه أن يتغير، هو كما كان، لا يعتريه تغير ولا زوال، ولا تبدل ولا تحوّل.. فهذه الخصائص في الحياة التي نعرفها لا تجوز على الله وَعَلَى.

نحن نعرف الحياة في النبات، وفي الإنسان، وفي الحيوان، وفي الملائكة والجن، وبعض هذه الحيوانات أعلى من بعض، فحياة الحيوان أعلى من حياة النبات، النبات ينمو ويتغذى، ولكن لا يتحرك بالإرادة كما يتحرك الحيوان، وحياة الإنسان أعلى من حياة الحيوان؛ لأن الإنسان يدرك ويعقل، والحيوان لا يدرك ولا يعقل.

وحياة الملائكة أعلى من حياة الإنسان؛ لأنها مستغنية عن الطعام والإخراج والنمو.

وحياة الله تعالى أعلى من كل هذه الحيوانات، فالله سُبْحَانَهُ لا يتغذى كما تتغذى النباتات والحيوانات والإنسان؛ كما قال الله وَعَلَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. وردّ سبحانه على النصارى الذين عبدوا المسيح وأمه وجعلوهما إلهين من دون الله، فقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]. كيف يكونان إلهين وهما يأكلان وبدون الطعام يموتان؟ ومن يحتاج الى الطعام يحتاج إلى الإخراج فكيف يكونان إلهين؟!

حياة الله سبحانه ذاتية كاملة:

الله رب المسلمين وإلههم الذي يعبدونه ويعظمونه، ويسألونه أن يقضي لهم حوائجهم في الدنيا والآخرة لهم ولعيالهم، ولمن يحبونه من



المؤمنين: إله حيٍّ حياة كاملة، فوق حياتنا التي وهبها الله لنا، والتي هي حياة موقوتة بأجل، كان قبلها الموت أو العدم، ثم هي أيام معدودة، وأنفاس محدودة، إذا انتهى الأجل انتهت الحياة، فلا يستقدم ولا يستأخر ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

أما حياة الله، فإنها حياة ليست كحياتنا، بل هي أعلى وأعظم وأبقى من حياتنا المحدودة.

فالله تعالى له حياة غير هذه الحيوانات كلها، حياته كاملة غير ناقصة، وحياة أبدية أزلية لم تنشأ من عدم، نحن الآن أحياء، ولكن كنا قبلُ عدمًا: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]. كنا عدمًا فأحيانا الله، فحياتنا مخلوقة وحادثه، وحياة الله ليست حادثه ولا مخلوقة، فهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء؛ فحياته أزلية أبدية، لا يعترينا موت ولا نقص ولا زوال؛ ولذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]. إذا كنت تعتمد على أحد، فلا تعتمد على أحد يموت بعد حين، له أجل مسمى، طال هذا الأجل أو قصر سيموت.

النحويون يصفون الأفعال بأنها إما لازمة وإما متعدية. والحياة كذلك منها لازمة، ومنها متعدية، واللازمة التي تحافظ على نفسها ولا تُمدُّ غيرها، والمتعدية هي التي تحيا في نفسها، وتُمدُّ غيرها بالحياة، وعلى قدر ما تمد ومن تمد تكون عظمة هذه الحياة.

وحياة الله تعالى هي المُمِدُّ الأول، بل المُمِدُّ الوحيد لكل الحيوانات في هذا الوجود، سواء أكانت حيوات النبات، أم حيوات الحيوانات البرية أو البحرية - ويدخل في ذلك الزواحف والحشرات - أم حيوات الكائنات

الحية العاقلة من إنس خلقوا من ماء دافق، أو ماء مهين، ومن جن خلقوا من مارج من نار، ومن ملائكة خلقوا من نور، كل هؤلاء أحياء يغطون الأرض والسموات، وحياتهم مستمدة من حياة الله تبارك وتعالى.

والله سبحانه الذي يبدأ الحياة الأولى، ويخلقها من نطفة تُمنى، هو القادر على أن يحييها بعد أن تموت، ولم لا والإعادة أسهل من البدء، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوتًا فَأُحْيَكُم ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]؟ اعتبر الفترة السابقة للحياة الأولى موتًا؛ لأنها مرحلة (العدم) أي: عدم الكون، وهي فترة أشبه بالموت، أو أشد من الموت.

قدرة الله على إحياء الموتى:

ويذكر القرآن الكريم قدرة الله تعالى التي لا يعجزها شيء في إحياء الموتى، وإخراجهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٦٢].

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَا يَجْمَعَ عِظَامُهُ * بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ [القيامة: ١ - ٤].

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَوَلَمْ نَكُنْ نَرَبًا بِذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ﴾ [ق: ١ - ٤].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكُم مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥].

هذا الإله الحي يقوم على هذا الكون كله، علويّه وسفليّه، أرضه وسماواته، ما يُرى منه وما لا يُرى، وما يُعلم منه وما لا يُعلم، العقلاء وغير العقلاء، المكلفون وغير المكلفين، الحي وغير الحي، الكبير والصغير، الناطق وغير الناطق. الله تعالى قائم تمام القوامة على هذا الكون بما فيه ومن فيه، يشرف عليه ويديره، يسيّره ويدبر أمره، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصل ويقطع، ويضحك ويُبكي، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٢ - ٤٦]، ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

ما على المكلف تجاه ربه الحي:

قال القرطبي: «قال الغزالي: فيجب على كل مكلف: أن يعتقد أن الله سبحانه (حي) كما أخبر عن نفسه، وأن كل حياة فمن عنده، وأن أشرف أنواع الأحياء الملائكة وبنو آدم السعداء، لبقائهم أحياء بقاء مؤبداً في حياة طيبة وعيشة راضية.

والكافر بعكس هذا في نار الجحيم، لا يموت فيها ولا يحيا، ولو مات لاستراح، ولكنه يأتيه الموت من كل مكان، وما هو بميت، فهو حي، ولكن أمره متشتت، فالحي حقيقة إنما هو من جاور الرفيق الأعلى، وينعم في الحياة الهنيئة برؤية الله تعالى. فاجتهد أن تنال من هذا الاسم

أوفر قسم، فما قسمه الله إلا لك، ولنوع المَلَك. ومهما نلت هنا الحياة الحقيقية بإدراك المعارف اليقينية، جاورت الحي الأعلى في ملكوته مُتَنَعِّمًا برؤية ذاته ونوره...

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وفي سورة (غافر): ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وروى أنس بن مالك قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا في الحلقة ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد ودعا قال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك. فقال النبي ﷺ: «لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(١) خرج أبو داود وغيره»^(٢).

٢ - القيوم:

القيوم (فَيُعُول) من (قام) مبالغة في القيام، قيامه بنفسه وإقامته لغيره؛ لأنه القائم على المخلوقات كلها بكل ما يلزمها، وكل ما يُقيمها، وما تحتاج إليه، يُطعم الجائع، ويسقي العطشان، ويروي الظمآن، ويغيث اللفهان، ويحيي الميت، ويخضر الذابل، ويصل المقطوع، ويعطي الممنوع، ويرفع الوضع، ويردُّ الشارد، ويدلُّ التائه، ويجيب السائل، ويعلم الجاهل، ويؤوي المحتاج، ويهدي

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٣.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٣١١، ٣١٢.

الضالّ، ويشفي المريض، ويمرض السليم، ويقيم المقعد، ويقعد القائم، ويعز ويذل، ويهدي ويضلّ، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويضر وينفع، ويصل ويقطع، ويعين من لا صلة له، ويقضي لكل مخلوق ما يتوق إليه من مادي ومعنوي، من حاضر ومن مستقبل، إلى غير ذلك من حاجات الدنيا والآخرة، وما أكثرها من حاجات، وما أغزرها من طلبات. ولكن الله تعالى يقوم بها، ويجيبها، ويعطيها لطالبيها كلهم، كما قال تعالى في الحديث القدسي المشهور: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المِخيط إذا أدخل البحر»^(١). وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

قال ابن العربي في معنى اسم الله القيوم: «قال علماؤنا فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أن القيوم هو الدائم الذي لا يزول.

والثاني: أنه القيم على كل شيء بالرعاية له، والمدير لجميع أمور العالم.

الثالث: الذي لا تفنيه الدهور ولا يتغير باختلاف الأمور»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ١٦٧.

(٢) الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى لابن العربي (٢٩٠/١)، تحقيق عبد الله التوراتي وأحمد عروبي، نشر دار الحديث الكتانية، المغرب، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

وقال الغزالي: «هو القيوم لأن قوامه بذاته، وقوام كل شيء به، وليس ذلك إلا الله ﷻ».

ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عما سوى الله تعالى»^(١).

حياته سبحانه الكاملة وقيوميته تقتضي ألا يعتريه سنة ولا نوم:

من حياة الله سبحانه وقيوميته: أنه يرعى الخلق جميعاً، وهذه هي عقيدة المسلم: أن الخلق تحت عين الله تعالى ورعايته، لا يغفل عن أحد منهم، ولا يسهو عن شيء من الأشياء، ولذلك في آية الكرسي يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] من قيوميته ومن حياته الكاملة أنه لا يعتريه سنة ولا نوم.

السَّنة: مقدّمة النوم، والنعاس الخفيف، أي: لا تغلبه السنة الخفيفة ولا النوم الثقيل.

النوم هو المَوْتَةُ الصغرى، والموت هو التَّوْمَةُ الكبرى؛ يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. عندما ينام الإنسان فقد أصابه شيء من الموت.

والله ﷻ حيّ حياة كاملة، لا تأخذه سنة ولا نوم؛ كما قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»^(٢). كيف ينام وهو الذي يقيم السموات والأرض؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١].

(١) المقصد الأسنى ص ١٣٢.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٧٩)، وأحمد (١٩٦٣٢)، عن أبي موسى الأشعري.



فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنَامَ؛ لِأَن مَقْتَضَى حَيَاتِهِ وَقِيُومِيَّتِهِ أَنْ يَظَلَّ رَاعِيًا لِهَذَا الْكَوْنِ، مَدَبِّرًا لِأَمْرِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

إن أكبر الفلاسفة على الإطلاق لم يعطِ للألوهية حقها، أكبر فيلسوف في العالم القديم اليوناني المعروف أرسطو طاليس يقول بالألوهية، ولكن الإله عنده لا يعرف في هذا الكون شيئاً، ولا يدبر في هذا الكون أمراً؛ لأن الإله في تصويره لا يعلم إلا ذاته، لا يعلم عالم الكون والفساد، فهو أعظم من أن يعرف هذا الكون، ولذلك فهو لا يعرف فيه شيئاً، ولا يدبر فيه أمراً، ولا يخلق ولا يرزق.. أيُّ إله هذا الذي لا يعرف في كونه شيئاً؟

أما إله الاسلام فهو رب العالمين الرحمن الرحيم الحي القيوم.



الله ذو الجلال والإكرام

١ - ذو الجلال:

اسم (الجليل) لم يرد بهذه الصيغة في القرآن، وإنما ورد ذو الجلال في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وورد في السورة نفسها بلفظ (ذي الجلال) قال تعالى: ﴿نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

«وَجَلال الله: عظمته، وقولهم: فعلته من جلالك، أي من أجلك.

وأنشد الكسائي:

وَإِكْرَامِي الْقَوْمَ الْعِدَا مِنْ جَلالِهَا^(١)

قال ابن العربي: ولا فرق في لسان العرب بين قولك: (ذو الجلال) وبين قولك: (الجليل) كما لا فرق بين قولك: ذو العلم، وبين قولك: العالم^(٢). والجليل: مأخوذ من (الجلال). ولما قال أبو سفيان يوم أُحُد: اعلُ هُبَل. قال رسول الله ﷺ: «الله أعلى وأجلُّ». ولما قال أبو سفيان: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم. قال رسول الله ﷺ: «الله مولانا ولا مولى لكم»^(٣).

(١) الصحاح (١٦٥٨/٤).

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٢٤.

(٣) رواه البخاري في الجهاد (٣٠٣٩)، وأحمد (١٨٥٩٣)، عن البراء بن عازب.

وقد جاء الجليل في حديث أبي هريرة الضعيف الذي سرد الأسماء الحسنى.

وقال القرطبي: «أجمعت عليه الأمة، ولا خلاف في إجرائه على المخلوقين. يقال منه: جَلَّ فلان يَجِلُّ - بالكسر - جلالة، أي عظم قدره فهو: جليل»^(١).

ولهذا رأينا المسلمين خاصهم وعامهم، يجمعون على وصف الله تعالى إذا ذكروه بألسنتهم أو بأقلامهم: الله عَزَّ وَجَلَّ، أو الله جَلَّالَهُ، يقولها الأئمة الكبار، ويقولها الطلاب الصغار، فهذا دليل على وصف الله تعالى بالجلال، ولا عجب أن يؤخذ من ذلك وصفه بالجليل.

«فالجليل: ذو الجلال، والجلال جَماع معاني الخير: من العلو والعِظَم وكِبَر الشأن والظهور. ولما كان لهذا الاسم تردد بين هذه المعاني المتقاربة، أعني العلو والظهور والكِبَر والعِظَم والخيرورية والعطاء، أشكل معناه على العلماء، واختلفوا فيه.

فقال الحلبي: كل من له جلال فهو جليل، ومعناه المستحقُّ للأمر والنهي، وهذا على الحقيقة إنما هو الله سبحانه، فإن جلال الواحد فيما بين الناس إنما يظهر بأن يكون له على غيره أمر نافذ، لا يجد من طاعته فيه بُدًّا، فإذا كان من حق البارئ سبحانه على من أبدعه أن يكون أمره عليه نافذًا، وطاعته له لازمة، وجب له اسم (الجليل) حقًّا، وكان لمن عرفه أن يدعوه بهذا الاسم، وبما يجري مجراه ويؤدي معناه.

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٢٠.

وقال الخطابي: هو من الجلال والعظمة، ومعناه منصرف إلى جلال القدر، وعظم الشأن، فهو الجليل الذي يصغر دونه كلُّ جليل، ويتَّضع معه كل رفيع.

وقال ابن العربي: إن قلنا: جلّ بمعنى أعطى، فهو المُعْطِي حقيقة. وإن قلنا: إن أجلّ بمعنى أَسَنّ، أي: تطاول مداه واستمر وجوده بربه، فالباري مستمرُّ الوجود إلى غير غاية، غير مسبوق بوجود في بدايته، ومعناه معنى: (الأول) و(الآخر).

وإن قلنا: إن الجليل هو العظيم المقدار، الموصوف بنعوت الجلال، فهو للبارئ بالحقيقة، ولمجموع هذه الأوصاف وُصِفَ بأنه (جليل كبير).

قال: وقد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم في الجلال والعظم، هل هما وصف خاص يرجع إلى معنى زائد على الذات؟ أو هما عبارة ترجع إلى مجموع أوصاف؛ كاختلافهم في القدوسية والعزة؟

قال: والصحيح أنهما عبارة عن مجموع أوصاف هي: شمول العلم، وعموم القدرة والإرادة، وعدم النضير، واستحالة الآفات. ثم قال بعد هذا القول في مجموع هذه الأوصاف وهي العلي والكبير والعظيم والجليل: هل ترجع إلى معنى واحد في الشرف والقَدَم، أم إلى معان متعددة يختص كل واحد من الأسماء بواحد من المعاني؟ حكي اختلاف العلماء في ذلك على قولين:

أحدهما: أن هذه الأسماء ترجع إلى معنى واحد، وهو كمال الذات والصفات، ومنهم من فرّق بينهما، وجعل لكل واحد معنى خاصًا. فقال: إن (العليّ) هو الذي لا رتبة فوق رتبته، و(الكبير) هو الموجود الكامل



الذات، و(الجليل) هو الكامل الذات والصفات. وأورد كلامًا حسنًا بديعًا، نفعه الله به، قال في آخره: وأما (الجليل) فهو عبارة من موجود كامل الصفات، له الغنى والمُلْك، والقدوسية والعلم والقدرة، وهو الله سبحانه، فهذا معنى يختص به اسم الجليل.

قال ابن الحصار: اختار رَحْمَةُ اللهِ فِي التَّرجيح أن يكون لكل اسم معنى يخصه، وهو الحق؛ لأن الترادف لا يصح في أسماء الخالق سبحانه، ولولا اختلاف مفهوماتها لم تعدد الدلالات، والدليل على اختلاف معانيها مُسْتَرْوَح من ألفاظها؛ لأنك تقول: جلَّ ربُّنا عن كذا، وهو العلي عن كذا، والله أكبر من كل شيء. فإذا قلت: جلَّ ربنا عن كذا وقرنته بمجرور، فقد نزَّهته تنزيهًا مقيَّدًا، وإذا حذفته كنت قد نزَّهته تنزيهًا مُطلقًا، وهذا الاسم يتضمن جلال ذاته، وجميع صفاته سبحانه، فهو يحتوي على جميع أسمائه الحسنى.

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا جليل على الإطلاق إلا الله وحده، وكيف يكون لغيره جلال، والحقارة لازمة له من ذاته، بعد عدم الذي هو محوُّ محض قد كان في غيابه، وإنما أوجده الموجد الحق بفضلِه وعنايته، فأنى يليق الجلالُ بمن هذه صفته؟! كلا. لا جلالة إلا لله وحده، ثم يخصُّ بالإجلال إذا شاء عبده.

ثم على العبد أن يكون مُجَلًّا لله تعالى في جميع الأحوال، وما يسري إليه سبحانه من إجلالك لشيء، بل الإجلال لنفسك عائد، وبه تكون جليلًا في الدنيا والآخرة، ويكون لك من التعبد للمُتَسَمِّي بهذا الاسم أوفر قسم، فكل من ليس عند الله بجليل، فهو حقير ذليل، وإن قال الناس فيه: جليل.

وإجلالك للحق سبحانه: أن تُنزهه تنزيهاً مطلقاً ومقيداً، فتنزهه عن جميع ما وجب لغيره ويجوز عليه، فهذا هو التقيد، ثم تعترف بالعجز عن الإحاطة بجميع ما وجب له سبحانه؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(١).

ويجب عليك أن تُجلَّ من أجل الله، وتُعَظَّم من عَظَمته، فتجلُّ كُتْبَهُ وأسماءه وملائكته ورسله وأنبياءه وأوليائه. قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله: إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المُقْسِط»^(٢) «^(٣).

وقد جرت عادة الملوك في الدنيا: أن يسمى أحدهم نفسه: صاحب الجلالة، كما قد يسمى أحدهم نفسه (صاحب العظمة). ولقد رأينا الحكام المتورعين الذين يخشون ربهم، ويخافون سوء الحساب، يأبؤون أن تطلق هذه الألفاظ عليهم، ويرون أن ينزهوا أنفسهم عنها؛ كان الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ يَقُول: لا تقولوا: صاحب الجلالة، صاحب الجلالة هو الله وحده. ثم جاء الملك فهد، ولم يعد يتلقَّب بها، ولكن سَمَّى نفسه: خادم الحرمين. وكذلك الملك عبد الله من بعده. وهذا هو الأليق والأولى، من الألفاظ التي فيها الإيهام بالتعظيم الذي لا يليق إلا بملك الملوك الأعلى، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ.

«قال الخطابي: الجلال مصدر الجليل، يقال: جليل من الجلالة

(١) سبق تخريجه ص ٢٣.

(٢) راوه أبو داود في الأدب (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٧)، وحسن إسناده النووي في رياض الصالحين (٣٥٤)، والعراقي في تخريج الإحياء ص ٦٥٥، وابن حجر في التلخيص الحبير (٢٤٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٧٤)، عن أبي موسى الأشعري.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٢١ - ٣٢٣.

والجلال، والإكرام مصدر أكرم يكرم إكرامًا، والمعنى أن الله سبحانه يستحق أن يُجلَّ ويُكرَّم، ولا يُجحد ولا يُكفر، وقد يحتمل المعنى: أنه يُكرم أهل ولايته ويعرف درجاتهم بالتوفيق لطاعته في الدنيا، ويجلهم بأن تتقبل أعمالهم ويرفع في الجنان درجاتهم.

وقال الحليمي: ومعنى (ذي الجلال): المستحق لأن يُهاب سلطانه، ويُثنى عليه بما يليق بعلو شأنه.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **وَعَبَّ**: ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. يقول: ذو العظمة والكبرياء^(١).

فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن الجلال على الإطلاق لله الواحد الخلاق، ثم يكثر من قول: يا ذا الجلال والإكرام، كما في الحديث: «أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٢). والإلظاظ في اللغة: الملازمة للشيء والمثابرة عليه والإكثار منه، يقال: أَلَّظَ بالشيء يُلِظُ إلظاظًا؛ إذا لازمه وثابر عليه، ومنه: (لَظَى) اسم من أسماء النار، سُمِّيَتْ بذلك لدوام تلهبها وكثرة لظاها. فأمر **ﷻ** بالملازمة والإكثار منه، وفي الدعاء واللهج بهاتين الكلمتين يستمد القلب من دوام ذكر اللسان جلال الله **وَعَبَّ**، وَيَقْرُ في نفسه تعظيم الله تعالى وهيبته، ويمتلئ صدره بمراقبة جلاله، ويستنير سرُّه بملاحظة كبريائه وجماله، فيكرمه ببره ونعمه، ويمهد بعواطف فضله عليه وكرمه دنيا وأخرى. والله أعلم^(٣).

(١) رواه الطبري في تفسيره (٨٦/٢٣).

(٢) رواه أحمد (١٧٥٩٦)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الكبرى في النعوت (٧٦٦٩)، والطبراني (٦٤/٥)، والحاكم في الدعاء (٤٩٨/١، ٤٩٩)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ربيعة بن عامر.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٢٥.

٢ - ذو الإكرام:

وكما أنه ﷺ ذو الجلال، فهو أيضاً ذو الإكرام. (ذو الجلال) فيه دلالة على الجانب المهم في أسمائه وصفاته سبحانه، وهو جانب الكبرياء والعظمة والعزة والقوة، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ [التغابن: ١]. و(ذو الإكرام) يمثل الجانب المهم الآخر في أسمائه وصفاته ﷺ، وهو ما يمثل جانب الجمال واللفظ والجود والكرم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١].

وهو ﷺ حريص على أن يتجلى بأسمائه لعباده بهذين الجانبين أو الأمرين من أسمائه وأوصافه، ففي سورة الفاتحة ظهر الجانبان، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣] تمثل جانب الجمال والرحمانية والرحمة والحمد لله، ثم ظهر الجانب الجلال والعظمة ففي قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. أو ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على القراءتين.

والله تعالى قد ظهر باسمه الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

والكريم هو الذي يعطيك من فضله، دون أن ينال منك شيئاً، بل يعطيك ويعطيك وإن أسأت إليه، ولم تقم بما ينبغي عليك نحوه، وهكذا يتعامل الإنسان الكريم مع الناس، كما قال أبو الطيب:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(١)

(١) ديوان المتنبي ص ٣٧٢، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

وقال:

على قَدَرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَّاتُ وتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ
وتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغَارِ صِغَارُهَا وتصغُرُ فِي عَيْنِ الْعِظَامِ الْعِظَائِمُ^(١)

قال الغزالي: «الكريم هو: الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى، ولا لمن أعطى، وإذا رُفِعَتْ حاجةٌ إلى غيره لا يرضى، وإذا جفا عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء.

فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق، وذلك هو الله تعالى فقط».

قال الغزالي: «تنبيه: قد يتجمل العبد في اكتسابها، ولكن في بعض الأمور، ومع نوع من التكلف، فلذلك قد يوصف بالكريم. ولكنه ناقص بالإضافة إلى الكريم المطلق، وكيف لا يوصف به العبد، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا للعنب: الكرم، فإن الكرم هو الرجل المسلم»^(٢)؟ وقيل: إنما وصف شجر العنب بالكرم؛ لأنه لطيف الشجرة، طيب الثمرة، سهل القطاف، قريب المُتناول، سليمٌ عن الشوك والأسباب المؤذية، بخلاف النخل»^(٣).

وفي أول آيات أنزلت على محمد رسول الله ﷺ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥]. فكما سُمِّيَ الله تعالى

(١) ديوان المتنبي ص ٣٨٥.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٨٣)، ومسلم في الألفاظ من الأدب (٢٢٤٧)، عن أبي هريرة.

(٣) المقصد الأسنى ص ١١٧.

بالكريم، سمي أيضًا (الأكرم) وهي صيغة أفعل تفضيل من اسم فاعل (كُرِّم) وهو الكريم، والتفضيل منه هو الأكرم، وقد ذكر القرآن من الدلائل على أفضليته وَجَّكَ أمرين:

الأول: أنه الذي يعلم عباده، ولا يتركهم سدى، بل يعلمهم بوساطة (القلم)، وهو الوسيلة الهائلة التي تنقل العلم المتبحر والثقافات الواسعة من أمة إلى أمة، ومن عصر إلى عصر، واليوم يقوم مقام القلم المطبوعة وأدوات الكتابة بكل أنواعها وألوانها ولغاتها، في عالم الصحف المقروءة، وما وراء الصحف المقروءة.

والثاني: أنه علم الإنسان ما لم يعلم، فهو سبحانه قد أهل هذا الكائن الإنساني بأنه قدير على أن يتعلم ما لم يكن يعلمه من قبل. كما قال الشاعر:

تعلَّم فليس المرء يولد عالمًا وليس أخو علمٍ كمن هو جاهل^(١)

والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فحسبنا أنه وَجَّكَ أعطانا من فضله كل مؤهلات التكلم والتعلم والتقدم، لما هو أزكى وأرقى وأوسع، ليحصل الإنسان على كل ما يقدر عليه بواسطة السمع مما نقل عن الآخرين وعن الرسائل السماوية، والأبصار عن طريق المشاهدة والملاحظة والتجريب، وعن طريق العقول فيما فوق الحواس والسمع والبصر.

(١) ذكره الجاحظ ولم ينسبه في البيان والتبيين (١/١٨٦)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت،

الله الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ

من أسمائه تعالى، الذي ذكرها القرآن العظيم، وأكدتها السنة الصحيحة، وأجمعت عليها الأمة: اسم الرزاق، واسم الفتاح. وقد وردا معاً في حديث أبي هريرة عند الترمذي^(١)، فهو سبحانه يرزق الناس، ويفتح لهم، ويفتح بهم، ويفتح عليهم.

١ - الرزاق:

والرزاق قد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

وقد جاء وصف الله تعالى بالرزق في صيغتين: صيغة الرزاق، وهي صيغة المبالغة، وصيغة الرازق، وهي صيغة اسم الفاعل.

والمبالغة هنا كثرة الفعل، فالله سبحانه هو الذي يرزق كل من يحتاج، وما يحتاج إلى الرزق من الخلق كلهم، من الإنس والجن والحيوانات والطيور والحشرات والزواحف والأسماك والبحريات والديدان، وكل أنواع النباتات والأشجار والجراثيم والحيوانات المنوية والبويضات والبكتيريات،

(١) سبق تخريجه ص ٢٩.

وكل مخلوق له حاجة إلى الرزق كله أو إلى نوع منه، فرازق الجميع هو الله ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].

ومن قرأ القرآن وتدبره وجد مادة (الرزق) بمشتقاتها قد أخذت منه حظًا كبيرًا، ومنها ما نُسب إلى الله تبارك وتعالى، وقد وصفه القرآن بأنه (خير الرازقين)، ومنه أُخذ اسم (الرازق)، بل هو خير الرازقين؛ لأنه يرزق المؤمن والكافر، والبر والفاجر، ومن يعقل وما لا يعقل، ومن يطلب ومن لا يطلب، وكلهم ينهلون من فيضه جل وعلا، وهو فيض غامر، لا ينضب، ولا يغيض، ولا ينقص، وقد قال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألتة، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»^(١).

وقد بين تعالى لعباده: أنه هو الذي يملك كل أسباب الرزق، وكل المواد التي تأتي منها الأرزاق، ما نعلمه، وما لا نعلمه، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ * أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمَغْرُمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٧٤].

وقد جاء هذا الوصف في القرآن في أربع آيات، بعضها في سور مكية، وبعضها في سور مدنية.

(١) سبق تخريجه ص ١٦٧.

قال تعالى في مدح المهاجرين: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [الحج: ٥٨].

وقال وَجَلَّ: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢].
وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

ولو ضُمَّ إلى هؤلاء ما يطلب رزقه بغير لسان له، بل يطلبها بلسان حاله، أو بطريقته الخاصة، سيعطيه الله، ولا ينقص ذلك من خزائنه الفياضة شيئاً.
فالجميع يسألون رباً غنياً، وهو أيضاً جواد سخي، لا يعرف ما يعرفه بعض عباده من الشح والقتور، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

رزق الله واسع، وقد كتب على نفسه من الرحمة التي كتبها قبل أن يرزق العباد، ولذلك قبل أن يخلقهم سبحانه وفرَّ لهم كل ما يحتاجون إليه من معاش وأرزاق، تكفل بها وضمنها بوعده الذي لا يُخلف أبداً، وكيف يُخلف، وهو لا يكذب أبداً؟ كيف وهو قادر على إيفاء وعده، ولا يقول إلا حقاً؟ ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم: ٦]. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١٠، ١١]، فهو سبحانه هياً لهم المعاش قبل أن يخلقهم ويصورهم.

ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦].

أرزاق الله نوعان: مادية وروحية:

والأرزاق عند الله نوعان: رزق مادي، يحتاج إليه البدن ليعيش ويحس بالطاقة التي تدفعه لعمل، من أنواع ما يؤكل وما يشرب وما يُتَغَذَّى به، لكل مخلوق ما يناسبه، وما يحلو له، مما يؤكل على حاله الذي خلقه الله، وربما تدخله يد الصناعة، ويتفنن فيه الناس، وهناك طعام الضرورة، وطعام الحاجة، وطعام الكفاية، وطعام الترف، وطعام الحلال، وطعام الحرام، وكله جاء من رزق الله، والمؤمن هو الذي يتخير الرزق الحلال الطيب، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ * [المائدة: ٨٧، ٨٨].

والناس يتوسعون في هذا الرزق المادي ويتفننون، وكلما توسعوا فيه توسعت شهواتهم، وخرجت مما يجب إلى ما لا يجب، وقد يضيق بها الحلال، فتتوجه إلى المكروه، فالشبهات، فالحرام، كما حذرنا النبي ﷺ فيما رواه النعمان بن بشير: «فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه»^(١).

(١) رواه الجماعة: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، كما رواه أحمد (١٨٣٧٤)، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذي (١٢٠٥)، والنسائي (٤٤٥٣)، ثلاثهم في البيوع، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٤)، عن النعمان بن بشير.



وأولى بالمسلم العاقل الراشد أن يكون زاده القناعة، وهي نِعْم الزاد لمن أراد، كما قال الشاعر الصالح:

لكسرةٌ من زهيدِ الخُبْزِ تُشْبِعُنِي ونهلةٌ من زلالِ الماءِ تَرْوِينِي
وقطعةٌ من رخيصِ الثوبِ تَسْتُرُنِي حيًّا وإن مِتُّ تكفيني لتكفيني^(١)

والمؤمن الذي علم أن الله تكفل له برزقه، قد وثق بوعد الله تعالى له بالرزق، وقد قال تعالى بصريح كتابه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ولا يخلف الله وعده أبدًا، وكان وعده حقًا، وضمانه صدقًا، ولذلك كان الرجال المؤمنون يذهبون إلى ما قدر الله لهم من أيام أو شهور أو سنوات في الجهاد والرباط، وقد تركوا زوجاتهم وأولادهم، وربما لم يكن وراءهم من المال إلا القليل، ولكنهم غير قلقين عليهم، بل هم مطمئنون إلى أن الله تعالى سيرتب لهم من يأتيهم بأرزاقهم، من حيث لا يحتسب، ومن حيث لا يحتسبون.

وكم ذهبوا إلى زوجات المجاهدين، يريدون أن ينشروا فيهم الفزع والخوف على الأطفال، وخشية الضياع عليهم من عدم الإنفاق، وكم قالوا لهؤلاء النساء: كيف ذهب زوجك وترك الأولاد، ومن أين يأكلون؟ وكيف تأتيهم الأرزاق؟ فتقول الزوجة في ثقة المؤمنة، وإيمان الواثقة: إن أبا فلان (تعني: زوجها)، منذ تزوجته وعرفته، عرفته أكَّالًا، وما عرفته رزاقًا، فلئن ذهب الأكَّال، لقد بقي الرزاق!

(١) نسبه ابن حجر باختلاف يسير في الألفاظ إلى معين الدين أبو العلاء محمد بن محمود الغزنوي النيسابوري. الدرر الكامنة (٢٨/٣)، تحقيق محمد عبد المعيد خان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط ٢، ١٩٧٢م.

ولو قابلوا الزوج، وسألوه، لرد عليهم قائلاً: علينا أن نجاهد كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا!

الرزق الروحي والمعنوي:

والرزق الثاني: رزق روحي معنوي، لا يُمضغ بالأسنان، ولا يدخل المعدة، ولكنه رزق للقلوب والعقول، تنشرح به الصدور، وتطمئن به القلوب، وليس لغير العقلاء نصيب منه. كما قال تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]. ورزق الرب هنا ليس هو الطعام والشراب، بل هو خير وأبقى من كل الطيبات المادية، وهو الذي أشار إليه النبي ﷺ في الصيام حين كان يواصل وينهاهم عن الوصال، وسألوه عن ذلك، فقال: «أَيُّكُمْ مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»^(١).

الأرزاق كلها تطلب من الله:

وكل الأرزاق المادية والروحية من عند الله سبحانه، فطلاب الرزق المادي يطلبونه منه، ويستعجلون الطلب، والرزق آتيهم لا محالة، كما قال الشاعر:

لَا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْعَجَلِ الرِّزْقُ فِي اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ مَعَ الْأَجَلِ
فَلَوْ صَبَرْنَا لَكَانَ الرِّزْقُ يَطْلُبُنَا لَكِنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ

وطلاب الرزق الروحي يسألونه من الله تعالى في الأوقات المحبوبة عنده؛ مثل السَّحَر، وما بعد الأذان، وفي يوم الجمعة، وفي السجود،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.



ونحوها، فهم يسألون الله تعالى المغفرة والرحمة، والقبول والتوفيق، وحب الله تعالى، وحب رسوله، وحب عباده الصالحين، وحب الخير، كما كان النبي ﷺ يدعو ربه فيقول: «اللهم ارزقني حبَّك، وحب من ينفعني حبُّه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب»^(١).

«اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»^(٢).

«اللهم إنك عفو تحبُّ العفو، فاعف عني، اللهم إنك عفو كريم تحبُّ العفو فاعف عني»^(٣).

«اللهم اجعل خير عمري أواخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك»^(٤).

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٩٠)، وقال: حسن غريب. والبزار (٤٠٨٩)، والحاكم في التفسير (٤٣٣/٢)، وصحح إسناده، وتعقبه الذهبي: بل عبد الله بن يزيد الدمشقي هذا قال أحمد: أحاديثه موضوعة. وضعفه الألباني في الضعيفة (١١٢٥)، عن أبي الدرداء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى.

(٣) رواه أحمد (٢٥٣٨٤)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٥١٣)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٠)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٦٤٣)، عن عائشة.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٩٤١١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩٧٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو مالك النخعي، وهو ضعيف. عن أنس.

﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾
[البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
[الأعراف: ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾
[آل عمران: ٨].

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ رَبَّنَا وَءَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ
لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧]، ﴿ رَبِّ إِنِّي
لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ
إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

٢ - الفتح:

الفتح: صيغة مبالغة من مادة: فتح يفتح، فهو فاتح، والمبالغة منها: الفتح. وقد وُصف الله تعالى بالفتاح والفتح، وقد وصفه سيدنا شعيب

بأنه تعالى خير الفاتحين، حين قال الذين استكبروا من قومه: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ
يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَإِهْلِكَ قَدْ
أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ
فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفَتَحَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿[الأعراف: ٨٨، ٨٩].

فهو سبحانه خير الفاتحين؛ لأنه يفتح كل مغلق، وإن اشتد على
الناس وكثرت معوقاته.

وهو سبحانه لا يصعب عليه باب أو قفل مهما تعقدت مقدماته،
وصدئت آلياته، وهو عَجَلُ القادر على فتح كل باب، وإن ظن الناس
الظنون أنه لن يفتح. كما قال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقَتْ فلمَّا استحكمت حلقاتها فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تَفْرُجُ^(١)

وكلما اشتد الكرب، واستحكمت الإغلاق، وزاد الضيق، وكثر الهمُّ،
وغلب الاستيئاس، جاء الفتح والفرج من الله سبحانه.

كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا
جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنَبِّئُكَ أَنَّهَا نَصْرُنَا وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿[يوسف: ١١٠]،
وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى
نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿[البقرة: ٢١٤]. والجملة الاسمية أبلغ من الجملة

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١٥/٥)، تحقيق عبود
الشالجي، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

الفعلية، فإن أُكِّدَت بـ (إن) كانت أوكد، فإذا افتتحت بـ (ألا) كانت أكثر توكيدًا.

قال الغزالي: «الفتاح هو: الذي يفتح بعنايته كل منغلق، وبهدايته ينكشف كل مشكل، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه، ويقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]»^(١).

وقد قال تعالى على لسان سيدنا شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ * وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٣ - ١٥].

ولقد فتح الله لرسوله ما فتح، من البلاد ومن القرى، القريبة والبعيدة، وكان فتح مكة عاصمة الجزيرة العربية الدينية في ذلك الوقت، فدخلها ﷺ بجيوشه المظفّرة، وكان الفاتح الأعظم، في ذلك اليوم الأغر، الذي دخل فيه على ابنة عمه: أم هانئ بنت أبي طالب، فطلب طعامًا، فقالت: والله ما عندنا إلا خل، فدعا به، فجعل يأكل به، ويقول: «نعم الإدام الخل»^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣].

(١) المقصد الأسنى ص ٨٦.

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٥٢)، وأحمد (١٤٢٢٥)، وأبو داود في الأطعمة (٣٨٢٠)، عن جابر بن عبد الله.

في يوم الفتح يستحق ربنا الفتح أن يسبَّح بحمده، وأن يُطلب غفرانُه، وتُطلب توبُّته، إنه كان توابًا.

وكان الرسول المعلِّم ينبئهم بما سيفتح الله عليهم من الأقطار والمدن الكبرى، مثل فتح القسطنطينية ورومية، وسأله بعضهم: أي المدينتين تفتح أولاً: رومية أو القسطنطينية؟ فقال: «مدينة هرقل تفتح أولاً»^(١). فقد كانت مدينة هرقل هي التي تتحكم في بلاد العرب في آسيا، بل في إفريقيا، وحين فتح المسلمون سورية، خرج منها هرقل مودعًا قائلاً: سلام عليك يا سورية، سلامًا لا لقاء بعده.

وقد فُتحت مدينة هرقل، وغيَّر المسلمون اسمها من «القسطنطينية» إلى اسم «إستانبول»، وكان فاتحها هو الفتى العثماني ابن الثلاثة والعشرين عامًا، الشهير باسم «محمد الفاتح»، الذي صلينا مرارًا في مسجده، ووجدناهم يعلقون عليه لافتة كُتب عليها الحديث الشريف: «لُتُفْتَحَنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»^(٢).

وقد يكون الفتح فتحًا سلميًا، مثل الفتح الذي حدَّث للرسول ﷺ وأصحابه في الحديبية، فهو فتح بغير حرب، وقد سماه الله تعالى ﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾، ونزلت فيه سورة الفتح. قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾

(١) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٢﴾ [الفتح: ١ - ٣].

وقد يكون فتح رومية المبشّر به من هذا النوع: من فتح الفكر
والدعوة، من فتح القلم لا السيف.

وتارة يفتح الله لأهل الإيمان أبواب الرزق والبركات من السماء
والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم
بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وفتح الله للمسلمين أبواب العلم: في الدين واللغة، والتاريخ
والثقافات، وعلم الجغرافيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والعلوم
الاجتماعية، والعلوم والهندسة والطب والتشريح والصيدلة، وعلم
الفلك، وعلم البحار، وعلم الأرض والهندسة والرياضيات، وغيرها مما
فتح الله على البشر بعد ذلك.

وكلها فتحٌ من الله، وكذلك رأينا المسلمين يسمّون الكتب الكبيرة في
هذه العلوم فتحًا، مثل: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، و«فتح القدير»
في الفقه وفي التفسير، و«الفتح الكبير»، و«الفتح الصغير»، ومثلها الفيض.

وفي الإسلام قد اشتهر تاريخ الفتح الإسلامي، وقادته الكبار، ومعاركه
الكبرى، والبلاد المفتوحة، ورجال الفتح من عرف منهم وكُتِبَ عنه، ومن لم
يعرفه إلا الله تعالى ثم إخوانه القريبون منه. كما قيل لعمر في إحدى معارك
الفتح: واستشهد فلان وفلان وفلان، ممن يعرفهم عمر، ثم قيل له: وآخرون
لا تعرفهم يا أمير المؤمنين. قال عمر: ولكن الله تعالى يعرفهم ويذكرهم^(١).

(١) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤٨١)، وصحح إسناده ابن حجر في الإصابة (٣٤٤٨١).

فتح المسلمين وفتوح غيرهم:

وقد كتب شيخنا الشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللهُ مقالته الشهيرة: «بين فتح وفتح»، تحدث فيها عن فتوح الأقدمين والمُحدثين من الإسكندر الأكبر، وجنكيز خان ونابليون، وغيرهم من قادة الشرق والغرب، وفتوح العرب المسلمين وفتوحهم الربانيين، الذين فتحوا المدن العالمية في بلاد الهند والصين والفرس والروم، وإفريقيا وآسيا وأوروبا، وكثير من الديار المليئة بكنوز الذهب والفضة والماس واللآلئ والجواهر، والتي كانت تطل عليهم النساء المخدَّرات من القصور والمنازل، وفيهن ملكات الجمال، وسيدات الحسن، ولم تثبت مرة واحدة في التاريخ: أن اختُطفَت يوماً امرأة من بيتها، أو عدا عليها واحد في قصرها أو بيتها، أو استولى جندي أو قائد على امرأة، أو أدنى شيء من ثوب أو بُردة من صاحبها؛ لأنهم إذا دخلوا بلدًا كانوا يتلَّون عند فتوحاتهم قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

يقول أبو حامد الغزالي: «وتارة يرفعُ الحجاب عن قلوب أوليائه، ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائه، ويقول: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]. ومن بيده مفاتيح الغيب ومفاتيح الرزق فبالحري أن يكون فتاحاً»^(١).

وهو سبحانه الفتاح الذي يتنصر للمظلوم من الظالم، مهما طال ليل الظلم وادلهم.

(١) المقصد الأسنى ص ٨٦.

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منقطعٌ
 اليأسُ يقطعُ أحياناً بصاحبه
 اللهُ حَسْبُكَ ممَّا عذتَ منه به
 يا نفسُ صبراً على ما قدَّر اللهُ
 يا رَبَّ مُسْتَصْعَبٍ قد سهَّلَ اللهُ
 إذا بُليتَ فثِقْ باللهِ وارضَ به
 أبشِرْ بذاك فإنَّ الكافيَ اللهُ
 لا تيأسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ
 وأين أمنعُ ممَّن حَسْبُهُ اللهُ؟
 وسلِّمي تسَلِّمي، فالحاكمُ اللهُ
 ورُبَّ شرٍّ كثيرٍ قد وقى اللهُ
 إنَّ الذي يكشفُ البلوى هو اللهُ^(١)

حظ العبد من هذا الاسم:

قال أبو حامد: «ينبغي أن يتعطَّش العبد إلى أن يصير بحيث يفتح
 بلسانه مغاليق المشكلات الإلهية، وأن يتيسَّر بمعرفته ما يتعسَّر على
 الخلق من الأمور الدينية والدنيوية، ليكون له حظ من اسم الفتح»^(٢).

(١) ذكرها التنوخي في الفرج بعد الشدة (٢٠/٥)، بالفاظ مقاربة، وضعف نسبتها إلى أبي العتاهية ولم ينسبها لغيره.

(٢) المقصد الأسنى ص ٨٦.

غير مرخصة للطباعة

الله القَهَّار الوَهَّاب

من أسماء الله تعالى الحسنى التي نطق بها القرآن العظيم، ونطقت بها السنة المشرفة، وأجمعت عليها أمة الإسلام في المشارق والمغارب، وامتلات بذكرها المساجد، وطابت بالحديث عنها الألسنة والأقلام، اسما: القَهَّار والوَهَّاب.

١- القَهَّار:

قال الإمام الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: «القَهَّار، هو: الذي يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه، فيقهرهم بالإماتة والإذلال، بل الذي لا موجود إلا وهو مسخرٌ تحت قهره ومقدرته، عاجز في قبضته»^(١).

و(القَهَّار) صيغة مبالغة من قَهَرَ، ومعناه: الغَلَّاب الذي يَقْهَر ولا يُقْهَر، ولا يقفُ أمام قدرته شيء، ولا يُعْجِزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

وقد جاء اسم (القَهَّار) في القرآن في ستة مواضع، مقترناً فيها جميعاً باسم (الواحد)، ليشعرنا أنَّ هذا القَهَّار ليس له شريك، ولا منازع، ولا ولي، ولا كفاء، ولا شبيه ولا والد، ولا ولد، مُتَفَرِّد بالربوبية، مُتَفَرِّد

(١) المقصد الأسنى ص ٨١.

بالإلهية، مُتفرد بالقهارية، والقهر التام - كما قال ابن القيم - يستلزم الوحدة، فإن الشركة تنافي تمام القهر^(١).

هذه المواضع الست هي:

قوله تعالى في سورة يوسف على لسانه، حيث قال للسجينين معه، وقد كانا من عباد الأوثان: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ ۚ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]. ليقارنا بين آلهتهم المزعومة وبين هذا الإله العظيم، المتفرد بوحدانيته وقهاريته.

وقوله تعالى في محاجة المشركين وإبطال ما اتخذوه من أولياء لا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - نفعا ولا ضرا: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]. هو سبحانه الذي يملك الضر والنفع والموت والحياة، ومن له الخلق والأمر، ومن بيده ملكوت كل شيء، كل من في الوجود، وما في الوجود، تحت قهره، وفي قبضة قدرته وسلطانه.

ومنها قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفَ وَعْدِهِ ۚ رُسُلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ * يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * [إبراهيم: ٤٧، ٤٨]. هو وحده المتصرف في هذا اليوم، ولا سلطان لأحد سواه، فلا يملك ملك في السماوات، ولا نبي، ولا صديق من الأمر شيئا

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٤٦٦/٢)، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، نشر دار العاصمة،

الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ.

في هذا اليوم، إلا ما أذن الله تعالى به لمن يشاء، الكل تحت أمره، وفي قبضته، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ﴿وَكُلُّهُمْ عَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥]. لم يعد هناك أحد يدعي الملك، في الدنيا هناك ملوك يدعون أن الأرض أصبحت ملكاً لهم، وأن السلطان في أيديهم، وأنهم يأمرون وينهون، ويحكمون ويتصرفون، وكأنما لهم شيء، لكن في هذا اليوم زال ملك هؤلاء جميعاً، وبقي الملك للملك وحده: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الأنفطار: ١٩]. وهو المعنى نفسه الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِنُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٥، ١٦]. وقد جاء في الحديث المتفق عليه: «يقبض الله ^ط على الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»^(١).

ومن هذه المواضع الست قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]. يأمر رسوله أن ينفي عن نفسه أي صفة من صفات الألوهية، وأنه ليس إلا منذراً، وأن الإله الحق هو الله الواحد القهار.

وقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]. الله من كمال قهاريته أنه ليس في حاجة إلى والد ولا إلى ولد، لو كان في حاجة لم يكن قهاراً، ولكن لأنه لم يلد ولم يولد، هو القهار وحده، هو الواحد القهار.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٨١٢)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار

(٢٧٨٧) (٢٣)، عن أبي هريرة

وقد جاءت صفة القهر في القرآن بصيغة اسم الفاعل (القاهر)؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]. أي: الذي يدبر خلقه ويقدر مقاديره ولا يستطيع أحد منهم رد تدبيره والخروج من تقديره.

الله قهار الجبابرة:

ومن معاني القهار أنه يأخذ الجبابرة العتاة، المتألهين في الأرض، أخذ عزيز مقتدر، كما فعل بمدين وعاد وشمود، وفرعون وهامان وقارون، فما كان لهم من فئة ينصرونهم من دون الله وما كانوا من المنتصرين. كما قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقال الله في عاد: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾ ظنوا أن قوتهم التي لا تُقهر، وشوكتهم التي لا تكسر ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَايُنِنَا يَحْدُوثُونَ﴾ فبدد الواحد القهار قوتهم، وكسر شوكتهم، وأزال دولتهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦].

وشمود الذين ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢]، يشقون الصخر وينحتونه، ويجعلون منه مساكن لهم يأمنون فيها، مُقدِّرين أن الأمن سيستمر لهم إلى الأبد ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢].

وفرعون الذي طغى وبغى ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿ [النازعات: ٢٣، ٢٤]، وقال: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]. غره ملكه فظن أنه ليس تحت قهر الله وفي قبضته ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١].

هذه الحضارات القديمة، التي كان لها ملكها ومجدها، وآثارها الطبيعية والصناعية، والتي عُتيت بالجانب المادي من الحضارة، ونسيت الجانب المعنوي والروحي فيها، فغرق في متاع الحياة الدنيا، ونسيت ربَّها ورسله وكذبتهم، وجرت وراء مُتعتها وترفها، فطغت وبغت، وظنوا أنهم ليسوا تحت قهر الله وبطشه؛ قهرهم الله جميعاً ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴾ ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴾ ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴾ ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴾ ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤]. لذلك قال النبي ﷺ: «إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] ^(١). ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

ونمرود الذي ذكر القرآن موقفه من إبراهيم وموقف إبراهيم منه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

فهذا الطاغية يزعم أنه يحيي ويميت، كما أن رب إبراهيم - وهو رب العالمين - يحيي ويميت، فيجب أن يدين الناس له، كما يدينون لرب إبراهيم!

وبلغ من جرأته في دعوى الإحياء والإماتة، أن جاء برجلين من عرض الطريق، وحكم عليهما بالإعدام بلا جريرة، ونفذ في أحدهما ذلك فوراً، وقال: ها قد أمته، وعفا عن الآخر، وقال: ها قد أحييته! ألسنت بهذا أحيي وأميت؟!!

تحكي كتب التفسير والتاريخ أن الله عذبه لما قصد المحاربة مع الله تعالى، بأضعف خلقه، ببعوضة توغلت في خياشيمه فأهلكته.

نصيب العبد من هذا الاسم:

يقول الغزالي: «القَهَّار من العباد من قهر أعداءه، وأعدى عدو الإنسان نفسه التي بين جنبيه، فهي أعدى له من الشيطان الذي قد حذر عداوته، ومهما قهر شهوات نفسه، فقد قهر الشيطان؛ إذ الشيطان يستهويه إلى الهلاك بواسطة شهواته، وإحدى حبايك الشيطان النساء، ومن فقد شهوة النساء لم يُتصور أن ينقل بهذه الأحبولة، فكذلك من قهر هذه الشهوة تحت سطوة الدين وإشارة العقل.

ومهما قهر شهوات النفس، فقد قهر الناس كافة، فلم يقدر عليه أحد؛ إذ غاية أعدائه السعي في إهلاك بدنه، وذلك إحياء لروحه. فإن من مات عن شهواته في حياته، عاش في مماته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿٢﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]» (١).

(١) المقصد الأسنى ص ٨١.



ونقول لإمامنا الغزالي: إنه يركز دائماً على نجاة الفرد، أكثر من التركيز على سعادة المجتمع، والإسلام يسعى إلى سعادة الفرد والمجتمع جميعاً، وإلى العمل إلى إسعادهما بتعاليم الإسلام، وأحكام الإسلام، وأخلاق الإسلام، فكما يُعنى الفرد بقهر شيطانه وشهوات نفسه التي تعين شيطانه، يجب على كل مسلم من الأفراد والمجتمعات، والحكام والمحكومين، أن يقهروا أعداءهم من شياطين الإنس، لا يجوز ترك هؤلاء يفسدون في الأرض ويضلون الخلق، ويشوّهون الدين، ويضيعون الدنيا، ولا ينتبه الأفراد الصالحون لهم؛ لأنهم مشغولون بشياطينهم من الجن، تاركين هؤلاء الشياطين الذين هم في الواقع شر من شياطين الجن، كما قال أحدهم:

وكنْتُ امرأً من جُنْدِ إبليسَ فارتقى بي الحالُ حتَّى صارَ إبليسُ من جُندي^(١)

لا بد للإمام الغزالي وجماعته والمتأثرين به أن يعملوا على محاربة هؤلاء الشياطين الخطيرين، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قال بعض الصوفية: إنَّ شيطان الجن إذا استعنت بالله تعالى هرب مني وخنس، ولكن شيطان الإنس إذا ذكرت الله فلا يخنس، ويظل معي حتى يغلبني!

(١) البيت لنصر بن أحمد الخبزري، كما في ديوانه قصيدة (٤٨)، ص ١٢٣، ضمن مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول، المجلد الأربعون، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢ - الوهاب:

والوهاب صيغة مبالغة من اسم الفاعل من وَهَبَ يَهَبُ هِبَةً، «والهبة هي: العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، فإذا كثرت العطايا بهذه الصفة سُمِّيَ صاحبها وَهَّابًا وَجَوَادًا، ولن يُتصور الجود والهبة حقيقة إلا من الله تعالى؛ فإنه الذي يعطي كل محتاج ما يحتاج إليه، لا لعوض ولا لغرض، عاجل ولا آجل، ومن وهب وله في هبته غرض يناله عاجلاً وآجلاً، من ثناء أو مدح أو مودة، أو تخلص من مذمة أو اكتساب شرف وذكر، فهو معامل معتاض، وليس بوهَّاب ولا جواد.

فليس العوض كله عيناً يُتناول؛ بل كل ما ليس بحاصل، ويقصد الوهاب حصوله بالهبة، فهو عَوْضٌ، وَمَنْ وهب وجاد لِيُشَرِّفَ أو لِيُثْنِيَ عليه أو لئلا يُذَمَّ، فهو مُعَامِلٌ، وإنما الجواد الحق هو الذي يُفيض منه الفوائد على المستفيد، لا لغرض يعود إليه؛ بل الذي يفعل شيئاً، لو لم يُفَعَلْ لكان يقبَّح به، فهو بما يفعله متخلص، وذلك غرض وعَوْضٌ»^(١).

صور العباد وهيئاتهم:

قال الغزالي: «لا يُتصوَّر من العبد الجود والهبة، فإنه ما لم يكن الفعل أولى به من الترك، لم يُقدم عليه، فيكون إقدامه لغرض نفسه، ولكن الذي يبذل جميع ما يملكه، حتى الروح، لوجه الله وَحَلَّ فقط، لا للوصول إلى نعيم الجنة أو الحذر من عذاب النار، أو لحظَّ عاجل أو آجل، مما يعد من حظوظ البشرية، فهو جدير بأن يسمى وَهَّابًا وَجَوَادًا، ودونه الذي يجود لينال نعيم الجنة، ودونه من يجود لينال حسن

(١) المقصد الأسنى ص ٨٢.

الأحدوثة، وكل من لم يطلب عوضًا يُتناول سُمِّيَ جوادًا عند من يظن أن لا عوض إلا الأعيان.

فإن قلت: فالذي يجود بكل ما يملكه، خالصًا لوجه الله تعالى، من غير توقُّع حظٍّ عاجل أو آجل، كيف لا يكون جوادًا، ولا حظ له أصلًا فيه؟

فنقول: حظه هو الله تعالى ورضاءه ولقاؤه والوصول إليه، وذلك هو السعادة التي يكتسبها الإنسان بأفعاله الاختيارية، وهو الحظ الذي تُستحقَّر سائر الحظوظ في مقابلته.

فإن قلت: فما معنى قولهم: إن العارف بالله تعالى هو الذي يعبد الله وَعَبَّاهُ خالصًا لله، لا لحظٍّ وراءه، فإن كان لا يخلو فعل العبد عن حظ، فما الفرق بين من يعبد الله تعالى خالصًا، وبين من يعبد له لحظ من الحظوظ؟

فاعلم: أن الحظ عبارة عند الجماهير عن الأغراض أو الأعراض المشهورة عندهم، ومن تنزَّه عنها، ولم يبقَ له مقصد إلا الله تعالى، فيقال: إنه قد برئ من الحظوظ، أي: عما يُعُدُّه الناس حظًا، وهو كقولهم: إن العبد يراعي سيده، لا لسيده، ولكن لحظٍّ يناله من سيده، من نعمة أو إكرام، والسيد يراعي عبده، لا لعبده، ولكن لحظٍّ يناله منه بخدمته، وأما الوالد فإنه يراعي ولده لذاته، لا لحظ يناله منه؛ بل لو لم يكن منه حظ أصلًا، لكان معنيًا بمراعاته.

ومن طلب شيئًا لغيره لا لذاته، فكأنه لم يطلبه، فإنه ليس غاية طلبه؛ بل غاية طلب غيره، كمن يطلب الذهب، فإنه لا يطلبه لذاته، بل ليتوصل به إلى المطعم والملبس، والمطعم والملبس لا يُرادان لذاتهما، بل

للتوصل بهما إلى جلب اللذة ودفع الألم، واللذة تراد لذاتها، لا لغاية أخرى وراءها، وكذا دفع الألم، فيكون الذهب واسطة إلى الطعام، والطعام واسطة إلى اللذة، واللذة هي الغاية، وليست واسطة إلى غيرها، وكذلك الولد ليس واسطة في حق الوالد؛ بل مطلوبه سلامة الولد لذات الولد؛ لأن عين الولد حظه.

فكذلك من يعبد الله وَعَجَّلَ للجنة، فقد جعل الله وَعَجَّلَ واسطة طلبه، ولم يجعله غاية مطلبه، وعلامة الواسطة أنه لو حصلت الفائدة دونها لم تُطلب، كما لو حصلت المقاصد دون الذهب لم يكن الذهب محبوباً ولا مطلوباً، فالمحسوب بالحقيقة، الغاية المطلوبة دون الذهب، ولو حصلت الجنة لمن يعبد الله لأجلها دون عبادة الله وَعَجَّلَ لَمَا عَبَدَ الله، فمحبوبه ومطلوبه الجنة إذن لا غير.

وأما من لم يكن له محبوب سوى الله وَعَجَّلَ، ولا مطلوب سواه؛ بل حظه الابتهاج بقاء الله تعالى والقرب منه، والمرافقة مع الملائكة المقربين من حضرته، فيقال: إنه يعبد الله تعالى لله. لا على معنى أنه غير طالب للحظ؛ بل على معنى أن الله وَعَجَّلَ هو حظه، وليس ينبغي وراءه حظاً.

ومن لم يؤمن بلذة البهجة بقاء الله وَعَجَّلَ ومعرفته والمشاهدة له والقرب منه، لم يشتق إليه، ومن لم يشتق إليه لم يتصور أن يكون ذلك من حظه، فلم يتصور أن يكون ذلك مقصده أصلاً؛ فلذلك لا يكون في عبادة الله تعالى إلا كالأجير السوء، لا يعمل إلا بأجرة طمع فيها، وأكثر الخلق لم يذوقوا هذه اللذة ولم يعرفوها، ولا يفهمون لذة النظر إلى وجه الله وَعَجَّلَ، وإنما إيمانهم بذلك من حيث النطق باللسان، فأما بواطنهم، فإنها مائلة إلى التلذذ بقاء الحور العين، ومصدقة به فقط.

فافهم من هذا: أن البراءة من الحظوظ محال، إن كنت تُجَوِّز أن يكون الله تعالى، أي: لقاءه والقرب منه، مما يسمى حظًا؛ وإن كان الحظ عبارة عما يعرفه الجماهير وتميل إليه قلوبهم، فليس هذا حظًا، وإن كان عبارة عما حصوله أوفى من عدمه في حق العبد، فهو حظ»^(١).

هل في الناس وهَّاب حقيقي؟

الوهَّاب: صاحب الهبات والهدايا والعطايا الواسعة، التي يتوقعها الناس منه، وفوق ما يتوقعون منه، وما لا يخطر ببالهم أن يتوقعوه منه، فمن وهب للناس شيئًا بسخاء نفس، وبسط يد، قال له الناس: واهب، ومن أكثر من العطاء للناس، على اختلاف درجاتهم، واختلاف ألسنتهم، واختلاف ألوانهم، واختلاف طبقاتهم، واختلاف أعمارهم، لا يخرج أحد من عنده إلا وهو باسم الثغر، منشرح الصدر، مستريح الظهر، فهذا قد يسميه الناس وهَّابًا، ولكنه ليس (الوهَّاب).

هو وهَّاب من بعض الجهات، ولكنه لا يستطيع أن يهب أشياء كثيرة؛ لأنه لا يملكها، ولو ملك بعضًا منها، فهو لا يملكها كلها. هو محدود القدرة، محدود الإرادة، محدود العلم، هو كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. فهو فقير في العلم، فبالنسبة لما في الكون من علوم يظل علماء أهل الأرض العباقرة منهم يكتشفون أجزاء من العلم جزءًا بعد جزء، وينكشف لهم به آفاق مما كانوا يجهلون، ولا يكشفون جديدًا إلا بدا لهم أنهم يجهلون الكثير والكثير، الذي لا يُزال يُطلب ويُطلب حتى يُدرَك منه ما يمكن شيئًا فشيئًا. لهذا علم الله تبارك وتعالى خاتم رسله محمدًا أن يدعو ربه فيقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

(١) المقصد الأسنى ص ٨٢ - ٨٤.

وما عندنا من مال هو جزء ضئيل من الثروة التي بثها الله في الأرض، وربط تحصيلها والوصول إليها بالسنن الكونية التي لا بد من أن تراعى، وقد سمع عمر بن الخطاب رجلاً ينادي ربه أن يرزقه، وهو قابع في المسجد بعد صلاة الجمعة، فقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة. إنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] (١).

ما يستوهبه الناس من الله تعالى:

الله تعالى هو الذي يملك كل شيء، ما في الشمس وما في الأرض، ومن في السماوات ومن في الأرض، ما يرى وما لا يرى، ما يُعرف وما لا يُعرف، ما يباع ويشترى، وما لا يباع ويشترى، كل هذا ملك الله تعالى، ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

والناس يستوهبون الله ما يحبون منه، من ذرية طيبة، كما قال سيدنا إبراهيم خليل الرحمن بعد أن أنجاه الله من النار التي أراد قومه أن يحرقوه بها، فأحالتها الله إلى رَوْح ورياحين، وقال لها: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. ثم سأل ربه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١]. فكان هذا الغلام ابنه الأول إسماعيل الذي بدا حلمه في تقبل أمر الله لأبيه بذبحه، وقال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. ورزقه الله تعالى بابنه الثاني إسحاق الذي سمّته الملائكة الذين بشروا أباه به:

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٦٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

غلاماً عليماً، ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ * قَالُوا لَا نُوَجِّلُ إِنَّا بُشْرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿[الحجر: ٥٢، ٥٣]، كما قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]. قال إبراهيم بعد ذلك حامداً ربه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وزكريا نادى ربه نداء خفياً: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿[الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

ومن دعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

والناس يطلبون من الله الهداية من الضلالة، والتعليم من الجهالة، والخروج من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

ويستوهب الناس من الله العلم الذي ينفعهم في دينهم وفي دنياهم، وينير لهم طريقهم، ويسر عليهم حياتهم، ويدبر عنهم شياطينهم، ويحقق لهم آمالهم، وهذا بينه القرآن من أول آيات أنزلت ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿[العلق: ٣ - ٥]. والعلم إما يكون بالتعلم وبالسعي والبحث، والسؤال عن أهله الذين يتعلم منهم، كما قال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وكما ينبغي الرحلة في طلب علم الدين ينبغي ذلك وأكثر منه في تعلُّم علم الدنيا، المهم أن يتعلَّموا ما ينفعهم ولا يضرهم، ولا يكونوا كالسحرة الذين يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم كما قال القرآن.

كل الناس، ومنهم الرسل والأنبياء، وهم صفوة الخلق عند الله، يطلبون من الله أن يهبهم من عنده كل ما يحتاجون إليه وكل ما يهفون إليه، مما لا يستطيع البشر أن يهبوه لهم، فكل البشر مثلهم، عاجزون فقراء ومساكين لا ملك لهم، ولا حول لهم، ومستحيل أن يتطور حالهم من ضعف إلى قوة، ومن عجز إلى قدرة، ومن فقر إلى غنى؛ لأن ضعفهم وفقرهم فقر ذاتي، وما بالذات لا يتخلف. فلهذا يطلب كل منهم حاجته من ربه، علمية أو عملية، روحية أو مادية، فردية أو جماعية.

وهو سبحانه يعطي ويهب ما يشاء ولمن يشاء، وكما يشاء، وكيف يشاء ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

لهذا يطلب منه عباده العلماء الراسخون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

ويطلب منه سليمان ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

ويسخر القرآن من المشركين فيقول: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩].

ولقد وقفت على باب ربي سبحانه استوهبه ما لا يهبه غيره، وأستعطيته ما لا يعطيه سواه، من العفو والعافية، والمغفرة والرحمة، أقول:



وَإِذَا دَعَا مُذْنِبٌ لَا يُعْرَضُ
يَدْعُوكَ مَكْسُورُ الْجَنَاحِ مُهَيَّضُ
صُحُفٍ تُسَطَّرُ، أَوْ قَرِيضُ يُقَرَضُ
فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ خُلُوْ أَيْضُ
قَصْرَتْ فِيمَا طَوَّلُوهُ وَعَرَّضُوا
وَقُلُوبَ أَهْلِ الْحَبِّ لَا تَتَبَعُ
عَادُوكَ، فَهُوَ يَحِبُّ فَيْكَ وَيُغِضُ
شَمُّ الْجِبَالِ بِحَمْلِهِ لَا تَنْهَضُ
أَبَدًا لِحِزْبِكَ نَاصِرٌ وَمُحَرِّضُ
وَرَعِيَّتِي، وَالْخَيْرُ مِنْكَ مُقَيَّضُ
وَوَهَبْتَنِي فَضْلًا يَطُولُ وَيَعْرُضُ
إِنَّ الْمَحَبَّةَ بِالْعَصَا لَا تُفْرَضُ
قَدَمِي يَرَاهُ مُحَدِّقٌ أَوْ مُغْمِضُ
مَنْ ذَاقَ حُلُوكَ لَمْ يُطَقْ مَا يَحْمُضُ
وَمَعَ الَّذِينَ لَوْجُهُ دِينَكَ بَيَّضُوا
نُورًا يَضِيءُ وَرُوحَ بَعَثٍ يُنْهَضُ
إِلَّا وَكُلِّي فِي رِضَاكَ مُمَحَّضُ
يُغَالُ، أَوْ أَعْيَا بِهِ، أَوْ يُجْهَضُ
أَشْفَى بِهَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُمْرِضُ
كِي أُرْتَضَى فِيمَنْ لَدَيْكَ قَدْ ارْتَضُوا
مَا دَامَ بِي نَفْسٌ وَعِرْقٌ يَنْبِضُ^(١)

يَا خَيْرَ مَنْ أَعْطَى وَأَكْرَمَ مَنْ عَفَا
رَبِّ اسْمُكَ (الْغَفَارُ) فَاعْفُ تَكَرُّمًا
عَبْدٌ بِضَاعَتِهِ الْكَلَامُ، جِهَادُهُ
يَدْعُو الْوَرَى لِلصَّالِحَاتِ، وَسِفْرُهُ
وَيَحِبُّ رَبَّ الصَّالِحِينَ، وَإِنْ أَكُنْ
لَكِنْ لَهُ قَلْبٌ يَحِبُّكَ كُلُّهُ
سِلْمٌ لِمَنْ وَالَاكَ، حَرْبٌ لِلْأَلَى
يَأْسَى لَهُمُ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْهُمْ
فَعَسَايَ يَشْفَعُ لِي إِلَهِي أَنِّي
أَنْتَ الَّذِي أَكْرَمْتَنِي مِنْذُ الصَّبَا
وَعَرَسْتَنِي فِي الدِّينِ مِنْذُ حَدَاثَتِي
وَرَزَقْتَنِي حَبَّ الْأَنَامِ تَفْضُلًا
وَعَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ مِنْ قَرْنِي إِلَى
فَاتِمَّ بِالْغَفَرَانِ فَضْلَكَ وَالرِّضَا
وَاحْشُرْنِي فِي رَكْبِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى
وَاجْعَلْ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي عَلَّمْتَنِي
وَارْزُقْنِي الْإِخْلَاصَ حَتَّى لَا أُرَى
وَأَتِمَّ بِالتَّوْفِيقِ مَا أَرْجُو، فَلَا
وَأَمْنٌ عَلَيَّ بِنَفْحَةٍ عُلُويَّةٍ
لَأُظِلَّ لِاسْمِكَ ذَاكِرًا وَمُسَبِّحًا
وَأَعِيشَ يَا رَبِّي لَدِينِكَ دَاعِيًا

(١) قصيدة مناجاة، انظر ديواننا: نفحات ولفحات ص ١٨٢، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١،

الله الشكور الحليم

من أسماء الله تعالى الحسنى، التي جاءت في القرآن وفي السنة، واقرنتا في بعض الآيات، ووصف الله تعالى بهما نفسه، ووصفه بهما رسوله الكريم، وأجمعت عليها الأمة: (الشكور الحليم)، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا أَللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعْفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٧، ١٨].

١- الشكور:

والشكور: صيغة مبالغة من اسم فاعل: شكر، يشكر، فهو شاكر، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ أَللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

ومعنى صيغة المبالغة: أنه تعالى يُكثِر من شكر عباده، وإن كان ما يقدمونه إليه قليلاً، ولكنه من فضله يضاعف العمل القليل من الحسنات، ويعفو عن الذنب الكثير، كما قال تعالى: ﴿لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]. فهو يغفر الكثير، ويشكر القليل.

والشكور من البشر قليلون، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

ولكن من فضل الله تعالى على عباده أن جمع لهم بين هذين الاسمين: اسم الشكور، واسم الحليم، أو بين هاتين الصفتين: صفة الشكر، وصفة الحلم.

الثناء على المرسلين بصفة الشكر:

لقد أثنى الله على بعض عباده من المرسلين وغيرهم بوصفهم بصفة الشكر، ومدحهم باسم الشاكر أو الشكور:

كما قال تعالى عن عبده نوح أول رسول أرسله إلى قوم مشركين، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال عن نبيه وخليته إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَّهُ وَهَدَنُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١].

وقال عن سليمان لما قدمت عليه ملكة سبأ المعرفة باسم بلقيس: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال سبحانه عن سليمان حين مر بوادي النمل بجنوده، وسمع النملة تقول للنمل: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فكان موقفه من هذا كما حكى القرآن: ﴿فَنَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وقال تعالى عن عبده لقمان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

ويطلب القرآن من الإنسان أن يشكر الله تعالى ولوالديه، فهما سبب حياته وتربيته، والوصول به إلى عهد قوته: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

وأوصى رسول الإسلام المعلم أن يشكر الإنسان إلى كل من أحسن إليه، ولا ينسى كل من قدم فضلاً إليه، ولذا قال ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١).

قال أبو حامد الغزالي: «الشكور: هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود، ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال: إنه شكر تلك الحسنة، ومن أثنى على المحسن أيضًا يقال: إنه شكر.

فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله ﷻ؛ لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة، فإن نعيم الجنة لا آخر له، والله ﷻ يقول: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

وإن نظرت إلى معنى الثناء، فثناء كل من على فعل غيره، والرب ﷻ إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه؛ لأن أعمالهم من خلقه، فإن كان الذي أعطى فأثنى شكورًا، فالذي أعطى وأثنى على المُعطي أحق بأن يكون شكورًا، وثناء الله تعالى على عباده كقوله:

(١) رواه أحمد (١٠٣٧٧)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وصححه، عن أبي هريرة.

﴿وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وكقوله: ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠، ٤٤] وما يجري مجراه، فكل ذلك عطية منه.
تنبيه:

العبد يتصور أن يكون شاكراً في حق عبد آخر، مرة بالثناء عليه بإحسانه إليه، وأخرى بمجازاته بأكثر مما صنعه إليه، وذلك من الخصال الحميدة، قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»^(١).

وأما شكره لله ﷻ، فلا يكون إلا بنوع من المجاز والتوسع، فإنه إن أثنى فثناؤه قاصر؛ لأنه لا يحصي ثناء عليه، وإن أطاع فطاعته نعمة أخرى من الله عليه، بل عين شكره نعمة أخرى وراء النعمة المشكورة، وإنما أحسن وجوه الشكر لنعم الله ﷻ ألا يستعملها في معاصيه، بل في طاعته، وذلك أيضاً بتوفيق الله وتيسيره في كون العبد شاكراً لربه»^(٢).

٢ - الحليم:

من أسمائه تعالى الحسنى، التي ذكرها وكررها القرآن العظيم، ونطقت بها وأكدها السنة النبوية، وأجمعت عليها أمة الإسلام: اسم (الحليم).

وقد ورد في القرآن إحدى عشرة مرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]، وقال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

(١) رواه أحمد (٧٥٠٤)، وقال مخرجه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وقال: حسن صحيح. عن أبي هريرة.
(٢) المقصد الأسنى ص ١٠٥، ١٠٦.

حلم الله تعالى على عباده:

و(الحليم) من الحلم، وهو ألا يعاجل المرء خصومه بالعقوبة المادية، ولا يشاححهم في حق له عليهم، فغير الحليم يعاملهم سيئة بسية، وضربة بضربة، إن لم تكن بضربتين، بخلاف الحليم الذي يتعامل مع الناس وكأنه خلق من طينة غير طينتهم، فهو يتسم وهم يغضبون، ويسامح وهم ينتقمون، ويطأطئ لهم ظهره وهم يركبون، شعاره قول الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥]، وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

فإذا كان هذا شأن عباد الله تعالى الذين مسهم شيء من الحلم الإلهي، الذي وسع عباد الله كلهم، فوسّعهم بطاعتهم ومعاصيهم، بعدلهم وظلمهم، فكيف به سبحانه؟!

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]. فانظر إلى هذا الفساد الذي أصاب الحياة العامة كلها في البر والبحر - والآن: في الجو أيضًا - وقد بينت الآية: أن كل هذا الذي أصاب الحياة والأحياء إنما هو ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾؛ فإن الله لا ينزل البلاء على الناس إلا بما قدمت أيديهم وبسوء أعمالهم، ﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ لا ليجزيهم بكل ما عملوا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١]،

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

إن الله لا يعاجل الناس بكل ظلمهم وبكل ما كسبوا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

ويعطي عباده فرصة بعد فرصة، عسى أن يتخلصوا من معاصيهم وموبقاتهم وما كسبت أيديهم، ويترك الناس يذكّر بعضهم بعضاً، وينهى بعضهم بعضاً عن أن ينزل عليهم ما يُعده الله من العقوبة للذين ظلموا أنفسهم، وتعدّوا حدود الله تعالى وحقوق الناس.

قال حجة الإسلام الغزالي: «الحليم: هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستفزه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

تنبيه:

حظ العبد من وصف الحليم ظاهر، فالحلم من محاسن خصال العباد، وذلك مستغنٍ عن الشرح والإطناب»^(١).

(١) المقصد الأسنى ص ١٠٣، ١٠٤.

الله القريب المجيب

من أسماء الله تعالى المذكورة والمقتربة في القرآن، الذي أيدته السنة، وأجمعت عليه الأمة، والتي تدل على صفاته سبحانه: القريب المجيب.

معنى القريب ومعنى المجيب:

والقريب ضد البعيد. ومعناه: أنه تعالى ليس ببعيد عن عباده كافة، مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، كما أن له قرباً خاصاً بعباده المؤمنين، فهو أقرب إليهم بفضلهم ورحمته، وببره ونعمه وإحسانه، ونصرته وعونه وتأيده.

والمجيب، هو: الذي يجيب نداء عباده إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

وقد ذكر القرآن هذين الاسمين (القريب المجيب) على لسان نبي الله العربي القديم صالح لقومه ثمود، في قوله تعالى: ﴿وَالْإِلَٰهَ تَعَالَىٰ﴾ وَأَخَاهُمْ صَلَاحًا قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾. هكذا بدأ صالح دعوته لقومه باعتباره أخاهم وواحدًا منهم، لا غريبًا عنهم،



فأول ما دعاهم إلى التوحيد الذي شارك فيه عدد من إخوانه الرسل: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ثم أخبرهم بأن هذه الأرض التي يعيشون عليها لهم بها صلة، وعليهم بها وظيفة مهمة، هي عمارتها بالإحياء والزراعة والصناعة والبناء والتجميل، ولهذا قال: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، فأصلهم من الأرض، فهي أمهم التي تعطف عليهم، ويحنُّون إليها، وقد طلب الله منهم عمارتها بكل ما تعنيه هذه الكلمة من الاستفادة من الأرض بكل ما فيها، ثم طلب من قومه أن يستغفروا الله تعالى ويتوبوا إليه، ولا يشرّدوا عنه، معللاً ذلك بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾.

وما جاء على لسان صالح - وعلى ألسنة الرسل جميعاً - مما يتعلق بالله تعالى: بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو عامٌّ لكل الرسل؛ لأن هذا مما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان، والحال وغيرها، وإنما هو أمر ثابت لله تعالى، فهو مستقر ومستمر أبد الدهر.

١ - القريب:

ولم يقرن هذان الاسمان معاً بهذه الصورة، إلا في سورة هود على لسان صالح عليه السلام، ولكن جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فكان عباد الله - حتى المشركون منهم، وهم عباده لا شك - يسألون: أ قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت الآية تجيبهم عما سألوا عنه^(١).

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٨٠/٣) وما بعدها.

ومن لطائف التعبير القرآني في الآية الكريمة: أن الذين سألوا النبي في أمور كثيرة ذكرها القرآن، كان القرآن يجيبهم بقوله: قل كذا وكذا. كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، إلى آخر هذه الآيات، ولكنه عَجَلَ في إجابة السائلين عنه هنا، قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: فقل: إني قريب، دلالة على أن قرب الله تعالى من عباده لا يحتاج إلى وسيط بينه وبينهم، فهو أقرب ما يكون إلى عباده.

قرب الله من عباده:

يصور القرآن الكريم العلاقة بين الله وعباده، بما يشعر بإزالة كل الحواجز والمسافات، بين الله وجميع عباده، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْوِسًا بِهٖ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. وحبل الوريد عِزْق مهم في العنق.

ويقول تعالى متحدثاً عن حالة الاحتضار: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۖ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٥].

معية الله العامة والخاصة:

ويصور القرآن أيضاً هذا القرب الإلهي في صورة (المعية)، وهي معية عامة لكل الناس، فالله معهم جميعاً بالعلم والإحاطة، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْبِغُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]. فهذه معية تشمل جميع

الناس، آمنوا أو كفروا، أحسنوا أو أسأؤوا، أطاعوا أو عصوا. كما قال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].

ثم هناك المعية الخاصة لعباد الله المؤمنين والمتقين والصادقين، كما قال تعالى يخاطب الكافرين: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]. فهم عباد الله الذين كانوا معه سبحانه بالتقوى، وكانوا مع عباده بالإحسان. وهذه المعية تأييد وعون ونصر من الله.

وقال تعالى في خطاب أهل الإيمان: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥].

وحين أرسل الله موسى وأخاه هارون إلى مدعي الربوبية فرعون، فقال: ﴿ أَذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ ﴿ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴾ ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٦]. فكانت هذه المعية الإلهية مطمئنة لقلبي الرسولين الكريمين.

ولذلك حين أتبع فرعون وجنوده بني إسرائيل حين عزموا على مغادرة مصر ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ خَشِيرِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٣ - ٥٦]، ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٠ - ٦٢].

هنا وقعت الملحمة الكبرى: حين تقارب الجمعان: جمع فرعون الطاغية المستكبر ومن معه من الجنود والأنصار، وجمع موسى ومن معه

من بني إسرائيل الشرذمة القليلين المطاردين، الذي أصبح البحر أمامهم، والعدو من خلفهم، فلذا قالوا في استسلام وأسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾. سيدركنا الأعداء لا محالة، ويُعملون فينا السيوف؛ وهنا تجلى إيمان موسى، الذي وقف كالطود لا يتزحزح، قائلاً لقومه: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ هذا هو موقف المؤمن الذي لا يتخلى عن الإيمان بأن ربه قريب منه، بل هو معه، سيهديه كيف يتصرف في مقاومة هؤلاء الطغاة. صحيح أن عددهم أكثر أضعاف المرات من أعداد قومه، وقوم موسى ليس معهم سلاح ولا عدة، وهؤلاء معهم عددهم وأسلحتهم، ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

وقد هداه الله إلى الوسيلة، وكانت آية من آيات الله الكبرى، أن يضرب بعصاه البحر الكبير، وماذا تغني عصا في ضرب البحر؟ ولكنها قدرة الله تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿[الشعراء: ٦٣ - ٦٨].

ونحو معية الله لموسى كانت معية الله لمحمد ﷺ، حين كان في الغار، ووصل إليه المشركون، الذين يبحثون عنه في كل مكان، حتى انتهوا إلى الغار، وقد قال رفيق الرسول أبو بكر لنبه ﷺ: يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، قال: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!»^(١). وقال القرآن على لسان الرسول ﷺ لأبي بكر: لا تحزن إن الله معنا، وسجل ذلك في هذه الآية الخالدة: ﴿إِلَّا نَنْصُرْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٦٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٦٣١٩)، عن أبي بكر الصديق.

اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة: ٤٠].

وتصوّر السنة النبويّة قُربَ الله تعالى من عباده المؤمنين بهذه الأحاديث الصحيحة:

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ - أَيُّ: أَشْفَقُوا عَلَيْهَا وَارْفَقُوا بِهَا وَلَا تَرْهَقُوهَا عَسْرًا - فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ». وفي لفظ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبَ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(١).

والحديث الثاني متفق عليه أيضًا؛ رواه البخاري ومسلم: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرُولًا»^(٢).

وروى أحمد عن أنس عن رسول الله ﷺ، في الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العزة: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُكَ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - أَوْ: فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ - وَإِنْ دَنَوْتُ مِنِّي شَبْرًا، دَنَوْتُ مِنْكَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٩٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة.

ذراعًا، وإن دنوت مني ذراعًا، دنوت منك باعًا، وإن أتيتني تمشي أتيتك أهول»^(١).

فانظر كيف يتعامل الله مع عباده، يكافئهم بأضعاف ما يتقربون به إليه، فإن ذكروه في أنفسهم، ذكرهم في نفسه، وأين مقامهم من مقام رب العباد؟ وإن ذكروا ربهم في ملاء، ذكرهم الله في ملاء خير منهم، في ملائكته الذين يسبحون بحمد ربهم، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، هذا الملاء أكثر عددًا، وأعظم منزلة، وأكد قربى من الله.

وإذا تقرب الإنسان إلى ربه قليلاً، تقرب ربه إليه كثيرًا، الشبر بذراع، والذراع بباع، والمشي من العبد يقابل بالهرولة من الله، وهذا من باب التمثيل، تعالى الله عن أفعال العباد التي لا تليق بذاته جل وعلا، ولكنه يكلمنا بلغتنا، ويقرب الأمر إلينا حتى نفهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥].

٢ - المجيب:

والمجيب هو الاسم الثاني الملتصق بالأول (القريب).

والمجيب، هو: الذي يجيب نداء عباده إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعّوه، فيخرجهم من الظلمات إلى النور، ويغيث لهفاتهم، ويفرّج كرباتهم، ويكشف عنهم الهمم والغم، ويسارع بإطعام الجائع، وسقاية

(١) رواه أحمد (١٢٤٠٥)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٧٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦٠٤٩): رجاله رجال الصحيح.



الظمآن، وقضاء حاجة المحتاج، ومسح دمة المحزون، وكثيراً ما يقلب الحال تماماً، فيصبح الفقير غنيّاً، والضعيف قويّاً، والأسير محرّراً، والمغلوب غالباً، والمهزوم منتصراً، والمستضعف أميراً، بل ملكاً.

قال الإمام أبو حامد الغزالي: «المجيب هو الذي يُقابل مسألة السائلين بالإسعاف، ويقابل دعاء الداعين بالإجابة، ويُقابل ضرورة المضطرين بالكفاية، بل يُنعم قبل النداء، ويتفَضَّل قبل الدعاء، وليس ذلك إلا الله وَجَلَّ، فإنه يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم، وقد علمها في الأزل، فدبّر أسباب كفاية الحاجات بخلق الأطعمة والأقوات، وتيسير الأسباب والآلات الموصلة إلى جميع المهمات»^(١).

ومما يجيبه تعالى: الدعوات؛ بالهداية من الضلال، والإنقاذ من الكفر والفسوق والعصيان والعقوبة على معاصي العصاة، وتقريب البعداء عن الله تعالى، وإدخالهم في أولياء الله تعالى الصالحين، فالقرآن والسنة مليئان بنماذج كثيرة من هذا النوع.

مجيب الدعوات:

فهو سبحانه مجيب لدعوة الداعي إذا دعاه، والشاكي إذا اشتكى إليه، فمن حق العبد أن يشكو إلى ربه ما نزل به من محن وهموم، وأثقال وأمراض، وليس هذا عيباً كما زعمه بعض غلاة الصوفية، الذين قال بعضهم: لا أشكو إلى الناس، ولا أشكو إلى الله! الناس فقراء وضعفاء مثلي، وربما كانوا أفقر وأضعف مني، فكيف يشكو الفقير إلى من هو مثله أو أفقر منه؟ وكيف يشكو الضعيف إلى من هو مثله أو أضعف منه؟

(١) المقصد الأسنى ص ١١٨.

وأما الشكوى إلى الله، فعلمه بحالي يغني عن سؤالي، ولذا قال شاعرهم يندد بالشكوى:

ويمنعني الشكوى إلى الناس أنني
ويمنعني الشكوى إلى الله أنه
عليلٌ ومن أشكو إليه عليلٌ
عليماً بما أبدي وما سأقول^(١)

لكن الشكوى تعبر عن ضعف الإنسان، وحاجته وافتقاره إلى ربه، وليس هذا اعتراضاً عليه، بل هذا تضرع له، وابتهاال إليه، وإلقاء العبد بحاجته إلى مولاه. ولذلك حين اعترض أبناء يعقوب على أبيهم في حزنه على يوسف، وقالوا: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ [يوسف: ٨٥، ٨٦].

ولذلك لجأ الناس إلى الشكوى، كما قال الشاعر:

ولا بدُّ من شكوى إلى ذي مروة يواسيك أو يسليك أو يتوجع^(٢)!
وقال الآخر:

شكوتٌ وما الشكوى لمثلي عادةً ولكن تفيض الكأس عند امتلائها^(٣)!

ولقد اشتكى سيدنا أيوب إلى ربه كما حكى عنه القرآن: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

(١) البيتان بلفظ مقارب للأمير تميم بن المعز العبدي، كما في زهر الآداب للحصري القيرواني (٤٨٢/٢) نشر دار الجيل، بيروت.

(٢) من شعر بشار بن برد، كما في نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (٨٠/٣)، نشر دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ.

(٣) من شعر أبي تمام، كما في نهاية الأرب (٨٤/٦).

وسيدنا يونس ذو النون دعا ربه حين خرج مغاضباً قومَه، وركب في سفينة، فكادت السفينة من كثرة من ركبها تهتز للغرق، فعملوا قرعة بالسهم لمن يقع عليه الحظ، فهالك يُرمى في البحر، لينقذوا بقية الركاب، وفعلوا ذلك أكثر من مرة، كل مرة يقع السهم على يونس، فألقوه في البحر ﴿فَالْقَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢]. كان لقمة واحدة من لُقَم الحوت الضخم، فمن الحيتان ما يبلغ طوله أكثر من عشرين متراً. فنادى يونس في الظلمات التي هو فيها: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. هذه الكلمة الوجيزة تضمنت ثلاثة أمور مهمة قررها يونس: أولها التوحيد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾. والثانية: التسبيح والتنزيه، فلا ظلم منه ﴿سُبْحَانَكَ﴾. والثالثة: الاعتراف، وقد قيل: الاعتراف يهدم الاقتراف ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. وهكذا اعترف آدم وزوجه حين أكلا من الشجرة المنهي عنها ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فاستجاب الله لهما وغفر لهما وتقبل لهما، وكذلك استجاب ليونس، وأخرجه من بطن الحوت، ألهم الله الحوت أن يلفظه، فلفظه من بطنه إلى الفضاء، إلى الأرض، ﴿فَبَذَلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٥ - ١٤٧].

وقال النبي ﷺ: «دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله عنه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾» [الأنبياء: ٨٧]^(١).

(١) رواه أحمد (١٤٦٢)، وقال مخرجه: إسناده حسن. والترمذي في الدعوات (٣٥٠٥)، والحاكم في الدعاء (٣٨٢/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

الله هو المجيب لدعوات الداعين من المكروبين والمستضعفين والمحزونين، والمرضى، والمعذَّبين في الأرض، والأسرى في أيدي الجبابرة المستكبرين، إذا لجأ هؤلاء إلى ربهم الأعلى، الذي خلق فسوّى، والذي قدّر فهدى، ودعوه بحرارة وإخلاص، يصدران من أعماق قلوبهم، ومن سويداء ضمائرهم، ومن شدة حاجتهم إلى عون ربهم، فسرعان ما يأتي جواب الله بالنصر للمخذول، والشفاء للمريض، والنجدة للمكروب، والإغاثة للملهوف، والسراء للمحزون، والإجابة للمضطرين ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

حين دعا نوح ربه، حين يئس من قومه بعد ألف سنة إلا خمسين عامًا، قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ * إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَضْلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٨].

وقد دعا ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِرَ * تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ [القمر: ١٠ - ١٤].

وهكذا استجاب الله دعوة نوح، فأهلك قومه بالطوفان الذي جاء بالماء مما ينزل من السماء، ومما تفيض به الأرض، حتى هلك القوم، إلا من كان مع نوح والمؤمنين به من أصحاب السفينة، التي كتب الله لركابها النجاة. وكان هذا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنَعْمَ الْمَجِيبُونَ﴾ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ * سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٥ - ٧٩].

وكل نبيِّ دعا على قومه من المشركين المكذِّبين، الذين رفضوا رسالة الرسل، وسخروا منهم ومن المؤمنين معهم، كما قال قوم نوح: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

وذهب المستكبرون المتغطرسون بكبريائهم وغطرستهم، واستصغارهم للآخرين من المؤمنين، الذين ظلوا مستمسكين بالعروة الوثقى لا انفصام لها، يدعون الله تعالى أن يُعلي كلمتهم، ويرفع رايتهم، ويخزي أعداءه وأعداءهم، والنتيجة دائماً واحدة: أن الله يجيب دعاء المؤمنين، ويرد دعاء الظالمين ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤، غافر: ٥٠].

قد يجيب الله تعالى دعاء المشركين إذا وقعوا في مصيبة نزلت بهم، ولم يجدوا أمامهم إلا الله تعالى، فذاب الطلاء الكاذب الذي ظلوا به أنفسهم، وغطَّوا به فطرتهم، دعوا الله مخلصين له الدين أن ينجيهم من الكرب الذي هم فيه، فيستجيب الله نداءهم، وينقذهم من بليتهم، وللأسف سرعان ما يرجعون إلى عادتهم، بعد ما يرتفع البأس. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِمِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

إجابة دعاء المظلومين:

والله تعالى يجيب الدعاء من كل من يدعوه بإخلاص، لكنه ما أسرع ما يستجيب للمظلومين، الذين يسألون ربهم أن يجيرهم من أذى ظالمهم وجبروتهم عليهم! ولذلك روى الترمذي عن أبي هريرة قال:

«ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر - أو حتى يفطر - ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام، وتُفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب **وَعَجَّلْ** : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»^(١).

وكان السلف يحذرون من اثنتين: دمة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنهما تسريان بالليل والناس نيام، وقال الشاعر:

سِهامُ اللَّيْلِ صائِبَةٌ المَرَامِي إِذَا وُتِرَتْ بِأَوْتَارِ الخُشُوعِ!
يُفَوِّقُهَا إِلَى المَرْمَى رِجَالٌ يُطِيلُونَ السُّجُودَ مَعَ الرُّكُوعِ!
إِذَا أُوتِرْنَ ثَمَ رَمَيْنَ سَهْمًا فَمَا يُغْنِي التَّحَصُّنُ بِالدُّرُوعِ!^(٢)

وهو **وَعَجَّلْ** يجيب الدعاء بالطريقة التي يحبُّها، فمن الناس من يطلب من الله حاجة نفسه؛ قضاء دين، أو زواجًا موفقًا، أو ولدًا صالحًا، أو مالًا وفيرًا، أو صحة جيدة، أو علمًا نافعًا، أو عملاً صالحًا: حجًا أو عمرة أو جهادًا، أو نصرًا على الظالمين، أو إهلاكًا للطاغين، أو غير ذلك من الأمور، فيستجيب الله دعوته، يدبرها له في الحال، أو بعد زمن قليل، وكلُّ الدنيا زمنٌ قليل.

ومنهم من يَكْفُ عنه من نوازل الدهر، وعوادي السوء، ومصائب الأيام، ما كان يمكن أن ينزل به، يتقبل الله دعوته، لا بنفسها، ولكن بما يرُدُّه عنه من بلاء كاد يقع فيه.

(١) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرجه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

(٢) القائل هو إبراهيم الدسوقي صاحب الضريح المشهور في مصر، كما في روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين للشيخ أحمد بن محمد الوتري ص ٥٠، نشر المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

ومنهم من يدّخر له ثواب دعوته في الآخرة.

فالداعي إذا لا يخسر من دعائه أبداً، بل هو فائز بأداء هذه العبادة العظيمة، التي اعتبرها الرسول المعلم هي العبادة، كما قال: «الدعاء هو العبادة. اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾» [غافر: ٦٠] ^(١).

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها أثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها». قالوا: إذا نكثَر (أي: من الدعاء). قال: «الله أكثر» ^(٢). أي: أنتم تكثرون من الدعاء، والله يكثّر من الإجابة كما يشاء، وكلها رابحة، وكلها من عند الله، والله خير وأبقى.

حظ العبد من هذا الاسم (المجيب):

يقول الغزالي: «العبد ينبغي أن يكون مجيباً؛ أولاً: لربه تعالى فيما أمره ونهاه، وفيما ندبه إليه ودعاه، ثم لعباده فيما أنعم الله ﷻ عليه بالاعتقاد عليه، وفي إسعاف كل سائل بما يسأله إن قدر عليه، وفي لطف الجواب إن عجز عنه، قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

(١) رواه أحمد (١٨٣٥٢)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٧٤٩)، والترمذي في التفسير (٢٩٦٩)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه أحمد (١١١٣٣)، وقال مخرجه: إسناده جيد. والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، والحاكم في الدعاء (٤٩٣/١)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجوا للرفاعي. ووافقه الذهبي.

وقال رسول الله ﷺ: «لو دُعيت إلى كراع لأجبتُ، ولو أهدي إلي ذراعٌ لَقَبِلْتُ»^(١). وكان حضوره الدعوات، وقبوله الهدايا: غاية الإكرام والإيجاب منه، فكم من خسيس متكبر يترفع عن قبول كل هدية، ولا يتبدّل في حضور كل دعوة، بل يصون جاهه وكبره، ولا يبالي بقلب السائل المستدعي وإن تأذى بسببه، فلا حظ لمثله في معنى هذا الاسم»^(٢).

* * *

(١) رواه البخاري في النكاح (٥١٧٨)، وأحمد (١٠٢١٢)، عن أبي هريرة.

(٢) المقصد الأسنى ص ١١٨، ١١٩.

اللهُ الْغَفُورُ الْوَدُودُ

ومن أسمائه تعالى الحسنى ما ذكره القرآن العظيم في سورة البروج بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]. وما ذكره تعالى في سورة هود، في قول نبيه شبيب عليه السلام، لقومه: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]. مما يدل على أن الأنبياء من قبل موسى وعيسى ومحمد، كانوا يدعون أقوامهم إلى الله تعالى غير غافلين عن أسمائه تعالى، ومنها: الودود.

١ - الغفور:

و(الغفور) صيغة مبالغة من اسم فاعل: غفر يغفر غَفْرًا وَغُفْرَانًا، جاء على وزن فعول، كما أن في أسمائه سبحانه: الشكور والصبور.

وجاء وصف المغفرة بالمبالغة أيضًا على وزن فعّال، كما في اسم (الغفار)؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص: ٦٦]، وقد تكرر (غفار) في القرآن بصيغة النصب، كما تكررت صيغة الغفور، نكرة ومعرفة، وتكررت بالنصب.

وصيغة المبالغة هذه جاءت لكثرة ما يغفر من الذنوب، وإن كانت كبائر، حتى الكفر والشرك إذا تاب المرء منه غفر الله له، كما قال تعالى:

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال وَجَلَّ يَخاطب رسوله: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]. أي: يغفرها بالتوبة النصوح، أما بغير التوبة، فكل الذنوب قابلة للمغفرة والستر والتغطية من الله سبحانه، إلا الشرك الأكبر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]. وفي آية أخرى في السورة نفسها قال: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا ﴾ [النساء: ١١٦].

فهو سبحانه يغفر الذنوب كلها ما عدا الشرك، يغفر كبيرها وصغيرها، وظاهرها وخافئها، وخصوصًا بعد الاستغفار. كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]. وهذا من عهد آدم عليه السلام، حين استغفر ربه، فغفر له، وتاب عليه وهدى، ونوح قال لقومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠].

كما أن سعة المغفرة جاءت لسرعة المغفرة من الله، بأن يستجيب الله تعالى للمستغفرين، فأحيانًا يغفر لهم، إذا كان استغفارهم مصحوبًا بندم وتوبة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود: ٣].

وأحيانًا يجيب المستغفرين إذا استغفروا، وإن لم يكن مع الاستغفار توبة، ولكنه استغفار صادق، ومن قلب مكلوم بالمعصية، وإن لم يتخلص منها تمامًا، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وتارة يغفر سبحانه ذنوب المؤمنين بمجرد أعمال صالحة،
يقدمونها لله ليغفر لهم بها تلك السيئات التي اقترفوها، كما قال
تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النِّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبْنَ
السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. وقال ﷺ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ
تَمْحُهَا»^(١).

وأحياناً تنزل المصائب بالعبد عن يمين وشمال، فلا يئس من روح
الله، ولا يقنط من رحمته، بل يكل أمره إليه، وربما كان له كثير من
السيئات المتراكمات، يغفرها الله له. كما قال ﷺ: «ما من مسلم يصيبه
نَصَبٌ وَلَا وَصَبٌ، وَلَا هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، وَلَا أَذَى وَلَا غَمٌّ، حَتَّى الشُّوْكَةُ
يُشَاكَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢).

وصيغة المبالغة هنا أيضاً في السرعة التي يمحو الله بها الذنوب،
فهو سبحانه بمجرد توبة العبد الصادقة، يجعل الله تعالى سيئاته حسنات،
كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَدِيقًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ
اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، وقال تعالى:
﴿إِن يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ
مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. فبمجرد أن يجتنب المؤمن الكبائر والموبقات
من الذنوب، مبتعدين عنها مقتصرين على الصغائر، فإن الله تعالى يمحو
هذه الصغائر، ويدخلهم مدخلاً كريماً.

(١) رواه أحمد (٢١٤٠٣) وقال مخرجه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلوة (١٩٨٧) وقال:

حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي،
وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المرضي (٥٦٤١)، ومسلم في البر والصلوة (٢٥٧٣)، عن
أبي سعيد الخدري وأبي هريرة.

وكما أن الله وَجَّكَ يتعامل مع عباده بصيغ المبالغة المعروفة مثل الغفور والغفار، فهو أحياناً يستعمل صيغاً أخرى غير هذه، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

فهو سبحانه واسع المغفرة، وواسع الرحمة، وسعت رحمته كل شيء، ووسعت مغفرته كل ذنب ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى في الحديث القدسي المعروف: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم»^(١). رواه مسلم عن أبي ذر عن الرسول عن ربه سبحانه.

ومن أسمائه تعالى (غافر الذنب) كما قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

اقتران اسمي الغفور والغفار بالأسماء الملائمة:

وقد ذكر القرآن اسمي الغفور والغفار مقترنين بالأسماء الملائمة، مثل (الغفور الرحيم)، و(الغفور الحليم)، و(الغفور الشكور)، و(الغفور الودود)، و(العزیز الغفور)، و(العزیز الغفار)، و(الرب الغفور)، وكذلك يذكره مع الأسماء أو الأفعال المقابلة له، ليتوازن الرجاء والخوف في نفس المسلم، كما في قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]. وأكثر ما نرى اسم الغفور والغفار مقروناً باسم الرحيم في عشرات المواضع.

(١) سبق تخريجه ص ١٦٧.

وقد ذكر القرآن اسم الغفور مرفوعاً أو مجروراً في (٧١) موضعاً، وذكره منصوباً في (٢٠) موضعاً.

اقرأ قوله تعالى: ﴿ تَزُلَا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٢]، وقوله: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٦]، ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨]، ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٠]، ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢]، ﴿ كُلُوا مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبا: ١٥]، ﴿ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٠]، ﴿ وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً نَّزَّلَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: ٢٣]، ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ ﴾ [الكهف: ٥٨]، ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ [سبا: ٢]. وهو هنا قدّم الرحيم على الغفور على غير المعتاد، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦]، المستغفر هو موسى. ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ﴾ [الحج: ٦٠]، ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ﴾ [المجادلة: ٢]، ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢].

وفي حالة النصب لاسم (الغفور) نجد مثل قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٥]،

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

واسم الغفار قد جاء على لسان مؤمن آل فرعون حين قال: ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ﴾ [غافر: ٤٢].

قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «الغفار: هو الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة. والغفر هو الستر.

وأول ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه، مغطاة بجمال ظاهره، فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة، وفي القبح والجمال، فانظر ما الذي أظهره، وما الذي ستره!!

وستره الثاني أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة سر قلبه حتى لا يطلع أحد على سره، ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله في مجاري وسواسه وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة، وسوء الظن بالناس لمقتوه، بل سعوا في تلف رُوحه وأهلكوه، فانظر كيف ستر عن غيره أسرارهِ وعوراتهِ؟!

وستره الثالث مغفرته ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملائكة الخلق، وقد وعد أن يبدل سيئاته حسنات، ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته، مهما مات على الإيمان»^(١).

(١) المقصد الأسنى ص ٨٠.



ومما قرضتُ قديمًا من الشعر، أناجي به ربي الغفار سبحانه، أن
يستر سوءتي، ويغفر زلّتي، هذه الأبيات:

يا مَنْ له تعنو الوجوه وتخشعُ
أَعْنُو إِلَيْكَ بِجَبْهَةٍ لَمْ أَحْنِهَا يَوْمًا
وإِلَيْكَ أَبْسُطْ كَفًّا لَمْ تَكُنْ
أَنَا مِنْ عَلِمْتَ الْمَذْنِبُ الْعَاصِي الَّذِي
كَمْ سَاعَةٍ فَرَّطْتَ فِيهَا مَسْرِفًا
كَمْ بَتْ لَيْلِي كُلَّهُ مُثَاقِلًا
كَمْ بَالٍ فِي أَذْنِيَّ شَيْطَانُ الْكَرَى
كَمْ زِينَتْ لِي النَّفْسُ سُوءَ فَعَالِهَا
كَمْ وَسْوسَ الْخَنَاسُ فِي صَدْرِي، فَلَمْ
كَمْ أَقْرَأُ الْآيَاتِ لَوْ نَزَلَتْ عَلَى
مَا لِي أَرَدُّ وَعَدَهَا وَوَعِيدَهَا
كَمْ مِنْ نَفُوسٍ بِالْهَدَى ذَكَّرْتُهَا
أَيَقْظُتْهَا لِلْخَيْرِ حِينَ تَرَكْتُني
يَا حَسْرَتَا! أَعْظُ الْأَنَامَ، فَلَيْتَنِي
يَا رَبِّ حَكَمْتَكَ اقْتَضَتْنِي مَذْنِبًا
فَتَرَى عُبَيْدَكَ تَائِبًا مُسْتَغْفَرًا
أَنَا إِنْ عَصَيْتُ فَذَاكَ مِنْ نَقْصِي، وَمَنْ
يَا رَبِّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي مِنْ طِينَةٍ
لَوْلَا هُدَاكَ وَنَفْخَةُ عُلُويَّةٍ
فِيهَا أَصُولٌ عَلَى الثُّرَابِ تَرْفَعًا

ولأمره كلُّ الخلائق تخضعُ
إِلَّا لَوْجْهَكَ سَاجِدًا أَتَضَرَّعُ
يَوْمًا لِغَيْرِ سَوْالٍ فَضْلِكَ تُرْفَعُ
عَظُمْتُ خَطَايَاهُ، فَجَاءَكَ يُهْرَعُ
وَأَضَعْتُهَا فِي زَائِلٍ لَا يَنْفَعُ
وَذُووُ التَّقَى حَوْلِي قِيَامٌ رُكَّعُ
فَإِذَا الصَّبَاحُ عَلَى نَوْومٍ يَطْلُعُ
فَاطْعَتَهَا ضَعْفًا، وَبِئْسَ الطَّيْعُ
يَجِدُ الَّذِي يَعْلُو قَفَاهُ وَيَصْنَعُ
شُمَّ الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا تَتَصَدَّعُ
مَا رَقَّ قَلْبِي أَوْ جَرَى لِي مَدْمَعُ؟!
فَمَضَتْ كَمَا يَمْضِي الْجَوَادُ الْمَسْرَعُ
فِي غَفْلَةِ الدُّنْيَا أَتَيْهُ وَأَرْتَعُ
نَفْسِي وَعَظْتُ، فَوَعِظْتُ نَفْسِي أَنْفَعُ!
لَأَجِيءَ بِأَبْكَ أَسْتَجِيرُ وَأَضْرَعُ
وَأَرَاكَ غَفَّارًا لَذَنْبٍ يُفْطَعُ
غَيْرُ الْإِلَهِ لَهُ الْكَمَالُ الْأَرْفَعُ؟
وَمَنْ الَّذِي لِأَصُولِهِ لَا يَنْزَعُ؟
أَوْدَعْتُهَا رُوحِي لَكَانَ الْمَضْرَعُ
وَبِهَا أَحْلَقُ حِينَ تَصْفُو الْأَضْلَعُ

الطينُ يجذبُنِي إليه بشدَّةٍ والرُّوحُ تُصعِدُنِي إليك وترفعُ
فإذا ارتقيتُ إلى رِضَاكَ فغاييتي وإذا هبطتُ فدائمًا أَتَطَلَّعُ^(١)

٢ - الودود:

اسم (الودود) اسم من أسمائه تعالى الحسنی، وهو صيغة مبالغة من اسم فاعل وَدَّ يَوَدُّ، بمعنى أَحَبَّ يُحِبُّ.

والودود هو: الكثير الحب، والعميق الحب. وهذا من الأسماء الدالة على جمال الذات الإلهية، وكرمها وفضلها، وقد ورد هذا الاسم في القرآن في سورة البروج، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج: ١٢ - ١٤]، وفي سورة هود على لسان شعيب حين قال لقومه: ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

الذين يحبهم الله:

الله سبحانه ودود يحب عباده المؤمنين، الذين ذكرهم في كتابه، فهو يحب التَّوَّابِينَ، ويحب المتطهِّرين، ويحب المتّقين، ويحب المحسنين، ويحب المتوكلين، ويحب الصابرين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص، ويحب المنكسرين منهم، ويحب من عبده أن يكون ودودًا، وأن يُؤَادَّ عباده المؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

ويذكر القرآن هذه الآية الكريمة ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ٧]. فهو ينبِّهنا أنه تعالى يحب

(١) ديوان نفحات ولفحات ص ١٦٨.

أن تكون المودة والمحبة هي السائدة بينهم وبين خصومهم المشركين، كما يذكر القرآن عدم مودة المؤمنين لمن حادَّ الله ورسوله؛ كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فالودود كما ذكره الغزالي: «هو الذي يحب الخير للخلق، فيُحسن إليهم، ويُثني عليهم، وهو قريب من معنى الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو المحتاج أو المضطر، وأفعال الرحيم تستدعي مرحومًا ضعيفًا، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود، وكما أن معنى رحمته تعالى إرادته الخير للمرحوم، وكفايته له، وهو منزّه عن رقة الرحمة، فكذلك وده إرادته الكرامة والنعمة، وإحسانه إنعامه، وهو منزّه عن ميل المودة؛ لكن المودة والرحمة لا تُرَادَّان في حق المرحوم والمودود إلا لثمرتهما وفائدتهما، لا للرفقة والميل؛ فالفائدة هي لباب الرحمة والمودة وروحهما، وذلك هو المتصور في حق الله ﷻ، دون ما هو مقارن لهما وغير مشروط في الإفادة»^(١).

والحقيقة: أن الرحمة والمحبة والود وأمثالها، حين تضاف إلى الله تبارك وتعالى، ويوصف بها سبحانه؛ فإنها تطلق عليه بما يليق بكماله، في ذاته وصفاته، ولا تلحقه شائبة مما يوصف به الخلق، إذا وصفوا بهذه الأوصاف، من المودة أو من المحبة أو من الرحمة، أو من غيرها مما يُشبهها، كما نصفه تعالى بالسمع والبصر، وهو السميع البصير، ولكن سمعه وبصره ليس كسمعنا وبصرنا، وكذلك علمه ليس كعلمنا، وقدرته ليست كقدرتنا، وإرادته ليست كإرادتنا ﷻ.

(١) المقصد الأسنى ص ١٢٢.

فإذا وصفنا الله تعالى بالرحمة السابغة أو الواسعة أو بما يشبههما من الصفات التي تنسب لله تعالى في القرآن والسنة، وجاءت على السنة رسله - خاصة أولي العزم منهم - فلا يخطر ببالنا أن يوصف الله بما يوصف به الخلق عندما يرحمون من الرقة والضعف والبكاء من أجل هؤلاء.

حظ الإنسان من اسم الودود:

نَبَّه الغزالي إلى حظ الإنسان من اسم الودود فقال: «الودود من عباد الله من يريد لخلق الله كل ما يريده لنفسه، وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه، كما قال واحدٌ منهم: أريد أن أكون جسرًا على النار يعبر عليّ الخلق ولا يتأذون بها.

وكمال ذلك ألا يمنعه عن الإيثار والإحسان الغضب والحقد، وما ناله من الأذى، كما قال رسول الله ﷺ، حيث كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ (أي: في غزوة أحد)، وأُذْمِي وجهه وضرب: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١). فلم يمنعه سوء صنعهم عن إرادة الخير لهم. وكما أمر ﷺ عليًا رضي الله عنه، حيث قال: «إن أردت أن تسبق المقرّبين، فصل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك»^(٢)»^(٣).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٢)، عن ابن مسعود.

(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٢٢)، وقال: ذكره رزين بن العبدري ولم أره. وقال الألباني في الصحيحة (١٩١١): رواه أبو عمرو بن السماك في حديثه (١/٢٨/٢)، وصححه إسناده.

(٣) المقصد الأسنى ص ١٢٢، ١٢٣.

اللَّهُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفْوُ

من أسماء الله تعالى أسماء مزدوجة، يكمل أحدهما معنى الآخر،
فيدلان معًا على كمال القُدْرَةِ، وَتَمَامِ الْحِكْمَةِ، كالمقدم المؤخّر،
والقابض الباسط، والمعز المذل، والمنتقم العفو.

ولا يصح إطلاق الاسم الذي لا يدل على الحسن من هذه الأسماء
إلا باعتبار جمعه مع ضده، أو تقييده بما يظهر حسنه، فلا يقال: الله ضار،
أو مذل، أو هو القابض، أو المانع، إلا مع أضدادها، فيقال: الله النافع
الضار، المعز المذل، القابض الباسط، المعطي المانع. أو يذكر مقيّدًا بما
يظهر حسنه، فيقال: الله مذلّ المتجبرّين، الله منتقم من المجرمين، الله
عزيز ذو انتقام.. إلخ.

فلا يُفرد الاسم المانع عن قرينه، ولا الضار عن قرينه؛ لأن اقترانهما
يدل على العموم.

وكل ما في الوجود من رحمة ونفع ومصلحة فهو من فضله تعالى،
وما في الوجود من غير ذلك فهو من عدله، فكل نعمة منه فضل، وكل
نقمة منه عدل، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «يمين الله
ملأى، لا يغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق
السموات والأرض؟ فإنه لم يُغض ما في يمينه، وبيده الأخرى القسط

يخفض ويرفع»^(١). فأخبر أن يده اليمنى فيها الإحسان إلى الخلق، ويده الأخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض ويرفع فخفضه ورفعته من عدله وإحسانه إلى خلقه من فضله^(٢).

وهذا ما عليه عمل المسلمين، فنجد الناس يسمون (عبد النافع)، ولا يسمون (عبد الضار)، يسمون (عبد المعز)، ولا يسمون (عبد المذل)، ويسمون (عبد المعطي) ولا يسمون (عبد المانع)، ويسمون (عبد العفو) ولا يسمون (عبد المنتقم).

يقول الإمام ابن القيم: «أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره، وهو غالب الأسماء، كالقدير والسميع والبصير والعزیز والحكيم، وهذا يسوغ أن يدعى به مفردًا ومقترنًا بغيره، فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم. وأن يفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه، بما يسوغ لك الأفراد والجمع.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقرونًا بمقابله، كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله، فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به: أنه المنفرد بالربوبية، وتدبير الخلق، والتصرف فيهم عطاءً ومنعًا، ونفعًا وضرًا، وعفوًا وانتقامًا.

وأما أن يُثنى عليه بمجرّد المنع والانتقام والإضرار، فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤١١)، ومسلم في الزكاة (٩٣٣)، عن أبي هريرة.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩٥/٨).

فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت، جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تطلق عليه إلا مقترنة، فاعلمه. فلو قلت: يا مذلُّ، يا ضارُّ، يا مانع. وأخبرت بذلك، لم تكن مثنيًا عليه، ولا حامدًا له، حتى تذكر مقابلها»^(١).

١ - المنتقم:

اسم (المنتقم) لم يَجْئ هكذا مفردًا في القرآن الكريم، وإنما جاء في حديث أبي هريرة الذي فيه ذكر الأسماء التسعة والتسعين، والذي اتفق المحدثون على ضعفه، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية أن المنتقم ليس من الأسماء الحسنى، قال: «واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي ﷺ، وإنما جاء في القرآن مقيَّدًا كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]. والحديث الذي في عدد الأسماء الحسنى الذي يذكر فيه المنتقم فذكر في سياقه: «البر التواب المنتقم العفو الرؤوف»^(٢). ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ، بل هذا ذكره الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز أو عن بعض شيوخه؛ ولهذا لم يروه أحد من أهل الكتب المشهورة إلا الترمذي، رواه عن طريق الوليد بن مسلم بسياق، ورواه غيره باختلاف في الأسماء وفي ترتيبها يبين أنه ليس من كلام النبي ﷺ. وسائر من روى هذا الحديث عن أبي هريرة، ثم عن الأعرج، ثم عن أبي الزناد لم يذكروا أعيان الأسماء، بل ذكروا قوله ﷺ: «إن لله تسعة

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ص ١٦٧.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٧١.

وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة»^(١). وهكذا أخرج أهل الصحيح، كالبخاري ومسلم وغيرهما، ولكن روي عدد الأسماء من طريق أخرى من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة، ورواه ابن ماجه وإسناده ضعيف^(٢)، يعلم أهل الحديث أنه ليس من كلام النبي ﷺ، وليس في عدد الأسماء الحسنی عن النبي ﷺ إلا هذان الحديثان كلاهما مروى من طريق أبي هريرة، وهذا مبسوط في موضعه»^(٣).

وأنا وافقت ابن تيمية مدة من الزمن أن المنتقم ليس من أسماء الله الحسنی، ولكن حينما تأملت القرآن وجدت أنه استخدم اسم المنتقم مطلقا غير مقيد - وإن كان في صيغة الجمع - قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦].

ثبوت صفة الانتقام:

وإثبات صفة الانتقام لله جاءت في القرآن بصيغ شتى، منها صيغة الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. فهو سبحانه لا يوجه انتقامه إلى البراء من الناس، وإنما يوجهه إلى المجرمين، الذين يرهبون الخلق، ويفسدون في الأرض، فهو انتقام ممن يستحق الانتقام، لا ينتقم من مظلوم، لا ينتقم من مستقيم، لا ينتقم من إنسان صالح، إنما ينتقم من الجبابرة الذين ييغون في الأرض بغير الحق، الذين يتسلطون على رقاب

(١) سبق تخرجه ص ٢٩.

(٢) سبق تخرجه ص ٣٧١.

(٣) مجموع الفتاوى (٩٦/٨ - ٩٧).

الناس، الذين يدعون أنهم آلهة في الأرض لا يسألون عما يفعلون، هؤلاء ينتقم الله منهم؛ ليريهـم حقيقة أنفسهم، أنهم لا يساؤون عند الله شيئاً.

وقال سبحانه: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ [الزخرف: ٤١]. أي: من المشركين المعاندين المستكبرين في الأرض، سينتقم الله منهم ويريهـم بطشه ونقمته.

وقال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦].

والنسبة إلى الله تعالى بصيغة جمع المذكر السالم تدلُّ على جواز النسبة إليه عن طريق المفرد، ولذلك رأينا الإمام أبا عبد الله القرطبي في كتابه «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» ينسب إلى الله تعالى: اسم (الموسع)، بدليل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

كما دلَّ على ذلك نسبة المصدر (انتقام) إلى الله تعالى بإضافته إلى اسم (ذو) أو (ذي)، في أربع آيات من القرآن الكريم: في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] وفي سورة المائدة: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]. وفي سورة إبراهيم: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]. وفي سورة الزمر: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٧].

وقد ذكر العلماء من الاستدلالات على اسم الله (القوي) - وهو مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦] - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]. ومما ذكره

في الدلالة على سعة الرحمة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

ومن أدلة ثبوت صفة الانتقام لله تعالى بصيغة نسبة الفعل الماضي إليه، قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال وَجَّكَ في شأن الكافرين: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٥]، ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا أَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وجاءت كذلك في صيغة الفعل المضارع، كما في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

ولكن لم تأت صفة الانتقام في صورة فعل الأمر (انتقم)، كما في طلب سيدنا نوح أن ينتصر له ربه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]. وإن كانت (انتصر) هنا بمعنى انتقم، لكن لم تجئ (انتقم) صريحة في أمر أو دعاء.

الله يملئ للظالم:

من انتقام الله تعالى أنه ينتقم من الظالمين، لكنه سبحانه لا يعاجلهم بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وفي الحديث الصحيح: «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم تلا: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]^(١).

وأشد أنواع الظلم الذي ينتقم الله من صاحبه: ما يقع من القوي للضعيف، الذي لا يجد له ناصرًا غير الله تعالى، إنَّ الله تعالى لهذا القوي بالمرصاد، ومع هذا الضعيف بالمعونة، يسمع شكواه، ويستجيب لدعائه، ويتنصر له من ظالمه، وإن طال الأمد.

وقد أوصى الرسول ﷺ معاذًا حين بعثه إلى اليمن فقال: «واتق دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجاب»^(٢).

وفي حديث آخر: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا، ففجوره على نفسه»^(٣).

وفي حديث ثالث: «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»^(٤).

(١) سبق تخريجه ص ٢٧١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد (٨٧٩٥)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. والطيالسي في مسنده (٢٣٣٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣١٥)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٧٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢٢٧)، وابن حجر في الفتح (٣٦٠/٣)، عن أبي هريرة.

قال المناوي: يحتمل أن يريد بالفاجر الكافر، ويحتمل أن يريد الفاسق، وينبغي أن يعتقد أن دعوة المظلوم مستجابة، ولا ينافيه عدم ظهور أثرها حالًا؛ لأنه تعالى ضمن الإجابة لدعائه في الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد اهـ. فيض القدير (٥٢٦/٣).

(٤) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرجه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وحسنه الألباني لغيره في التعليقات الحسان (٨٧١)، عن أبي هريرة.

وفي كُتب التاريخ لَمَّا حبس الرشيد البرامكة قال واحد منهم لأبيه: يا أبت، بعد العز صرنا في القيد والحبس! فقال: يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها، ولم يغفل الله وَعَلَّكَ عنها.

شرح الغزالي لمعنى اسم المنتقم:

يقول الإمام الغزالي في «المقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنی»، وهذا الكتاب يقوم على شرح الأسماء التسعة والتسعين التي رواها الترمذي عن أبي هريرة في الحديث الضعيف: «المنتقم: هو الذي يقصم ظهور العتاة، وينكّل بالجنة، ويشدّد العقاب على الطغاة، وذلك بعد الإعذار والإنذار، وبعد التمكين والإمهال، وهو أشد للانتقام من المعاجلة بالعقوبة، فإنه إذا عوجل بالعقوبة، لم يمعن في المعصية، فلم يستوجب غاية النكال في العقوبة»^(١). يعني هو يعاقب هؤلاء، ولكنه لا يعاجلهم بالعقوبة، يعطيهم فرصة بعد فرصة، ويُعذر ويُذر، ويعطيهم مهلة بعد مهلة، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، بعد أن يمهلهم، ثم تكون العقوبة.

المحمود من انتقام العبد:

وقد ذكر الغزالي هنا تنبيهًا قال فيه: «المحمود من انتقام العبد: أن ينتقم من أعداء الله تعالى، وأعدى الأعداء نفسه، وحقّه أن ينتقم منها مهما قارفت معصية أو أخلّت بعبادة».

قال: «وعن أبي يزيد رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: تكاسلت نفسي عليّ في بعض الليالي عن بعض الأوراد، فعاقبتها بأن منعتها الماء سنة». وقال الغزالي: «فهكذا ينبغي أن يسلك سبيل الانتقام»^(٢).

(١) المقصد الأسنى ص ١٤٠.

(٢) المقصد الأسنى ص ١٣٩، ١٤٠.

ما يختص بالعبد من وصف الانتقام:

يقول الإمام أبو بكر بن العربي يبين ما يخص العبد من صفة الانتقام:
«ويختص العبد في هذا بحكمين:

أحدهما: أن ينتقم بمثل الذنب لا بزيادة.

الثاني: أن العفو له أحسن ليكون أجره على الله، فقد روي أن النبي ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله^(١)»^(٢).

جاء الإسلام بالتوازن الأخلاقي، فإذا كانت اليهودية قالت: السنُّ بالسنِّ، والعين بالعين، والأنف بالأنف. والمسيح قال: مَنْ ضربك على خدِّك الأيمن فأدر له خدِّك الأيسر^(٣)، فإن الإسلام لم يأمر بما أمر به المسيح أمراً عاماً؛ لأن هذا قد يصلح لمجموعة صغيرة منتقاة، لكن لا يصلح أمراً عالمياً وتوجيهاً عالمياً لكل البشر، ولكنه رغب فيه، باعتباره فضلاً وإحساناً.

الإسلام جاء بالعدل، وجاء بالفضل، مرتبة العدل: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ومرتبة الفضل: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

لك أن تنتصف وهذا هو العدل، ولك أن تصبر وتسامح وتعفو، وهذا هو الفضل والإحسان: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

(١) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨٦)، وأحمد (٢٤٩٨٥)، عن عائشة.

(٢) الأمد الأقصى لأبي بكر بن العربي (٢٧٢/٢).

(٣) انظر: إنجيل متى الفقرات (٣٨ - ٤٣)، وإنجيل لوقا (٢٩/٦، ٣٠).

وللمسلم في رسول الله ﷺ أسوة، فإنه كان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمة الله لم يقم لغضبه شيء.

قالت عائشة أم المؤمنين: لم يضرب رسول الله بيده دابةً، ولا خادماً، ولا امرأةً، إلا أن يُجاهد في سبيل الله^(١).

احذر انتقام الله للمظلوم:

وإذا علم العبد أن الله ينتقم للمظلوم من ظالمه، فعليه أن يحذر من الظلم، فالله إن لم يقتصر للمظلوم في الدنيا، كان وبالاً على صاحبه يوم القيامة، لذا جاء في الحديث الصحيح: «إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٢).

وقال بعض الحكماء: اذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله عليك، لا يعجبك رخب الذراعين سفك الدماء، فإن له قاتلاً لا يموت.

وقال سحنون بن سعيد: كان يزيد بن حاتم يقول: ما هبت شيئاً قط هبتي من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله، فيقول: حسبك الله، الله بيني وبينك^(٣).

وقال بلال بن مسعود: اتق الله فيمن لا ناصر له إلا الله.

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فالظلمُ ترجعُ عقبةً إلى الندم
تنامُ عيناك والمظلومُ مُتَبِّهٌ يدعُو عليك، وعينُ الله لم تنم^(٤)

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغضب (٢٤٤٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٩)، عن ابن عمر.

(٣) المستطرف لكل فن مستطرف للإبشهي ص ١١٦، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.

(٤) نسبه المستعصمي لأبي الحسن علي بن علي السلمي في الدر الفريد (٤١٧/٩)، تحقيق د. كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٢ - العَفْوُ:

ومن أسمائه تعالى: العَفْوُ، وقد جاء في حديث أبي هريرة عند الترمذي الضعيف وضعه بعد اسم (المنتقم)، واسم العفو قد جاء في القرآن الكريم مرفوعاً مرتين، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِقَبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

وفي سورة المجادلة جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢].

وجاء منصوباً ثلاث مرات كلها في سورة النساء، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقوله سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩]، وقوله ﴿وَجَلَّ﴾: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

الفرق بين العفو والمغفرة:

اسما العفو والغفور متقاربان في المعنى، ولكن الغفور مشتق من العَفَر وهو الستر؛ فمادة (غفر) في اللغة بمعنى (ستر)، والمَغْفَر: الذي يستر رأس المحارب في الحرب، وغفر بمعنى: ستر عليه ذنوبه.

أما العفو فمن الفعل (عفا)، ومعناها: محا وأزال، عَفَتَ الديار، أي: ذهبت معالمها. فالذي يعفو يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، فهو أبلغ من الستر، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

ولهذا علمنا القرآن أن نطلب من الله العفو وأن نسأله المغفرة:
﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
[البقرة: ٢٨٦].

ومن أفضل ما يسأل العبد من الله تعالى: العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قل: «اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفو فاعف عني»^(١).

قال الإمام الغزالي في شرح اسم الله العفو: «العفو هو: الذي يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي. وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر».

حظ المكلف من اسم (العفو):

قال الغزالي: «وحظُّ العبد من ذلك لا يخفى، وهو أن يعفو عن كلِّ من ظلمه، بل يُحسن إليه، كما يرى الله تعالى محسنًا في الدنيا إلى العصاة والكفرة، غير معاجل لهم بالعقوبة، بل ربما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم، وإذا تاب عليهم محا سيئاتهم؛ إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وهذا غاية المحو للجناية»^(٢).

والله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾
[الشورى: ٢٥].

(١) سبق تخريجه ص ٢٥٩.

(٢) المقصد الأسنى ص ١٤٠.

ويقول لرسوله ﷺ في شأن المشركين: ﴿ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩]

ويقول في شأن اليهود: ﴿ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

ويقول: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩]. رغم هذه التمنيات السيئة؛ أن ترجعوا كفارًا من بعد إيمانكم؛ لا تحاسبوهم على هذه التمنيات، واعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره، وينصر الحق على الباطل. ويقول سبحانه: ﴿ وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠].

وعلى المسلمين أن يتعافوا فيما بينهم، فيعفو المسلم ويصفح عن أخيه، ولا يضر له السوء ما استطاع، وإن ظلموا وأساءوا، كما أنزل الله تعالى في كتابه يُعَلِّمُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْفُضَّلَاءَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَلَا يُوَافِقُوا الْآخَرِينَ بِكُلِّ أَخْطَائِهِمْ، وَأَنْ يَعْفُوا عَنْهُمْ وَيَصْفَحُوا، كما عفا أبو بكر عن مسطح قريبه الذي خاض وأساء مع من أساءوا إلى ابنته عائشة أم المؤمنين، في حديث الإفك؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]. قال أبو بكر: بلى أحب أن يغفر الله لي^(١).

(١) إشارة إلى حديث عائشة المتفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠).

وبخاصة الأقارب بعضهم مع بعض، الأب مع بنيه، والابن مع أبيه، والأخ مع أخيه، والقريب مع قريبه، والزوج مع زوجته، والزوجة مع زوجها، وقد رأينا من العرب من كان لهم في ذلك مواقف في الذروة، من التحلي بمكارم الأخلاق، كما قال أحد الآباء، وقد قتل أخوه ابنه خطأً:

أقول للنفسِ تأساءً وتعزيةً إحدى يدي أصابتنِي وَلَمْ تُردِ
كلاهُمَا عَوْضٌ مِنْ فَقْدِ صاحِبِهِ هذا أخي حينَ أدعوه وذا وَلَدِي^(١)

وقال آخر في قومه الذين قتلوا شقيقه:

قومي هُمُو قتلوا أُميماً أخي فإذا رميتُ أصابني سهمي
فلئن عفوتُ لأعفونَ جَلالاً ولئن سطوتُ لأوهنَ عظمي^(٢)

ومن فواضل الأعمال ومكارم الأخلاق، أن تصل مَنْ قطعك، وتعطي مَنْ حرملك، وتعفو عَمَّن ظلمك، خاصة إذا كانوا أقاربك، والشاعر العربي قديماً قال:

وإنَّ الذي بيني وبينَ بني أبي وبينَ بني عمِّي لمختلفٌ جدًّا
فإنْ أكلوا لحمي وفَرَّتْ لحومهم وإنْ هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدًا
وإنْ ضيَّعوا غيبي حفظتُ غيوبهم وإنْ هم هَوَّوا غيبي هويتُ لهم رُشدًا
وإنْ زجروا طيرًا بنحسٍ تمرُّ بي زجرتُ لهم طيرًا تمرُّ بهم سعدًا
ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهم فليس كبيرُ القوم من يحملُ الحقدًا^(٣)

(١) ذكرهما أبو تمام ولم ينسبهما في الحماسة (١٢٠/١)، تحقيق د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيان، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. ونسبها صاحب الحماسة البصرية إلى العريان بن سهلة النبهاني ص ١٢٨، تحقيق عادل سليمان جمال، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) من شعر الحارث بن ويلة الجرمي، كما في أمالي القالي (٢٦٢/١).

(٣) من شعر المقنَّع الكندي، كما في الأغاني (٧٣/١٧)، مع تقديم وتأخير واختلاف يسير.

وقد ذكر لنا القرآن موقف يوسف من إخوته الذين ظلموه وأسأؤوا إليه في صغره، وألقوه في غيابة الجب ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكُمُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩١، ٩٢].

وبعد أن رفع أبويه على العرش، وخر الجميع له سُجَّدًا، انحنوا تحية وتكريماً له، قال: ﴿يَكُنَّ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

لهذا أمرنا الله بكظم الغيظ والعفو عن الناس، كما قال تعالى في وصف المتقين: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ضراعة إلى الله:

وقد كتبت مبتهلاً إلى الله أن يعفو عن جدِّي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي:

يا ربِّ مالي غير بابك مفزعٌ	أوي إليه إذا يعزُّ المَفزعُ
مالي سوى دمعي إليك وسيلةٌ	وضراعتي، ولمن سواك سأضرعُ؟!
إن لم أقفْ بالباب راجي رحمة	فلأبي باب غير بابك أقرعُ؟!
إن لم يكن مني الذنوبُ، ومنك أن	تعفو، فأين اسمُ العفوِّ المُطمعُ؟!
أين الغفورُ؟ وأين رحمته التي	وسعت جميعَ الخلق؟ أين الموسعُ؟!
هذا أوان العفو، فاعفُ تفضلاً	يا من له تَعْنُو الوجوه وتخشعُ ^(١) !!

(١) من قصيدتي ابتغال من ديواني: نفحات ولفحات ص ١٦٨.

غير مرخصة للطباعة

الله الواسع الحكيم

هذان الاسمان من أسماء الله تعالى الحسنى التي ذكرها القرآن، واقرنا في بعض آياته، وأكدتها السُّنَّة، ولهجت بذكرهما الأمة، وأجمعت عليهما: الأول: اسم الله (الواسع). والآخر: اسم الله (الحكيم). كما قال تعالى في آية جمعت بينهما في العلاقة بين الزوجين: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

١ - الواسع:

والواسع من أسماء الله تعالى الحسنى، التي ذكرها القرآن العظيم، وكررها في كثير من سورته وآياته، فهو سبحانه واسع في علمه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، وقال سيدنا إبراهيم: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقال سيدنا شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

وهو سبحانه الواسع الرحمة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

وأنطق تعالى ملائكته بالاستغفار لعباده المؤمنين فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧]. وهو عَجَلٌ واسع المغفرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

وقد ذكر القرآن اسم (الواسع) اسمًا لربنا تبارك وتعالى ثماني مرات في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، ومثلما قال في آية مضاعفة ثواب المنفقين في سبيل الله ﴿كَمْثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وجاء اسم (الواسع) مرة واحدة في حالة النصب، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

«والواسع: مشتق من السَّعة، والسَّعة تضاف مرة إلى العِلْم، إذا اتَّسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف مرة أخرى إلى الرحمة، أو إلى المغفرة، كما فصَّلت الآيات، وكلها متصلة بالإحسان وبسط النعم، وكيف ما قُدِّر، وعلى أي شيء نُزِّل. فالواسع المطلق هو الله تعالى؛ لأنه إن نُظر إلى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته؛ بل تنفذ البحار لو كانت مداً لكلماته، وإن نُظر إلى إحسانه ونعمه، فلا نهاية لمقدوراته، وكل

سعة وإن عظمت، فتنتهي إلى طرف، والذي لا ينتهي إلى طرف هو أحق باسم السعة.

والله تعالى هو الواسع المطلق؛ لأن كل واسع بالإضافة إلى ما هو أوسع منه ضيق، وكل سعة تنتهي إلى طرف، فالزيادة عليها متصورة، وما لا نهاية له ولا طرف فلا يتصور عليه زيادة»^(١).

«قال المازني: وهو مختص بعدم النهاية في متعلقات صفات الخالق سبحانه، وهو الذي وسع بقدرته وإرادته وكلامه كل شيء، ووسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء، كما قال تعالى إخبارًا عن ملائكته: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] وانتصابًا على التمييز.

قال ابن الأنباري: الواسع الذي يسع ما يُسأل، ويقال: الواسع المحيط بكل شيء.

وقال الحلبي: معناه الكثير مقدوراته ومعلوماته، والمنبسط فضله ورحمته، والمعترف له بأنه لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ورحمته وسعت كل شيء.

وقال الخطابي: الواسع الغني الذي وسع غناه مفارق عباده، ووسع رزقه جميع خلقه».

وهو سبحانه (الموسع): قال الخطابي: قيل: إنه بمعنى ذو سعة، وهو الغني، وعليهما يكونان من صفات التنزيه. وإذا قيل: (الموسع) بأنه وسع على غيره، أو خلق الأجسام ذات سعة، فهما من صفات الأفعال. وعليه جاء قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

(١) المقصد الأسنى ص ١١٩ بتصرف.

قال ابن العربي: (الواسع) يتضمن من المعاني ما لا يتضمنه (الغني)، ويتصرف فيما لا يتصرف فيه (الغني)، كقولنا: يا واسع الفضل، يا واسع الرحمة، يا واسع المغفرة، إلى غير ذلك.

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة بين الجن والإنس، والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»^(١).

وعن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، وإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»^(٢).

فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن الله سبحانه هو المتفرد بما ذكرناه من الإحاطة والسعة، ثم يجب عليه أن يوسع صدره لقضاء ربه، والتزام ما تعبد به، ولا احتمال الأذى فيه، ويكتسب العلم ما استطاع، فبه تُنال هذه المراتب، وبه تُكسب المناقب. فارغب إليه في جميع ذلك، وتعرض لنفحات ربك بفراغٍ من قلبك، وجِدَّة من عزمك، تصل إلى مرغوبك إن شاء الله تعالى.

ثم إذا وسَّع الله عليك فوسع على نفسك وولدك وأهلك، ومن شئت من إخوانك وأقاربك.

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٢).

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٣)، وأحمد (٢٣٧٢٠).

قال مالك بن نضلة: قلتُ: يا رسول الله، الرجل أمُرُّ به فلا يُقرّني ولا يضيّفني، فيمر بي، أفأجزيه؟ قال: «لا، اقرّه». وقال: ورآني رثَّ الثياب. فقال: «هل لك من مال؟». قلتُ: من كل المال قد أعطاني الله من الإبل والغنم. قال: «فليُر عليك». خرّجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح^(١). يعني: أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده تنطق بفضل ربه وتوسيعه.

حظ المكلف من اسم الله (الواسع):

نبّه الإمام الغزالي على طريقته إلى حظّ العبد من اسم الربّ ﷻ (الواسع) فقال:

«سعة العبد في معارفه وأخلاقه، فإن كثرت علومه، فهو واسع بقدر سعة علمه، وإن اتسعت أخلاقه حتى لم يُضَيّقها خوفُ الفقر، وغيظُ الحسد، وغلبة الحرص، وسائر الصفات، فهو واسع، وكل ذلك فهو إلى نهاية، وإنما الواسع الحق هو الله تعالى»^(٢).

فعلى الإنسان أن يكون له زاد - كلٌّ على ما يستطيع ويحرص - من السعة الإلهية، سعة العلم، وسعة الرحمة، وسعة المغفرة، وسعة الرزق.

٢ - الحكيم:

من الأسماء التي حرص القرآن على أن يضيفها إلى الله تعالى: الحكيم، وهو ذو الحكمة. وهي الحكمة البالغة، والحكمة التامة.

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٦)، وأحمد (١٧٢٣١)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط

مسلم. والنسائي في الزينة (٥٢٢٣). وانظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) المقصد الأسنى ص ١١٩.

الله حكيمٌ فيما خلق وقَدَّر، وحكيم فيما شرع وحكم وأمر ونهى، ومن تأمل حكمته تعالى في هذين الجانبين - أو المبدئين - تجلّى له الكثير من آثار الحكمة وألوانها وأنواعها.

وقد ورد هذا الاسم في القرآن إحدى وثمانين مرة، وصحّت به الأحاديث، وأجمعت عليه الأمة واعترفت به، وإن لم يجعلوه في الصفات الواجب إثباتها كالعلم والإرادة والقدرة، برغم أن إثبات الحكمة لله تعالى في صنعه وفي شرعه مما عني به القرآن كثيرًا.

معنى الحكيم:

و(الحكيم) إما مأخوذ من الحِكمة، ويعني ذا الحكمة، أو الموصوف بالحكمة.

وإما مأخوذ من الإحكام، أي الذي يُحكّم كل شيء (فعل بمعنى مُفَعِّل)، فالحكيم هنا بمعنى المُحكّم، يُحكّم الأشياء ويتقنها ويحسنها، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧] ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ [الملك: ٣]، كل خلقه حسن، كله جميل، كل مُتَقَن، كله في موضعه؛ عمل العليم الحكيم.

قال الغزالي في «المقصد الأسنى» عن معنى (الحكيم): «ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، وأجل الأشياء هو الله سبحانه، وقد سبق أنه لا يعرف كُنْه معرفته غيره، فهو الحكيم الحق؛ لأنه يعلم أجلّ الأشياء بأجلّ العلوم؛ إذ أجلّ العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله، المطابق

للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليه خفاء ولا شُبْهة، ولا يتصف بذلك إلا علم الله ﷻ، وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها: حكيم. وكمال ذلك أيضًا ليس إلا لله تعالى، فهو الحكيم الحق^(١).

المراد بالحكمة في القرآن:

قال الفخر الرازي: «المراد من الحكمة: إما العلم، وإما فعل الصواب. يُروى عن مقاتل أنه قال: تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: مواظب القرآن، قال في البقرة: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١]، يعني: مواظب القرآن. وفي النساء: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، يعني المواظب. ومثلها في آل عمران.

وثانيها: الحكمة بمعنى الفهم والعلم، ومنه قوله تعالى، أي في يحيى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]. وفي لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، يعني: الفهم والعلم. وفي الأنعام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

وثالثها: الحكمة بمعنى النبوة في النساء: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤]، يعني: النبوة. وفي (ص) في داود: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، يعني: النبوة. وفي البقرة: ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(١) المقصد الأسنى ص ١٢٠.

ورابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار، في النحل: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. وفي هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال الرازي: «وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلى العلم، ثم تأمل أيها المسكين، فإنه تعالى ما أعطى إلا القليل من العلم، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. وسمى الدنيا بأسرها قليلاً، فقال: ﴿قُلْ مَنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]. وانظر كم مقدار هذا القليل، حتى تعرف عظمة ذلك الكثير، والبرهان العقلي أيضاً يطابقه؛ لأن الدنيا متناهية المقدار، متناهية المدة، والعلوم لا نهاية لمراتبها وعددها ومدة بقائها، والسعادة الحاصلة منها، وذلك ينبئك على فضيلة العلم، والاستقصاء في هذا الباب قد مر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

وأما الحكمة بمعنى فعل الصواب فقليل في حدها: إنها التخلُّق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية.

الحكمة النظرية والعملية:

واعلم أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين؛ وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به. فالمرجع بالأول: إلى العلم والإدراك المطابق. وبالثاني: إلى فعل العدل والصواب. فحكى عن إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الشعراء: ٨٣]، وهو الحكمة النظرية، ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]، الحكمة العملية.

ونادى ربُّنا موسى عليه السلام فقال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾، وهو الحكمة النظرية، ثم قال: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] وهو الحكمة العملية.

وقال عن عيسى عليه السلام: إنه قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]. وكل ذلك للحكمة النظرية، ثم قال: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]. وهو الحكمة العملية.

وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو الحكمة النظرية، ثم قال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. وهو الحكمة العملية.

وقال في جميع الأنبياء: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾. وهو الحكمة النظرية. ثم قال: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، وهو الحكمة العملية. وكمال حال الإنسان ليس إلا في هاتين القوتين.

قال أبو مسلم: الحكمة فِعْلة من الحُكْم، وهي كالنحلة من النحل، ورجل حكيم إذا كان ذا حِجَى ولُبٍّ، وإصابة رأي، وهو في هذا الموضع في معنى الفاعل، ويقال: أمرٌ حكيم، أي مُحْكَم، وهو فعيل بمعنى مفعول، قال الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]. وهذا الذي قاله أبو مسلم من اشتقاق اللغة يطابق ما ذكرناه من المعنى^(١).

(١) تفسير الرازي (٧/٥٨، ٥٩).

كلام القرطبي في اسم الله الحكيم:

قال القرطبي في اسم الله الحكيم: «ورد في القرآن العظيم في غير موضع، وجاء في أحاديث الرسول، وأجمعت عليه الأمة، ولا خلاف في إجرائه على المخلوق وصفًا.

يقال منه: أحكمتُ الشيء أحكُمه إحصاءً، فهو مُحَكَّم. وفاعل ذلك هو: الحكيم. وفرس محكومة؛ بمعنى رِيضة، والرِيض ممنوع من الخروج عن مراد راكمه، وكل شيء منعه فقد حكّمته.

قال الجوهرى: الحكيم؛ العالم وصاحب الحكمة، والحكيم، المتقن للأمور، وقد حَكَم: أي صار حكيماً. قال النمر بن تولب:

وأبغضُ بغيضك بُغضًا زويدياً إذا أنتَ حاولت أن تحكما^(١)

قال الأصمعي: أي: إذا حاولت أن تكون حكيماً.

وقال الزّجاجي أبو القاسم: (الحكيم) في الكلام على ثلاثة أضرب: يكون بمعنى مُفَعِّل بتأويل الفاعل، ومُفَعِّل بتأويل المفعول، وقد يكون للمبالغة في الوصف بمنزلة: كريم وعليم، ولا يُراد به التعدي^(٢)، إلا وصف الذات بالحكمة، لأن الفاعل للأشياء المُتَقَنَة المُحَكَمَة لا يجوز أن يكون جاهلاً بها، فيكون (حكيم) على هذا بتأويل المبالغة في الوصف بالعلم والحكمة، فيرجع إلى صفات الذات بالعلم والحكمة، ويكون بمعنى: المُحَكَم للأشياء. فيكون من صفات الأفعال.

(١) انظر: الاختيارين للأخفش الأصغر (٢٧٨/١)، تحقيق فخر الدين قباوة، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) أي التعدية إلى مفعول.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: والعرب قد تضع فعلاً في معنى مفعّل، وقد جاء في آية أخرى: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣]. أي مُعَدٌّ.

فأما قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]. فقليل معناه: المحفوظ من التبديل والتغيير، ممنوع من الخلاف، مُبْرَم السَّرْد، متقن التأليف والنظم. (فالحكيم) الذي أفعاله مُحْكَمَة متقنة، ولا تفاوت فيها ولا اضطراب، لوضع كل شيء موضعه، ومنه قيل: بناء مُحْكَم: أي قد أُتْقِنَ وأُحْكِمَ. فالله وَجَّكَ (حكيم)، كما وصف نفسه بذلك، لِإِتْقَانِ أفعاله واتساقها وانتظامها وتعلّق بعضها ببعض، فالحكيم على هذا فعيل بمعنى مفعّل، كما جاء (عليم) بمعنى (عالم)، في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وكذلك قوله وَجَّكَ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧]. لم تقع الإشارة به إلى الحُسن الرائق في المنظر، فإن هذا المعنى معدوم في القرد والخنازير والدب وأشكالها من الحيوان، وإنما ينصرف المعنى إلى حُسن التدبير في إنشاء كل شيء من خلقه على ما أحب أن ينشئه عليه، وإبرازه على الهيئة التي أراد أن يهيئه عليها، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فيجب على كل مُكَلَّف: أن يعتقد أن لا حكيم على الإطلاق إلا الله وَجَّكَ، وأن كل حكم وحكمة فمن عنده، وقد قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال علي بن أبي طالب: «الحكمة فهم القرآن». وكذلك قال ابن عباس: هي المعرفة بالقرآن، فقهه وناسخه ومنسوخه، ومتشابهه

وعربيته، ومقدمه ومؤخره. وكذلك قال قتادة ومجاهد: الحكمة: هي الفقه في القرآن ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. ونحوه روى ابن وهب عن مالك. قال ابن وهب: قال لي مالك، وذكر قوله تعالى في يحيى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، وقوله في عيسى: ﴿قَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ [الزخرف: ٦٣]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ٤٨]، وقوله: ﴿وَأَذْكُرْنَا مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. قال مالك: الحكمة في هذا كله طاعة الله والاتباع لها، والفقه في دين الله والعمل به.

قال ابن وهب: وسمعت يقول: الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء، وليس بكثرة المسائل.

وعن ابن عباس أيضًا وغيره: الحكمة القرآن، سماه حكمة؛ لأنه علم، فكأنه قال: ومن يؤت القرآن فقد أوتي علمًا كثيرًا. وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. قالوا: يعني الملك والعلم.

وقال بعض أهل اللغة: إنما سُمِّي القرآن حكمة لامتناعه من المعارضة، كأنه ممتنع من أن يؤتى بمثله ويعارض، كما قال جل وعز: ﴿لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

قال: وكذلك الحكيم من الناس، إنما سُمِّي حكيماً؛ لأنه يمتنع من فعل القبائح، ويمنع نفسه منها، ومنه: حكمة الدابة، وهي الحديدية التي تكون في فم الدابة من اللجام، سُمِّيَتْ حكمة؛ لأنها تمنع الدابة وتكفها عن الجري، ومنه قول الشاعر:

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكِمُوا سُفْهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْو أَنْ أَعْضَبَا^(١)

يريد: امنعوهم من الفساد.

قلتُ: وإذا تقرر هذا، فيجب على كل مؤمن تعلُّم الحكمة وطلبها عن أهلها حتى يكون حكيماً يضع الأشياء مواضعها. وحقيقة الحكمة إصابة الصواب وموافقة الحق والعدل في القول والعمل. وفي الحديث: «الحكمة ضالة المؤمن»^(٢).

فإذا تعلمها وجب عليه بذلها لأهلها، ومنعها من غير مستحقيها؛ ولذلك قيل: لا تمنعوا الحكمة من أهلها فتظلموهم، ولا تضعوها في غير أهلها فتظلموها. وإنما كانت الحكمة ضالة المؤمن تشبيهاً بالضالة من الإبل، وهي التي تكون بمَضْيَعَةٍ من قولهم: ضلَّ الشيء إذا ضاع وذهب عن القصد. فكما يطلبها صاحبها إذا ضاعت في المكان الذي يرجو إصابتها فيه، فكذلك المؤمن ينبغي أن يكون أبداً متطلباً لحكمة ما، عند من يرجو إصابتها عنده»^(٣).

وَرُبَّ حَكْمَةٍ تَوْخَذُ مِنْ أُمِّيٍّ، بَلْ تَوْخَذُ أَحْيَانًا مِنْ غَيْرِ مَوْضِعِهَا، كَمَا حَكَوْا: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ مَرَّ بِمَزْبَلَةٍ فِيهَا سَكَرَانٌ، فَوَجَدَهُ يَغْنِي بَيْتًا مِنْ الشَّعْرِ، يَقُولُ:

أَذَلَّنِي الْهَوَى فَأَنَا الذَّلِيلُ وَلَيْسَ إِلَى الَّذِي أَهْوَى سَبِيلُ

(١) البيت لجريز، كما في ديوانه ص ٤٧، نشر دار بيروت للطباعة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٢) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وقال الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦): ضعيف جداً. عن أبي هريرة. ولكن معناه صحيح بالإجماع.

(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٣١٣ - ٣١٦.

فأخرج عبد الله الكراسة ليكتب فيها هذا البيت. فقالوا له: تكتب من هذا السكران؟ فقال لهم: أما سمعتم المثل الذي يقول: رُبَّ جَوْهَرَةٍ فِي مِزْبَلَةٍ! فهذا البيت من الشعر هو الجوهرة التي وجدتْها في مِزْبَلَةٍ^(١).

القرآن كتاب حكيم منزل من إله حكيم:

والذي ينظر في القرآن ويتدبر آياته يجد أن اسم الله الحكيم ذكر أكثر من مرة مقترناً بذكر القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿حَمْدٌ مَّا تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الأحقاف: ١، ٢]، ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]. فالله حكيم في أقواله، ومن أعظم أقواله: القرآن، ختام كلمات الله التي أنزلها الله على رسوله.

ولأن القرآن كلام الله الحكيم، فقد وصف القرآن نفسه بأنه كتاب حكيم، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]، ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢]، ﴿وَلِإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]، فالقرآن حكيم، وتنزيل من حكيم، وهو أبلغ الدلالات على أن مُنْزِلَهُ حكيم عليم.

الحكمة في القرآن:

وهو ﷺ يثني على الحكماء من عباده، يقول تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]. وذكر لنا نبذاً من حكمة لقمان، في موعظته لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (١٣٦/٦، ١٣٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

وكل ما أوتيهِ الخلق من حكمة، فهو جزء من حكمة الله، الذي لديه الحكمة كلها، اعترف بذلك الملائكة، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿البقرة: ٣١، ٣٢﴾.

واعترف بذلك أنبياء الله ورسله، كما رأينا في أدعية خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل، وهما يرفعان القواعد من البيت ويدعوانه لأمة محمد في آخر الزمان: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿البقرة: ١٢٩﴾.

كما بينَ ﷺ عزته وحكمته في التأليف بين قلوب عباده المؤمنين بعد أن فرقتهم الجاهلية فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئِنَّ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ أَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]. يعني: أن المؤمنين ليسوا بمغرورين، ولا مخدوعين في أنفسهم، ولكنهم متوكلون على ربّ عظيم، هو الله تبارك وتعالى، ومن يتوكل على الله تعالى، فإنه يتوكل على عزيز، كل العزة له، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْيِدُ الْغِزَةَ فَلِلَّهِ الْغِزَةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. فلا يذل من التجأ إليه وتوكل عليه، وهو مع عزته حكيم، لا يمكن أن يضيع من وثق بتدبيره، ورجع في كل أمره إليه. كما قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

الجمع بين العزة والحكمة والعلم والحكمة:

وكثيراً ما يجمع القرآن صفتي (العلم والحكمة): ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ٢]، وكذلك بين (العزة والحكمة): ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَئِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢] فهو سبحانه عزيز لا يذل من التجأ إليه، وحكيم لا يضيع من يثق بتدبيره.

يقول تعالى في سورة الفتح التي تتحدث عن صلح الحديبية: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]. وقبلها بعدة آيات قال: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]. فليطمئن الرسول والمؤمنون على أن معهم الله تبارك وتعالى، والله له وعنده جنود السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وهو سبحانه العليم الحكيم، والعزيز الحكيم، قد يكون المَلِكُ لديه جنود كثيرة، وقِوَاهُ مسلحة تسليحاً هائلاً، ولكنه لا ينتفع بها؛ لأنه لا ينتفع بكثرة الجنود إلا من جمع بين العلم والحكمة، أما الجاهل فقد تكون كثرة الجنود مضيعة له؛ لأنه لا يحسن تجنيدها وتسييرها وصفها، ووضعها في مواضعها، وتوجيهها حيث يجب أن تكون.

وكذلك العالم أو العليم، إذا لم يكن متصفاً بالحكمة، فربما حرَّكَ الجيوش في غير موضعها، أو في وقت غير مناسب، أو لعدو غير

حقيقي، وأغفل العدو الحقيقي، فيخرب أكثر مما يعمّر، ويهدم أكثر ممّا يبنّي، وينهزم أكثر مما ينتصر.

وكذلك صاحب الجند الكثير، إذا لم يكن عزيزاً مهيباً قويّ الجانب، غلب عليه جنده، وأكلوه، ولم يبقوا له من هيبة الملك ما يُبقي على مُلكه. لهذا كانت هذه الأمور الثلاثة مطلوبة للنصر: العلم والعزة والحكمة، وكلها ثابتة في أعلى كمالاتها لله تعالى.

الحكمة علمية وعملية:

والحكمة نوعان: حكمة علمية أو نظرية، وحكمة عمليّة أو تطبيقية.

فالحكمة النظرية أو العلمية هي معرفة الشيء على حقيقته، بكل زواياه وكل أبعاده، وكل جوانبه، الظاهرة والخفية، بحيث لا يعتاص عليه أيّ شيء مهما صغر أو دقّ أو ألغز، يعرف ظاهره وباطنه، وأوله وآخره، ودقيقه وجلية، ويعرف ماضيه وحاضره، ومستقبله أيضاً على سواء، وهو قادر على أن يجيب أيّ سائل يسأله عن حقيقة هذا الشيء، وأن يجيبه بيسر وسهولة، وبهذا العلم الشامل المحيط يعرف من أين يأتي الخطر على هذا الشيء، وكيف يدفعه، وبأي شيء يدفع، إلى آخر ما يعرف عن ذلك الشيء.

ومن علمه سبحانه: أن يعلم فيم ينفع هذا الشيء، وبأي شروط، وبأي وسائل، ومن هنا كان هذا العلم هو أساس استخدام هذا الشيء فيما ينفع الناس ويمكث في الأرض، ويجلب عليهم المصالح، ويدراً عنهم المفساد، فعلمه تعالى مرتبط بحكمته، ولا عجب أن نجد الاسمين العليم والحكيم قد اقترنا في آيات كثيرة في مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨] ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]
 ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١، ٢٤، الأحزاب: ١، الإنسان: ٣٠].

والحكمة العملية هي وضعُ الله ﷻ الأشياء في موضعها المناسب لها، بغير تضيق عليها، أو محاباة لها، بل تأخذ مكانها بالعدل، ولا تزاحم غيرها بالباطل، ويعطي كل ذي حقَّ حقه، فلا يضع حق ضعيف لضعفه، ولا يستأثر قوي بما ليس له من حق.

من حكمة الله في مخلوقاته:

كل ما خلقه الله من مخلوقات، فهو لحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وكذلك كل ما شرعه الله، فهو مشروع لحكمة، مقدّر على عباده، فليس هو في حاجة إلى شيء، إنما كل الحكم والمصالح مربوطة بعباده.

جلس أب مع بعض أبنائه في حديقة، وكان فيها نخل باسق القامات، وفي الحديقة بطيخ شجره نيام على الأرض. والبطيخة ضخمة تقدر بنحو عشرة كيلو جرامات أو أكثر، والنخلة بلحها أو رطبها أو تمرها صغير بالنسبة للبطيخ، وكان ابن الرجل، قد تعلم بعض الشيء، ولكنه علم بعيد عن الدين، فأورثه ذلك في نفسه التمرد على الأساسيات عند أهل الدين، وقال لأبيه: يا أبت، ألا ترى التناقض الذي نراه في حديقتنا؟ قال الأب: وما هو يا بني؟ قال: البلح الذي تثمره النخلة، وهو صغير، والبطيخ الذي تثمره شجرته، وهو كبير؟ ألم يكن العكس هو الأولى، فيكون للنخل الثمر الكبير، ولشجرة البطيخ الثمر الصغير؟ قال الأب: يا بني، نحن نؤمن بأن الله في كل شيء حكمة، وإن جهلناها، وربما نجهل نحن ويعرفها غيرنا، ولا يجوز لنا أن نعترض على الله في خلقه أو في أمره.

قال الابن: كلما سألناكم سؤالاً أعجزكم، طلبتم منا أن نُسلمَ ولا نعترض، كأن عقولنا آفةٌ علينا.

وما زال الابن يتكلم في هذا النوع من الكلام، وإذا ببلحة تنزل على عينه من فوق، فيصرخ صرخة ألم: آه. فقال الأب: احمَد الله يا بني، أنها لم تكن بطيخة.

فعرف من واقع الحال: أن ما خلقه الله هو في غاية الحكمة، فليس الصواب: أن تكون الثمرة الكبيرة كالبطيخة عالية كالرطب والتمر، فيشقُّ الاستفادة منها واجتناؤها وتحصيلها، ولو وقع شيء منها سيكسر أو يؤذي صاحبه، وأولى بالشجر العالي أن يكون ثمره قليل الوزن، خفيف التناول، سهل الأخذ. وسبحان الله العليم الحكيم.

نصيب المكلف من اسم (الحكيم):

قال الغزالي: «من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله وَجْهَهُ، لم يستحقَّ أن يُسمَّى حكيماً؛ لأنه لم يعرف أَجَلَ الأشياء وأفضلها، والحكمة أَجَلُ العلوم، وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، ولا أَجَلَ من الله وَجْهَهُ. ومن عرف الله تعالى، فهو حكيم، وإن كان ضعيف الفطنة في سائر العلوم الرسمية، كليل اللسان، قاصر البيان فيها، إلا أن نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته به إلى معرفته بذاته، وشتان بين المعرفتين، فشتان بين الحكمتين، ولكن مع بُعدِه عنه، فهو أنفَس المعارف وأكثرها خيراً. ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

نعم، من عرف الله كان كلامه مخالفاً لكلام غيره، فإنه قلما يتعرَّض للجزئيات - أي: وحدها - بل يكون كلامه كُلياً، ولا يتعرَّض لمصالح

العاجلة، بل يتعرّض لما ينفع في العاقبة، ولما كان ذلك أظهر عند الناس من أحوال الحكيم مَنْ معرفته بالله وَعَجَلٌ، ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية. ويقال للناطق بها: حكيم.

وذلك مثل قول سيد البشر صلاة الرحمن وسلامه عليه: «الكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»^(١). وقوله ﷺ: «ما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى»^(٢). وقوله ﷺ: «من أصبح معافى في بدنه، آمناً في سربه، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»^(٣)»^(٤).

وأزيد على ما قال حجة الإسلام الغزالي، فأقول:

ومن نصيب العبد من اسم الحكيم أن يتحلى بالحكمة في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته، بأن تكون أقواله صواباً وأفعاله صدقاً، كما قال الإمام أبو بكر بن العربي^(٥).

والله ﷻ قد منَّ على كثير من عباده بأن أفاض عليهم من حكمته، قال وَعَجَلٌ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقد آتاها آل إبراهيم ﷺ

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرفائق (٢٤٥٩)، وقال: حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٢٨٠/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه أحمد (٢١٧٢١)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والطيالسي (١٠٧٢)، وابن حبان في الزكاة (٣٣٢٩)، والحاكم في التفسير (٤٤٤/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي الدرداء.

(٣) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١٤١)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨)، عبيد الله بن محصن الأنصاري.

(٤) المقصد الأسنى ص ١٢١، ١٢٠.

(٥) الأمد الأقصى (٢٣٦/٢).



﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤] ،
 وقال عن داود: ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾
 [البقرة: ٢٥١] ، وقال عن المسيح: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
 وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤٨] ، وقال عن محمد ﷺ: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾
 [النساء: ١١٣] .

وكان من مهمة محمد ﷺ - كما ذكرها القرآن في أربع آيات - تعليم
 الحكمة: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
 ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ، وقال تعالى لأزواجه أمهات المؤمنين:
 ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤] .

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا الحكمة، وأن يجعلنا من الحكماء، وأن يفقهنا
 في كتابه وسنة رسوله.



الله العلي العظيم

في آية الكرسي، أعظم آية في كتاب الله نقرأ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فختمت الآية بهذين الاسمين الكريمين، وقرنت بينهما: العلي العظيم.

١ - العلي:

العلي، جاء ذكره في القرآن العظيم، وفي السنة النبوية، وأجمعت عليه الأمة، وانتشر بين كل أبنائها.

وله مشتقات أربعة، ثلاثة متفق عليها، هي: العلي والأعلى والمتعالي، فقد ورد بها القرآن. في عدد من سورته وآياته، وأما اسم (العالي) فلم يجئ إلا في حديث الترمذي الضعيف وغيره^(١).

قال الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وفي نهاية آية الكرسي: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي سورة سبأ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ

(١) سبق تخريجه ص ٣٧١.

الْكَبِيرُ ﴿سبأ: ٢٣﴾، وقال سبحانه: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]. ولم يَجِئ اسم (العلي) في القرآن منسوباً لله تعالى، بل جاء منسوباً إلى فرعون ومذموماً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَجَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣٠، ٣١]. وهذا هو العلو في الأرض بغير الحق، الذي يكرهه الله، ويكره أصحابه، ولذا قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]. وبعض المسلمين اعتمدوا على الحديث الضعيف فسمَّوا أبناءهم باسم (عبد العال)، وبعضهم غيَّروه إلى (عبد المتعال).

«ولا خلاف في إجراء (العلي) على العبد من غير تعريف بألف ولام، وعلي بن أبي طالب معلوم مكانه من رسول الله ﷺ، ومن أمة الإسلام. والعلي: مشتقٌّ من العُلُو... وله معنيان:

أحدهما: علُو المكان؛ كعلو العرش على سائر المخلوقات، وكعلو الجنة والنار.

والثاني: علو المكانة؛ كعلو الرفيع والشريف على الوضيع، والعلم على الجهل، والحق على الباطل، والحاكم على المحكوم، ومثله كثير... قال الحليمي: وقيل: المراد بالعلو: القهر والغلبة؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]. أي غلبه وقهره، فالله سبحانه العلي العالي القاهر الغالب للأشياء كلها، تقول العرب: علا فلان فلاناً أي غلبه وقهره، كما قال الشاعر:

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمُ تركناهم صرعى لنسرٍ وكاسرٍ

يقول: غلبناهم وقهرناهم، واستوينا عليهم، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]. قالوا: معناه قهر أهلها، وغلبهم واستولى عليهم، فهو من صفات الذات، ومن صفات الأفعال، فالله سبحانه العلي العالي ذو العلاء والرفعة، والجلال والثناء، وهو القاهر الغالب للأشياء.

وقالت طائفة من العلماء: هو عالٍ بمعنى: منزّه عن صفات الحدوث والتشبيه والتحيز. وهو قول حسن؛ فإنه سبحانه عليّ بما هو من صفات الكمال، متعالٍ عن صفات النقص، أعلى من غيره من الخلق، وإن كان ليس لغيره علوّ؛ فإن علوّ الخلق من علوه، كما أن عزّتهم من عزته. وقالت المجسّمة بعلو المسافة، وبُعد المقدار، ومحاذاة الأجرام، تعالى الله عن قولهم.

قال ابن الحصار: وإنما اعتبار علوّه جل وعز طرفان:

أحدهما: اعتبار علوّ مجده وكلماته وصفاته وملكوته.

والثاني: اعتبار علوّ حزبه، وما دعا إليه، وأمر به.

فأما اعتبار صفته فبكمالها ونزاهتها عن النقائص والآفات، والبعد عن إحاطة الإدراكات، وأما علو كلمته سبحانه فلأنها الحق، وهي العالية في الدنيا والآخرة.

وأما علو حزبه سبحانه، فملائكته، وأعلاهم مكاناً ومكانة حملة عرشه، وجبريل وميكائيل، فهم المنزهون عن الدنّيات والأقذار، وهم أعلى المخلوقات أقداراً؛ ولذلك كان النبي المختار يقول: «سُبُّوح قُدُّوس، رب الملائكة والروح»^(١).

(١) رواه مسلم (٤٨٧)، وأحمد (٢٤٠٦٣)، وأبو داود في الصلاة (٨٧٢)، والنسائي في التطبيق (١٠٤٨)، عن عائشة.

فعلو مكانهم، على قدر مكانتهم، وكذلك سائر العلماء والمؤمنين؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ط وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ولما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ عاين ذلك، ومَرَّ بالنبين في مقاماتهم. وكذلك سائر العلماء والمؤمنين، والكل حزب الله.

وأما الذي دعا إليه سبحانه، فجنته ومجاورته في حضرة قدسه، ودعا إلى مكارم الأخلاق، والطيب والطيبات، وأمر بالطهارة والزكاة. والشیطان يدعو إلى نقيض ذلك كله.

فيجب على كل مكلف أن يعلم أن خالقه هو (العلي)، بالمعاني التي تقدم ذكرها من معاني الجلال والكمال، ثم يجب عليه أن يستعلي على الكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. ويتعاطى معاني الأخلاق، في رفع الذكر، وإعلاء المنازل، والتقريب بعد التقريب من الله تعالى.

فعلى قدر الإيمان وكثرة الأعمال يكون كمال العلو في الدنيا والآخرة^(١). قال الله تعالى في سورة الواقعة، التي قسمت الناس أقسامًا ثلاثة: هم السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ١٧٣ - ١٧٦.

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وَخُورٍ عَيْنٍ ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ﴾ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ وَفَكَهْهَ كَثِيرٍ ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ أَجْكَارًا ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿[الواقعة: ١٠ - ٤٠]﴾. وجنات أصحاب اليمين جميعها عوالي، وجنات المقربين جميعها علالي، واحدتهن عُلِّيَّة... وبعضهم يقول: عُلِّيَّة بكسر، قال الشاعر:

ألا يا عينُ ويحك أسعديني بغُزْرِ الدمع في ظُلم الليالي
لعلَّك في القيامة أن تفوزي بخير الدَّار في تلك العَلالي^(١)

والعلو الثابت والدائم هو الله ﷻ، وأما ما عداه فليس هنا ولا هناك من عالٍ إلا سينزل، فكم من نازل علا، وكم من عالٍ نزل، كما هي أوضاع الدنيا وأهلها.

ولهذا قال النبي ﷺ: «حَقُّ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»^(٢). «ومن علَّوه سبحانه: أن جعل الرِّفعة والعلو لكتابه ولدينه، ولرسله وأنبيائه، ولأوليائه الصادقين، كما قال: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨]، وقال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

(١) ذكره ابن الجوزي عن رجل من بني سعد. صفة الصفوة (٢/٢٦٧)، تحقيق أحمد بن علي، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٧٢)، عن أنس.

وقال ﷺ في شأن القرآن الكريم وأهله والعلماء به: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين»^(١). ومع علوه سبحانه فهو قريب مجيب سميع، ولذا يناديه العبد نداءً خفيًا: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. فيسمعه سبحانه ويجيبه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

ويخبر عن نفسه أنه يسمع السر وأخفى، والسر ضد الجهر، وما هو أخفى من السر، فهو الخطرات التي لا يعيها صاحبها، ولا يدركها، والمعاني المكنونة التي لا يحيط المرء بها حتى عن نفسه وذاته، فهناك عالم الأسرار، وهناك اللاشعور واللاوعي، وهناك الخفايا الخلقية التي لم يصل إليها العلم، وهناك الخفايا المستقبلية، فهو مع علوه واستوائه على عرشه محيط بذلك كله، لا تخفى عليه خافية.

ولذا سمى نفسه بذي المعارج ﴿مِنْ أَلَلِّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾، وفسره بقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣، ٤]، وذكر نزول الملائكة والروح ونزول الوحي، كما ذكر ارتفاع الأشياء وصعودها إليه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لَظْفٍ خَفِيٍّ	يَدِقُّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ
وَكَمْ يُسِرُّ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرِ	فَفَرَّجَ كُرْبَةَ الْقَلْبِ الشَّجِيِّ
أَمْرٌ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحًا	وَتَأْتِيكَ الْمَسْرَّةُ بِالْعَشِيِّ
إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَحْوَالُ يَوْمًا	فَثِقْ بِالوَاحِدِ الْفَرْدِ الْعَلِيِّ ^(٢)

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨١٧)، وأحمد (٢٣٢)، وابن ماجه في المقدمة (٢١٨)، عن عمر.

(٢) مع الله لسلمان العودة ص ١٦٤، نشر الإسلام اليوم، ط ٥، ١٤٣٠هـ.

كيف تفهم النصوص التي تثبت الفوقية والعلو لله؟

النصوص التي تثبت الفوقية والعلو لله تعالى، نثبتها كما أثبتها الله تعالى لنفسه، لما جاءت به النصوص الغزيرة الوفيرة في القرآن والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وغيرها من الآيات.

والأحاديث الكثيرة التي ذكرت أن الله في السماء، أو فوق سبع سماوات؛ مثل: «يرحمكم من في السماء»^(١)، «كان الذي في السماء ساخطاً عليها»^(٢)، و«زوّجني الله من فوق سبع سماوات»^(٣).

كل هذه النصوص نثبت ما دلت عليه من وصف لله تعالى، ولكننا نفّسر هذا الإثبات بما فسّره به المحققون من علماء المنهج السلفي، لا بما يفهمه السطحيون من الحشوية الظاهرية، وبعض غلاة الحنابلة.

من هؤلاء المحققين العلامة عماد الدين الواسطي الشافعي الصوفي السلفي، الذي فسّر (العلو) و(الفوقية) تفسيراً موفّقاً وموثّقاً، يمكن أن تجتمع به كلمة المختلفين. والرجل شافعي في الفقه، سلفي في العقيدة، صوفي في السلوك، حتى كان ابن تيمية يسميه (جنيد زمانه) تشبيهاً له بالإمام الربّاني المعروف: الجنيد.

(١) سبق تخريجه ص ١٢٥.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٣٦)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٠)، والترمذي في التفسير (٣٢١٣)، عن أنس.

فقد ذكر في رسالته «النصيحة»^(١): أنه كان برهة من حياته متحيراً في مسألة الفوقية والعلو، ومسألة الصفات، ومسألة الحرف والصوت في كلام الله، وحيرته جاءت مما قاله المتكلمون من علماء الأشاعرة السابقين الذين لهم في صدره منزلة وقدر، وما يقرؤه من آيات الكتاب، وأحاديث الرسول، مما يثبت هذه الأمور بوضوح، حتى شرح الله صدره لما رأى أنه الحق. قال: «فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال، حتى لطف الله بي، وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفاً اطمأن إليه خاطره، وسكن به سرُّه، وتبرهن الحق في نوره، وأنا واصف بعض ذلك إن شاء الله تعالى».

ما انتهى إليه في العلو والفوقية والاستواء:

قال: «والذي شرح الله صدري له في حكم هذه المسائل الثلاث: (العلو، والفوقية، والاستواء):

الأولى: مسألة العلو:

وهو: أن الله وَعَلَى كان ولا مكان، ولا عرش، ولا ماء، ولا فضاء، ولا خلاء، ولا ملاء.

(١) نشرها المكتب الإسلامي في بيروت بتحقيق زهير الشاويش. واقتبس منها السفاريني في شرح عقيدته الشهيرة (لوامع الأنوار الإلهية)، وقد نقل العلامة شبيب الأرناؤوط فقرات منها في مقدمته لكتاب (أقاويل الثقات) الذي حققه - باعتبارها من تصنيف الشيخ أبي محمد الجويني والد إمام الحرمين (ت: ٤٣٨هـ) - تبعاً لما نشر في الرسائل المنيرية، وهو خطأ مؤكداً. وبداية الرسالة تدل على أن مؤلفها متأخر عن عصر أبي محمد. وقد توفي الواسطي سنة ٧١١هـ. كما أن د. محمد عياش الكبيسي في كتابه: الصفات الخبرية، نسبها إلى الشيخ أبي محمد الجويني، وهي قطعاً ليست له، ولم يعرف عن الشيخ التأليف في علم الكلام. إنما عرف بذلك ابنه أبو المعالي.

وأنه كان منفردًا في قَدَمه وأزليَّته، متوحِّدًا في فردانيَّته، سُبْحَانَ اللَّهِ في تلك الفردانية، لا يوصف بأنه فوق كذا، إذ لا شيء غيره، هو سابق التحت والفوق اللذين هما جهتا العالم، وهما لازمان له، والرب تعالى في تلك الفردانية منزّه عن لوازم الحدود.

فلما اقتضت الإرادة المقدَّسة، بخلق الأكوان المُحدَّثة، المخلوقة المحدودة، ذوات الجهات، اقتضت الإرادة أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل، وهو سبحانه مُنَزَّه عن صفات الحدود، فكَوَّن الأكوان، وجعل لها جهتي العلو والسفل، واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الكون في جهة التحت، لكونه مربوبًا مخلوقًا. واقتضت العظمة الربانية أن يكون فوق الكون، باعتبار الكون المحدث لا باعتبار فردانيته، إذ لا فوق فيها ولا تحت، والرب سُبْحَانَ اللَّهِ كما كان في قدمه وأزليته وفردانيته، لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته، ما لم يكن في قدمه وأزليته، فهو الآن كما كان.

لكن لما أحدثَ المربوبُ المخلوق ذا الجهات، والحدود، والخلاء، والملاء، والفوقية، والتحتية، كان مقتضى حُكْم العظمة للربوبية أن يكون فوق ملكه، وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدود من الكون، لا باعتبار القَدَم من المُكَوَّن، فإذا أشير إليه بشيء يستحيل أن يشار إليه من الجهة التحتية، أو من الجهة اليمنة أو اليسرة، بل لا يليق أن يشار إليه إلا من جهة العُلُوّ والفوقية، ثم الإشارة هي بحسب الكون وحدوثه وأسفله، فالإشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة، وتقع على عظمة الرب تعالى كما يليق به، لا كما يقع على الحقيقة المعقولة عندنا في أعلى جزء من الكون؛ فإنها إشارة إلى جسم، وتلك إشارة إلى إثبات.



إذا علم ذلك؛ فالاستواء صفة له كانت في قَدَمه، لكن لم يظهر حكمها إلا عند خلق العرش، كما أن الحساب صفة قديمة له لا يظهر حكمها إلا في الآخرة، وكذلك التجلّي في الآخرة لا يظهر حكمه إلا في مَحَله.

فإذا عُلِمَ ذلك، فالأمر الذي يهرب المتأولون منه، حيث أوّلوا الفوقية: بفوقية المرتبة، والاستواء، فنحن أشد الناس هرباً من ذلك، وتنزيهاً للبارئ ﷻ عن الحد الذي يحصره، فلا يحد بحد يحصره، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته. والإشارة إلى الجهة إنما هو بحسب الكون وأسفله، إذ لا يمكن الإشارة إليه هكذا.

وهو في قدمه سبحانه مُنَزَّه عن صفات الحدوث، وليس في القدم فوقية ولا تحتية، وإن من هو محصور في التحت، لا يمكنه معرفة بارئه إلا من فوقه، فتقع الإشارة إلى العرش حقيقة إشارة معقولة، وتنتهي الجهات عند العرش، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل، ولا يكيّفه الوهم، فتقع الإشارة عليه كما يليق به مجملاً مثبتاً، لا مكيفاً ولا ممثلاً.

وجه آخر من البيان: هو أن الرب سبحانه ثابت الوجود، ثابت الذات، له ذات مقدسة متميزة عن مخلوقاته، يتجلّى يوم القيامة للأبصار، ويحاسب العالم، فلا يجهل ثبوت ذاته وتمييزها عن مخلوقاته، فإذا ثبت ذلك، فقد أوجد الأكوان في محلٍّ وحيزٍ، وهو سبحانه في قدمه مُنَزَّه عن المحل والحيز، فيستحيل شرعاً وعقلاً عند حدوث العالم أن يحل فيه، أو يختلط به؛ لأن القديم لا يحل في الحادث، وليس هو محلاً للحوادث، فلزم أن يكون بائناً عنه، وإذا كان بائناً عنه، فيستحيل أن يكون العالم في جهة الفوق، وأن يكون الرب سبحانه في جهة التحت.

هذا محال شرعاً وعقلاً، فيلزم أن يكون فوقه بالفوقية اللائقة به التي لا تكيف ولا تمثّل، بل تُعلم من حيث الجملة والثبوت، لا من حيث التمثيل والتكيف.

وقد سبق الكلام في أن الإشارة إلى الجهة إنما هو باعتبارنا؛ لأننا في محل وحيّز وحدّ، والقَدَم لا فوق فيه ولا جهة، ولا بد من معرفة الموجد، وقد ثبت بينونته عن مخلوقاته، واستحالة علوها عليه، فلا يمكن معرفته، والإشارة بالدعاء إليه، إلا من جهة الفوق؛ لأنها أنسب الجهات إليه، وهو غير محصور فيها، بل هو كما كان في أزليته وقدمه، فإذا أراد المُحدَث أن يشير إلى القديم فلا يمكنه ذلك إلا بالإشارة إلى الجهة الفوقية؛ لأن المشير في محل له فوق وتحت، والمشار إليه قديم باعتبار قدمه، لا فوق هناك ولا تحت، وباعتبار حدوثنا وتسفلنا هو فوقنا.

فإذا أشرنا إليه تقع الإشارة عليه كما يليق به، لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة إلى الأجسام، لكننا نعلمها من جهة الإجمال والثبوت لا جهة التمثيل، والله الموفق للصواب.

ومن عرف هيئة العالم، ومراكزه من علم الهيئة^(١)، وأنه ليس له إلا جهات العلو والسفل، ثم اعتقد بينونية خالقه عن العالم، فمن لوازم البينونة أن يكون فوقه؛ لأن جميع جهات العالم فوق، وليس إلا المراكز، وهو الوسط.

(١) وهو المعروف الآن بعلم الفلك.



لا حاجة إلى التحريف ولا إلى الوقوف:

إذا علمنا ذلك واعتقدناه، تخلصنا من شبهة التأويل، وعمادة التعطيل، وحماسة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا، وفوقيته واستواءه على عرشه، كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك، والصدر ينشرح له.

فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تأويل الاستواء: بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذلك جهل وعي، مع أن الرب سبحانه وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقفنا عن إثباتها ونفيها، عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياه، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه، ولا نقف في ذلك.

وكذلك التشبيه والتمثيل حماسة وجهالة، فمن وفقه الله للإثبات بلا تحريف، ولا تكييف، ولا وقوف، فقد وقع على الأمر المطلوب منه، إن شاء الله تعالى»^(١).

وتفسير العلو والفوقية لله تعالى بهذه الصفة: لا يثبت أيّ تحيُّز للرب جلَّ جلاله، وهو الذي يفر منه المؤولون؛ لأن التحيُّز من خصائص المادة والجسمية، وعلماء الفيزياء يُعرِّفون المادة بقولهم: هي كل ما يحتاج إلى فراغ يشغله. وبهذا يلتقي دعاة الإثبات ودعاة التأويل على بساط واحد، أو على كلمة سواء.

وبهذا التحقيق نكون مع السلف في موقفهم ولا نخالفهم أو نحيد عن منهجهم.

(١) النصيحة للواسطي ص ١٨ - ٢٢، تحقيق زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٤هـ.

٢ - العظيم:

العظيم من أسمائه تعالى الحسنی، التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية، وانعقد عليها إجماع الأمة، وامتلات بذكرها المساجد، وعمرت بها البيوت، وسبّحت بها الألسنة.

وقد ختمت به آية الكرسي، حيث قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والله ﷻ هو العظيم، وليس هناك أعظم منه، بل هو أعظم من كل خلقه، وهذا أمر بدهي، فلا يمكن أن يكون الخلق في عظمة الخالق.

والله سبحانه قد أمر عباده في غير آية أن يسبّحوا اسم الله العظيم فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤٧، ٩٦، الحاقة: ٥٢]. وأمرنا رسول الله أن نجعلها في ركوعنا فنقول: سبحان ربي العظيم^(١). نسبّح الله العظيم: العظيم في ملكه، العظيم في سلطانه، العظيم في فضله، ففضله على عباده عظيم، لا يستطيع أن يصفه أحد، ولا أن يحده أحد، ولا أن يمسكه عن خلقه أحد، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

فالله ذو الفضل العظيم، وهو سبحانه ذو الأجر العظيم، يقول تعالى عن نفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. فهو يقبل القليل ويعطي الثواب الكثير، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

(١) رواه أحمد (١٧٤١٤)، وقال: إسناده محتمل للتحسين. وأبو داود في الصلاة (٨٦٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (٨٨٧).

هذا كله من عظمة الله وَعَزَّ وَجَلَّ، ولذلك ختم الإمام البخاري جامعه الصحيح بحديث أبي هريرة رضي عنه قال: قال النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(١).

والعظيم اسم من أسماء الجلال، فصفت الله وأسماءه تتعلق بثلاثة أمور: إما بالجمال أو بالجلال أو بالكمال. منها ما يتعلق بالجمال، مثل أسماء: الحنان، المعطي، المنعم، الجميل.. هذه أسماء جمال.

وهناك أسماء الجلال، مثل: العظيم، القدير، القوي، المتين، ذي الجلال، الجليل، وهي الأسماء التي توحى بعظمة الله تبارك وتعالى وبالخشية منه.

وهناك أسماء الكمال: الخالق، البارئ، المصور.

فهذا الاسم (العظيم) من أسماء الجلال.

وهو من الأسماء التي تجري على الخلق، كما وصف القرآن عرش ملكة سبأ، على لسان هدهد سليمان حين قال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. كما وصف الله به أعظم مخلوقاته، وهو العرش الذي استوى عليه جَلَّالَهُ استواء يليق به، كما قال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]. كما وصفه بالكريم أيضاً في نفس السورة: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. فوصف هذا الخلق باسمين من أسمائه تعالى، وبهما وصف الله القرآن،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٦٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٤)، عن أبي هريرة.

بالعظيم والكريم، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧].

وقد ورد في السنة، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض، ورب العرش الكريم»^(١).

«فالعظيم يطلق لمعنيين:

أحدهما: عظم الأجسام وكثرة أجرامها.

والثاني: بمعنى العلو والقدر ورفع المنزلة.

فيستعمل للمحسوس والمعقول. تقول العرب: مَنْ عَظِيمُ بَنِي فُلَانٍ اليوم؟ أي من له العظمة والرياسة منهم. وفيه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. أي رئيس، ولم يريدوا به عظم الخلقة. وفي القرآن: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. أي رفيع جليل.

وقال تعالى في حق نفسه: ﴿وَهُوَ أَلَعَلِّي الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. أي الرفيع، والفعل منه: عَظُمَ - بفتح الفاء وضم العين - والمستقبل يعْظُمُ فهو عظيم في اسم الفاعل، مثل: كرم يكرم فهو كريم. ولا يُشعر بإضافة ولا بشبه ولا تعلُّق، وإنما هو وصف ذاتي في المحدثات، وعظُمُها: كثرة أجزائها، وتراكم أجرامها، وتعدد أحيائها وأقطارها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٠)، عن ابن عباس.



وذلك دليل حدوثها وافتقارها. وعِظْمُ خالقها: عبارة عن: كماله، وجلاله، ودوام بقائه وقدمه أولاً وآخراً، فهو من صفات الذات (كالعلي)، وقد تكون من صفات الأفعال مضافاً إلى من عُظمت ذاته جلالةً وقدرًا؛ كالأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء.

ومن عظم حجمًا واتساعًا كالعرش والكرسي والسموات، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وقد يكون العظيم أيضًا في وصفه بمعنى: المعظم. فيكون وصفًا ذاتيًا له. بمعنى ثنائه على نفسه، وثناء المُثَنِّين عليه من خلقه، المعظمين له بواجب حقه، فهو المعظم والعظيم حقًّا، والعظمة والعِظْم صفة له، والإعظام والتعظيم حال المعظم له، يصيبه عند مشاهدته معاني الجلال والعلاء، والعظمة والجلال، فيحل قلبه إكبارًا له وإجلالًا ومهابة.

فالعظيم إذاً هو: المهيب المهل الهائل؛ لأنه المتناهي في الشرف والسؤدد. وصفته التي هي العظمة تبدو فيما أوجده من عظام مخلوقاته؛ كإيجاد السموات العلأ، والأرضين السفلى، وما بين ذلك إلى تحت الثرى، ثم إلى المنتهى علوًا وسفلاً.

قال الحلبي في معنى العظيم: إنه الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق؛ لأن عظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم، الذي لا يقدر على مقاومته، ولا مخالفة أمره، إلا أنه - وإن كان كذلك - فقد يلحقه العجز بآفات تدخل عليه فيما بيده، فتوهنه وتضعفه، حتى يُستطاع مقاومته، بل قهره وإبطاله، والله جل ثناؤه: قادر لا يعجزه شيء، ولا يمكن أن يُعصى كُرْهًا، أو يُخالف أمره قهرًا، فهو العظيم إذا حقًا وصدقًا، وكان هذا الاسم لمن دونه مجازًا.

وقال الخطابي: العظيم هو ذو العظمة والجلال، ومعناه ينصرف إلى عِظَم الشأن، وجلالة القدر، دون العِظَم الذي هو نعوت الأجسام.

قال ابن الحصار: والأجسام وإن عظمت أقدارها، وتباعدت أقطارها، فخالقها سبحانه محيط بها، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وعرشه محيط بالجميع، والله محيط بهذا كله، قال الله العظيم: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]. وإذا وصفت الأجسام والأجرام بالعظم لفخامتها واتساعها، فالمحيط بها أولى بهذا الوصف. وفي التنزيل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فأخبر سبحانه أن الأجسام العظام في قبضته، ونزه نفسه عن تنزيل ذلك على المعتاد بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، الشورى: ٤]. وعلى مثل ذلك إحاطته سبحانه بجميع مخلوقاته وعرشه وكرسيه، فهو المحيط بكل عظيم المقدار، متباعد الأقطار.

ثم قد يظهر اسمه العظيم جلّ جلاله في أفعال يُحدثها، وأحكام في هذه الجملة يُظهرها، كتجلّيه للجبل فصار دكّا من جلاله وما شاهده من عظّمته^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ»^(٢). ولكن إذا تجلّى الله لشيء من مخلوقات خضع له.

(١) يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١)، كلاهما في الكسوف، عن عائشة.



ثم من المخلوقات من يَعُظَّم بنفاسة الذات وشرف الصفات، وهم الأنبياء والأولياء، على ما تفضَّل به عليهم ربهم ووهبهم، وأنفُسهم ذاتًا وأشرفهم صفةً محمد ﷺ...

لكن كل عظيم يُفرض لغير الله فهو ناقص، وليس بعظيم مطلق؛ لأنه إنما يظهر بالإضافة إلى شيء دون شيء سوى عظمة الله تعالى، فإنه العظيم المطلق لا بطريق الإضافة.

ما على المكلف تجاه اسم الله العظيم:

يجب على كل مكلف أن يعلم وجوب العظمة لله وأن يتواضع لعظمته، كما يجب عليه أن يخضع لعزته. وفي (صحيح مسلم): أن رسول الله ﷺ رأى جبريل ﷺ في صورته التي خلقه الله عليها، منهبطًا من السماء سادًا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض^(١)، وفي حديث آخر: له ستمائة جناح^(٢).

فهذا عبد من عباده، فما ظنك بخالقه العظيم، رب العرش العظيم؟! فلذلك فاعبده كما أمرت ولا تطغ، وميِّز صفاته العُلا من صفاتك الحقيرة، فصفاؤه العظمة والعلاء والألوهية والكبرياء، كما أخبر عن نفسه جل وعز: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما قصمته»^(٣).

فاقتضى هذا تحريم التغاضي عن كل من سواه، ولزوم هذه الأوصاف للخالق الإله، فعظم قدره جلّ ذكره، وعظم أسمائه وصفاته، فلا تذكره

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٧٧)، وأحمد (٢٦٠٤٠)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣٢)، ومسلم في الإيمان (١٧٤)، عن ابن مسعود.

(٣) سبق تخريجه ص ١٥٥.

عند لَهْوِكَ ولَعْبِكَ وأَبَاطِيلِكَ، إِلَّا ذَكَرَ تَعْظِيمَ لِسَانِهِ، وَتَوْقِيرَ لِمَقَامِهِ، وَهَيْبَةٍ لَهُ، حَتَّى يَنْهَاكَ ذَكَرَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

وَكَذَلِكَ عَظَّمَ كِتَبَهُ وَعَظَّمَ رِسَالَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ، وَعَظَّمَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَظَّمَ حَرَمَاتِهِ، وَعَظَّمَ مَنَاسِكَهَ وَمَشَاعِرَهُ وَشَعَائِرَهُ، وَكُلَّ مَا عَظَّمَهُ ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وَأَعْمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَرْضَى الْعَظِيمُ الْحَقُّ جَلَّ وَعَزَّ، وَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا قَدَّمَهُ، وَأَخَّرَ مِنْهُ مَا أَخَّرَهُ، وَعَظَّمَ حُدُودَهُ أَنْ تَتَعَدَّاهَا ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وَكَذَلِكَ فَحَقَّرَ مَا حَقَّرَ اللَّهُ، وَتَعَاظَمَ عَلَى أَعْدَائِهِ وَمُشَاقِّهِ عَلَى السَّبِيلِ الَّتِي يَرْضَاهَا، وَقَابَلَ كُلًّا عَلَى قَدْرِ جُرْمِهِ وَخُرُوجِهِ عَنِ الْهُدَى، وَاتَّبَاعِهِ مَسْلَكَ الرَّدَى، تَكُنْ بِذَلِكَ مِنْ حَزْبِهِ وَأَوْلِيَائِهِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْبَغْضُ فِي اللَّهِ وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ مِنْ أَوْثَقِ عَرَى الْإِيمَانِ»^(١) «^(٢)».

(١) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وقال مخرجه: حسن بشواهده. والطيالسي (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٠): حسن بمجموع طرقه. عن البراء بن عازب.

(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ١٩٧ - ٢٠١.

(ملحق)

بحوث وإضاءات حول أسماء الله تعالى الحسنى

هل أسماء الله تعالى توقيفية أم غير توقيفية؟

المشهور من مذهب أهل السنة: أن أسماء الله وصفاته توقيفية.

وقال المعتزلة والكرامية والقاضي الباقلاني من أهل السنة: إذا دل العقل على أن معنى اللفظ ثابت في حق الله جاز إطلاقه على الله، سواء ورد التوقيف به أو لم يرد.

وتوسط الإمام الغزالي فقال: الأسماء توقيفية دون الصفات^(١). وقال الرازي: وهذا هو المختار^(٢).

لكن قول الباقلاني والمعتزلة ليس على إطلاقه، وبيانه على ما ذكر السعد التفتازاني أنه «لا خلاف في جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري تعالى إذا ورد إذن الشرع، وعدم جوازه إذا ورد منعه، وإنما الخلاف فيما لم يرد به إذن ولا منع، وكان هو موصوفاً بمعناه، ولم يكن إطلاقه موهماً مما يستحيل في حقه؛ فعندنا لا يجوز، وعند المعتزلة

(١) المقصد الأسنى ص ١٧٣.

(٢) لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات للرازي ص ١٨، نشر المطبعة الشرقية، مصر، ط ١، ١٣٢٣هـ.

يجوز، وإليه مال القاضي أبو بكر منا، وتوقف إمام الحرمين، وفصل الإمام الغزالي»^(١).

معنى التوقيف في أسماء الله تعالى:

ذهب بعض العلماء إلى أن التوقيف في أسماء الله تعالى يعني: اشتراط وروده على جهة التسمية أو الوصف، ومنع الاشتقاق، وبه صرح ابن حزم^(٢)، وابن حجر^(٣)، والمناوي^(٤).

فالذي عليه أكثر العلماء والمحققين أن اشتراط التوقيف معناه: اشتراط أصل ورود اللفظ، فيجوز حينئذ الاشتقاق منه بشرط أن يكون المشتق لا يوهم معنى فيه نقص سواء ذلك في الاسم أو الصفة.

وقد أطلقت الأمة بعض الأسماء وتداولتها في كلامها ودعائها من غير نكير، فقد سموا: عبد الباقي وعبد الستار، وغير ذلك.

التوسع في التسمية بأسماء الله الحسنى:

والواقع أن المسلمين توسّعوا في أسماء الله تعالى، فسَمَّوا أبناءهم بأسماء ليست في التسعة وتسعين المروية في سنن الترمذي، مثل: عبد الموجد، وعبد المعبود، وعبد المقصود، وعبد المحسن، وعبد المولى، وعبد المعطي. وحرّفها بعضها، فقال: عبد العاطي. كما سَمَّوا باسم عبد العال، والصحيح: عبد المتعال.

(١) شرح المقاصد في علم الكلام للفتازاني (١١٧/٢)، نشر دار المعارف النعمانية، باكستان، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) الفصل لابن حزم (١٠٨/٢، ٤٣/٣).

(٣) فتح الباري (٢١٧/١١).

(٤) فيض القدير (٤٧٨/٢).

وسمّي كثير منهم أبناءهم بالأسماء التي ذُكرت من الأسماء التسعة وتسعين، مما رواه الترمذي وغيره^(١)، وهو حديث لم تثبت صحته، ومنه أسماء معروفة كثيرة، مثل: أسماء القابض الباسط، الخافض الرافع، المعز المذل، الضار النافع.

وقد سمّي المسلمون أسماءهم بالقسم الإيجابي دون غيره، فسمّوا عبد الباسط، وعبد الرافع، وعبد المعطي، وعبد المعز، دون ما يقابلها، فلم يسمّوا عبد القابض، ولا عبد الخافض، ولا عبد المذل.. إلخ. وهو نوع من التأدّب مع الله تعالى.

ومن المسلمين من عبّدوا أسماء أبنائهم لغير الله تعالى، كالذين سمّوا

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٧)، وقال: حديث غريب... ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث... وليس له إسناد صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦١)، وابن حبان في الأذكار (٨٠٨)، والحاكم في الإيمان (١٦/١)، وقال: لم يخرجوا الأسماء لتفرد الوليد بها وليس ذا بعلة، فالوليد أوثق وأحفظ من أبي اليمان وعلي بن عياش. ووافقه الذهبي، وتعقبه الحافظ في فتح الباري (٢١٥/١١): وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج. وذكر له الحاكم شاهد من طريق عبد العزيز بن حصين (١٧/١)، وقال: عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ثقة، وإن لم يخرجاه، وإنما جعلته شاهداً للحديث الأول. قال الذهبي: بل ضعفوه. ورواه البيهقي في الأسماء والصفات من طريق عبد العزيز بن حصين (١٠)، وقال عقبه: يحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة. وكذلك في حديث الوليد بن مسلم، ولهذا الاحتمال ترك البخاري ومسلم إخراج حديث الوليد في الصحيح. وقال البغوي في شرح السنة (٣٥/٥): يحتمل أن يكون ذكر هذه الأسماء من بعض الرواة وجميع هذه الأسماء في كتاب الله، وفي أحاديث الرسول ﷺ، نصّاً أو دلالة. وقال ابن كثير في تفسيره (٥١٥/٣): الذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه. وقال الحافظ ابن حجر فيما نقله عنه الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (١٥٨٧/٤): اختلف الحفاظ في أن سرد الأسماء هل هو موقوف على الراوي أو مرفوع؟ ورجّح الأول، وأن تعدادها مدرج من كلام الراوي، ومع كل ما تقدم فقد حسنه الإمام النووي في الأذكار ص ١٠٠ - ١٠١!

أبناءهم: عبد الرسول، أو عبد النبي، أو عبد الحسين، أو عبد علي، أو عبد محمد، أو نحو ذلك.

وهو شبيه بمن سمّوا أبناءهم: عبد المسيح، من النصارى. ومن ذلك أن بعض الأعاجم أضافوا كلمة (غلام) بدل كلمة (عبد) مثل: غلام محمد، وغلام أحمد، وغلام علي، وغلام الحسين.. ونحو ذلك.

وكل هذه التسميات محرّمة، فلا تجوز تسمية فيها تعبيد إلا لله، كعبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الملك، وعبد العزيز، وما شابهها من أسماء الله، واستثنوا من ذلك: عبد المطلب، فقد تسمّى به المسلمون، ونُسبوا إليه، وسكت على ذلك النبي ﷺ، ثم الصحابة، ومن اتبعهم بإحسان. بل جاء عن النبي ﷺ أنه قال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب^(١)

ولعلماء العقائد والتفسير بحوث طويلة ومستفيضة حول أسماء الله تعالى، وما يجوز إطلاقه منها على الله تبارك وتعالى، وما لا يجوز، ولهم في ذلك تفصيلات وتدقيقات وتشقيقات، لا نريد أن ندخل فيها ونتوسع.

وحسبنا أن نذكر هنا شيئاً مما ذكره العلماء الكبار المحققون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ففي هذه الآية تنبيه للمؤمنين على اختصاص الله تعالى بالأسماء الحسنى، فيجب عليهم أن يدعوه تعالى بها، كما قال الإمام الغزالي وغيره من أن الأسماء الحسنى هي الكاملة. فالحسنى: تأنيث الأحسن، أفعل تفضيل، ومعنى ذلك: أنها أحسن الأسماء، وأجلّها، لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، كلاهما في الجهاد، عن البراء بن عازب.



﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، من الدعوة بمعنى: التسمية، كقولهم: دعوت ابني زيدًا أو عمًّا. أو من الدعاء بمعنى النداء: كقولهم: دعوت زيدًا أي: ناديته.

ثم قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: «والإلحاد في أسمائه سبحانه أن يسمى بما لا توقف فيه، أو بما يوهم معنى فاسدًا، كما في قول أهل البدو: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا سخي، ونحو ذلك. فالمراد بالترك المأمور به: الاجتناب عن ذلك. وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به، على زعمهم، لا أسماؤه تعالى حقيقة.

ومن فسّر الإلحاد في الأسماء بما ذكر، ذهب إلى أن أسماء الله تعالى توقيفية، يُراعى فيها الكتاب والسنة والإجماع، فكل اسم ورد في هذه الأصول جاز إطلاقه عليه جل شأنه، وما لم يرد فيها لا يجوز إطلاقه، وإن صحَّ معناه. وبهذا صرح أبو القاسم القشيري في «مفاتيح الحجب ومصابيح النهج».

توقف الأمدي في اشتراط التوقيف وعدمه:

وفي «أبكار الأفكار» للعلامة الأمدي: ليس مأخذ جواز تسميات الأسماء الحسنى دليلًا عقليًا، ولا قياسًا لفظيًا، وإلا لكان تسمية الرب تعالى فقيهاً عاقلًا، مع صحة معاني هذه التسميات في حقه، وهي العقل والفقه؛ أولى من تسميته ﷺ بكثير مما يُشكل ظاهره. بل مأخذ ذلك إنما هو الإطلاق والإذن من الشارع، فكل ما ورد الإذن به منه، جَوَّزناه، وما ورد المنع منه، منعناه، وما لم يوجد فيه إطلاق ولا منع، فقد قال بعض أصحابنا بالمنع منه، وليس القول بالمنع مع عدم ورود المنع منه أولى من القول بالجواز مع عدم ورود التجويز؛ إذ المنع والجواز حُكْمَانِ،

وليس إثباتُ أحدهما مع عدم دليله أولى من الآخر، بل الحق في ذلك هو الوقف، وهو أننا لا نحكم بجواز ولا منع^(١).

والمتَّبِع في ذلك كله الظواهر الشرعية، كما هو المتَّبِع في سائر الأحكام، وهو أن يكون ظاهرًا في دلالة، وفي صحته، ولا يشترط فيه القطع، كما ذهب إليه بعض الأصحاب، لكون المنع والجواز من الأحكام الشرعية، والفرقة بين حكم وحكم في اشتراط القطع في أحدهما دون الآخر، تحكُّم لا دليل عليه^(٢).

ما ذكره ابن كثير:

قال الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، إنه وَثَرٌ يحب الوتر»^(٣).

أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عنه. ورواه البخاري، عن أبي اليمان، عن شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد به.

(١) انظر: أبكار الأفكار في أصول الدين للآمدي (٥٠١/٢)، تحقيق أ. د. أحمد محمد المهدي، نشر دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) روح المعاني للآلوسي (١١٣/٥)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٩.



وأخرجه الترمذي، عن الجوزجاني، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شعيب فذكر بسنده مثله، وزاد بعد قوله: «يحب الوتر، هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الباري، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»^(١).

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء، إلا في هذا الحديث.

ورواه ابن حبان في صحيحه، من طريق صفوان، به.

وقد رواه ابن ماجه في سننه، من طريق آخر عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعاً، فسرّد الأسماء، كنحو ما تقدم بزيادة ونقصان.

(١) سبق تخريجه ص ٣٧١.

والذي عوّل عليه جماعة من الحفاظ: أن سرد الأسماء في هذا الحديث مُدْرَج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد، أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم: أنهم قالوا ذلك. أي: أنهم جمعوها من القرآن، كما ورد عن جعفر بن محمد، وسفيان بن عيينة، وأبي زيد اللغوي، والله أعلم.

ثم لِيُعْلَمَ أن الأسماء الحسنی ليست منحصرة في التسعة والتسعين، بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حُكْمِكَ، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همّي. إلا أذهب الله همّه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً». فقل: يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: «بلى، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها»^(١).

(١) رواه أحمد (٣٧١٢)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبه في الدعاء (٢٩٩٣٠)، والبزار (١٩٩٤)، وابن حبان في الرقائق (٩٧٢)، والحاكم في الدعاء (٥٠٩/١)، وصححه على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. وتعبه الذهبي فقال: وأبو سلمة لا يدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٢٩) بعد أن نسبه لأحمد وأبي يعلى والبزار: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان. وانتهى الشيخ شاکر من بحثه إلى توثيق أبي سلمة، وسلامة الحديث من إرسال عبد الرحمن عن أبيه. كما صحح الحديث الألباني وأشبع فيه القول (١٩٨)، وذهب مذهبهما الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان، ورجع عن ذلك في تعليقه على المسند، وقال: أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو، فهو في عداد المجهولين.



وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البُستي في صحيحه بمثله.
 وذكر الفقيه الإمام أبو بكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه
 «عارضة الأحوزي بشرح الترمذي»: أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة
 من أسماء الله ألف اسم، فالله أعلم»^(١).

وقد نقل الألوسي أنه قال بعد ذلك: وهذا قليل. قال: وهو كما قال.
 قال الألوسي: وعن بعضهم: أنها أربعة آلاف. وعن بعض الصوفية: أنها
 لا تكاد تحصى^(٢).

نظرة في الأسماء الواردة في حديث الترمذي:

في بعض الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في حديث الترمذي
 أسماء لم ترد في القرآن، مثل اسم: (الواجد)، أي: الذي يجد ما يريد،
 وكذلك: (الوالي)، ليس في القرآن إلا مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ
 دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].. والذين اقتصرُوا على الأسماء التي في حديث
 الترمذي لم يستوعبُوا بقية الأسماء.

انظر مثلاً إلى سورة الفاتحة، القرآن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فلم يذكروا من ضمن الأسماء: (رب العالمين)!
 وكذلك ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وفي سورة الإخلاص ذكروا
 ضمن هذه التسعة والتسعين (الصمد)، ولم يذكروا (الأحد)!

وفي سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، لم يذكروا رب
 الفلق، وكذلك في سورة الناس: رب الناس، ملك الناس، إله الناس:

(١) عارضة الأحوزي (٢٨١/١٠)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، وانظر: تفسير ابن كثير (٥١٥/٣).

(٢) روح المعاني (١١٥/٥).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٣] لم تُذكر في الأسماء التسعة والتسعين.

فإن قيل: هذه الأسماء فيها إضافة، قلنا: ذكروا في التسعة والتسعين التي في حديث الترمذي أسماء فيها إضافة، مثل: مالك الملك، وذو الجلال والإكرام.

وهم بدؤوها بـ «هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس» وتركوا اسمًا ذكر في بداية الآية التي سردت هذه الأسماء وهو عالم الغيب والشهادة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]!

فهناك صفات وأسماء كثيرة في القرآن ما كان ينبغي أن تُترك. ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥].

فمن أسماء الله تعالى: (فالق الحب والنوى)، و(مخرج الحي من الميت)، و(مخرج الميت من الحي)، و(مولج الليل في النهار)، و(مولج النهار في الليل)، كل هذه من أسماء الله الحسنى.

أسماء الله الحسنى في القرآن واسعة، وينبغي لمن يدعو الله ﷻ أن يستحضرها، وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «اللهم فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن..»^(١). ويدعو الله ﷻ بها، مع أن هذه الأسماء ليست موجودة في التسعة والتسعين المشهورة.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٣)، وأحمد (٩٢٤٧)، عن أبي هريرة.

كلام ابن الوزير حول أسماء الله الحسنى:

بعد أن أنهى الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير الحسني اليمني الصنعاني: القسم الأول من كتابه «إيثار الحق على الخلق»: شرع في القسم الثاني وتحدث فيه عن (المهم من المسائل العقدية التفصيلية)، ومنها ما يتعلق بالأسماء الحسنى، قال: «المهم الأول: مقام معرفة كمال هذا الرب الكريم، وما يجب له من نعوته وأسمائه الحسنى.

وذلك من تمام التوحيد الذي لا بد منه؛ لأن كمال الذات بأسمائها الحسنى ونعوتها الشريفة، ولا كمال لذات لا نعت لها ولا اسم، ولذلك عُدَّ مذهب الملاحدة في مدح الرب بنفيها من أعظم مكايدهم للإسلام؛ فإنهم عكسوا المعلوم عقلاً وسمعاً، فذمُّوا الأمر المحمود، ومدحوا الأمر المذموم، القائم مقام النفي والجحد المحض، وضادُّوا كتاب الله ونصوصه الساطعة، قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال ﷻ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. فما كان منها منصوصاً في كتاب الله، وجب الإيمان به على الجميع، والإنكار على من جحده، أو زعم أن ظاهره اسم ذم لله سبحانه، وما كان في الحديث وجب الإيمان به على من عرف صحَّته، وما نزل عن هذه المرتبة أو كان مختلفاً في صحَّته، لم يصح استعماله، فإن الله أجلُّ من أن يُسمَّى باسم لم يُتحقَّق أنه تسمَّى به.

وعادة المتكلمين أن يقتصروا هنا على اليسير من الأسماء، ولا ينبغي ترك شيء منها، ولا اختصاره، فإن ذلك كالاختصار للقرآن الكريم، ولو كان منها شيء لا ينبغي اعتقاده ولا ذكره، ما ذكره الله تعالى في القرآن العظيم.

وعادة بعض المحدثين أن يوردوا جميع ما ورد في الحديث المشهور في تعدادها، مع الاختلاف الشهير في صحته^(١)، وحسبك أن البخاري ومسلمًا تركا تخريجه مع رواية أوله^(٢)، واتفاقهما على ذلك يشعر بقوة العلة فيه، كما أوضحته في «العواصم»^(٣)، ولكن الأكثرين اعتمدوا ذلك تعرضًا لفضل الله العظيم في وعده من أحصاها بالجنة - كما اتفق على صحته - وليس يستيقن إحصاؤها بذلك، إلا لو لم يكن لله سبحانه اسم غير تلك الأسماء. فأما إذا كانت أسمائه سبحانه أكثر من أن تُحصى، بطل اليقين بذلك، وكان الأحسن الاقتصار على ما في كتاب الله، وما اتفق على صحته بعد ذلك، وهو النادر، كما يأتي.

وقد ثبت أن أسماء الله تعالى أكثر من ذلك المروي بالضرورة والنص: أما الضرورة، فإن في كتاب الله أكثر من ذلك.. وأما النص، فحديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ^(٤) «^(٥)».

ابن الوزير يختار مائة وخمسة وخمسين اسمًا بالنص الصريح:

قال ابن الوزير: «وثبت أن حصر الأسماء التسعة والتسعين لا يُنال إلا بتوفيق الله تعالى كساعة الإجابة يوم الجمعة؛ لأنها مُجملة في أسماء الله،

(١) انظر: التلخيص الحبير لابن حجر (٢٥٣١)، فقد استوفى الكلام على هذا الحديث.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩، وفيه: «إن لله تسعة وتسعين اسما...».

(٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٢٢٩/٧ - ٢٣٢)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤) وهو حديث: «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك». سبق تخريجه ص ٣٧٦.

(٥) إثبات الحق على الخلق ص ١٥٧، ١٥٨.

فلنذكر هنا ما وجدناه منصوصاً من الأسماء في كتاب الله باليقين من غير تقليد؛ فإنها أصحُّ الأسماء وأحبها إلى الله تعالى، حيث اختارها في أفضل كُتبه لأفضل أنبيائه.

والذي عرفتُ منها إلى الآن بالنص صريحاً دون الاشتقاق في القرآن: مائة وخمسة وخمسون، غير الممدوح السلبيه، وفيها اسم واحد بالمفهوم المعلوم، وهو الأعز، ذكره ابن حجر في تلخيصه، ولم أجده بنصه، فذكرته فيها، ولم أحسبه في العدد المذكور، وهو أَخَذَهُ من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، جواباً على قول المنافقين: ﴿لِيُخْرِجَكَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

وهي هذه، وهي الاعتقاد متى سأل عنه سائلٌ:

هو الله، الذي لا إله إلا هو، الإله، الصمد، الواحد، الأحد، الرحمن، الرحيم، ذو الرحمة الواسعة، أرحم الراحمين، خير الراحمين، العفو، الغفور، الغافر، الغفار، واسع المغفرة، أهل التقوى وأهل المغفرة، خير الغافرين، الحاكم، الحَكَم، الحكيم، الأحكم، أحكم الحاكمين، خير الحاكمين، العالم، العليم، الأعلم، علام الغيوب، الرب، البر، الواسع، الموسع، الملك، المليك، المالك، مالك الملك، الرازق، الرزاق، خير الرازقين، الخالق، الخلاق، أحسن الخالقين، الناصر، نعم النصير، خير الناصرين، الحافظ، الحفيظ، خير الحافظين، الأقوى، ذو القوة، المتين، العلي، الأعلى، المتعال، القادر، القدير، المقتدر، نعم القادر، العزيز، الأعز، الشاكر، الشكور، قابل التوب، التَّوَاب، المجيب، القريب، الأقرب، الحي، القيوم،

القائم على كل نفس بما كسبت، الفاعل، الفَعَّال لما يريد، الوارث،
خير الوارثين، الكريم، الأكرم، فائق الإصباح، فائق الحب والنوى،
العظيم، الأعظم، الولي، نعم المولى، الشاهد، الشهيد، الكبير، الأكبر،
القاهر، القَهَّار، نعم القادر، نعم الماهد، الكفيل، نعم الوكيل،
المستمع، السميع، البصير، البديع، الرؤوف، الحليم، الرشيد،
السريع، المبين، الخبير، المُبْرَم، الغني، الحميد، المجيد، الوهاب،
الجامع، المحيط، الكافي، الحسيب، الحاسب، المُقْتِ، الرقيب،
كاشف الضر، الفاطر، الكاتب، المبتلي، اللطيف، الصادق، الحق،
الودود، الحفي، المستعان، الفاتح، الفتّاح، نور السماوات والأرض،
الهادي، رفيع الدرجات، الرافع، المنتقم، الزارع، المُنْزِل، المنشئ،
الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن،
الجَبَّار، المتكبر، البارئ، المصوّر، مُخْرِج الحَيِّ من الميت، ومخرج
الميت من الحي، جاعل الليل سكناً، المُنْذِر، المرسل، خير الفاصلين،
أسرع الحاسبين، خير المنزلين، عدو الكافرين، ولي المؤمنين، خير
الماكرين، المتمّم نوره، الغالب على أمره، البالغ أمره، ذو الطّول، ذو
المعارج، ذو الفضل، العظيم، ذو العرش العظيم، ذو الانتقام، ذو
الجلال والإكرام. انتهى ما عرفته من الأسماء الحسنی، نفعا الله بها
وببركاتها، وهي مائة ونيف وخمسون»^(١).

حرص ابن الوزير على تركه التكرار:

قال ابن الوزير: «وقد تركت التكرار، فاكتفيتُ باسم الرب عن رب
كل شيء، ورب العالمين، ورب العزة، ورب العرش العظيم، ورب

(١) إيثار الحق ص ١٦٠، ١٥٩.

الملائكة والروح، واكتفيت بالواسع عن واسع المغفرة، وواسع كل شيء رحمة وعلمًا، ونحو ذلك.

وتركت ما كان من صفات أفعاله وأسمائه؛ مثل شديد العقاب، وسريع الحساب، ونحو ذلك؛ لأنه لم يسم نفسه بها، ولا علمت أحدًا عدّها في أسمائه، بل عدّت في أفعاله ﷺ؛ لأنه لا فرق في المعنى بين قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢، الحشر: ٧]، وبين قوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]. فتأمل ذلك.

وذكر الغزالي في «المقصد الأسنى»^(١) أن ما كان يُطلق على العباد من أسمائه تعالى على جهة الحقيقة، مثل: الزارع والكاتب؛ لم يطلق على الله مجردًا، بل يطلق حيث أطلقه على لفظه، مع ما يتعلق به من السياق، وهذا حيث يُخاف اللبس والتشبيه واجبٌ، وحيث يُؤمن أدبٌ حسنٌ واحتياطٌ جيد. والله سبحانه أعلم^(٢).

ثم قال رحمه الله: «ومما ينبغي تلاوته لمن تعرض لرحمة الله سبحانه في فضل إحصاء التسعة والتسعين اسمًا: الحروف المقطعة في أوائل السُّور احتياطًا؛ لأنه قد قيل: إنها أسماء الله تعالى، أو رمز إلى أسماء شريفة^(٣). ولم يصح، وليس هذا موضعها، لعدم صحة ذلك، وإنما ذكرت ذلك إرشادًا لمن يحب الفائدة.

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص ١٧٥.

(٢) إيثار الحق على الخلق ص ١٦٠، ١٦١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٥٥/١) وما بعدها، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار

الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

ما صح من الأسماء في السنة:

وليس في الصحيحين مما ليس في كتاب الله تعالى، إلا المقدم والمؤخر، في حديث ابن عباس، في دعاء النبي ﷺ حين يقوم من الليل والوتر^(١).

ومنها أيضاً من حديث أبي هريرة الذي سُرِدَت الأسماء الحسنى في آخره^(٢).

وزاد ابن حزم ممّا ادّعى صحته: السيد، الشُّبُوح، الحق، الوتر، الدهر، المسعر، المحسن، المحسّان، الجميل، الرفيق، الشافي، المعطي. ولم ينسبها إلي حديث أبي هريرة، لكن تتبعها من أحاديث متفرقة، وكذلك (الطبيب) خرّجه أبو داود^(٣) والترمذي^(٤) والنسائي^(٥)، بإسناد

(١) أصل الحديث متفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٢٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٩)، ولم يذكر مسلم: «أنت المقدم وأنت المؤخر». وإنما أخرجاه من حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «رب اغفر لي خطيئتي وجهلي... أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير». رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩). ولمسلم في صلاة المسافرين (٧٧١)، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئاً... ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم... أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

(٢) سبق تخريجه ص ٣٧١.

(٣) رواه أحمد (١٧٤٩٢)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. وأبو داود في الترجل (٤٢٠٦، ٤٢٠٧)، عن أبي رمثة. بلفظ: انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ: فإذا هو ذو وفرة بها ردع حناء، وعليه بردان أخضران. وزاد في رواية: فقال له أبي: أرني هذا الذي بظهرك، فإني رجل طبيب. قال: «الله الطبيب، بل أنت رجل رفيق، طبيبها الذي خلقها».

(٤) رواه الترمذي في الأدب (٢٨١٢)، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن إباد. الجزء الأول منه.

(٥) رواه النسائي في صلاة العيدين (١٥٧٢)، الجزء الأول منه.

على شرط الشيخين، لكن قال الترمذي: إنه غريب من حديث عبد الله بن إيراد عن أبي رمثة الصحابي مرفوعاً.

ومنها: مقلَّب القلوب. لأن رسول الله ﷺ كان يُقسم به^(١). وزاد الترمذي في الحديث المختلَّف فيه ممَّا لم أجده بنصه في القرآن خمسة وعشرين اسمًا، وهي: القابض، الباسط، الخافض، المعز، المذل، العدل، الجليل، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الواجد - بالجيم - الماجد، المقدم، المؤخر، الوالي، المقسط، المغني، المانع، الضار، النافع، الباقي، الرشيد، الصبور^(٢).

وزاد ابن ماجه على الترمذي في حديث أبي هريرة هذا: الراشد، البرهان، الواقى، القائم، الناظر، السامع، الأبد، العالم، المنير، التام، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد^(٣).

وفي إطلاق بعض هذه نظر، مع عدم صحة الإسناد.

وزاد الحاكم على الترمذي في المستدرک في هذا الحديث المختلَّف فيه بعينه: الحنان، المنان، الدائم، الجميل، القديم، الوتر، المدبر، الشاكر، الرافع. وزاد عليه أيضاً مما في القرآن: الإله، الرب، الفاطر، المليك، المالك، الأكرم. وذكرُ الرفيع فيها؛ إذ لم يجعله، مثل رفيع الدرجات. وفي حديث آخر: «إن الله المسعّر»^(٤). رواه الخمسة إلا النسائي،

(١) رواه البخاري في القدر (٦٦١٧)، عن ابن عمر.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٧١.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٧١.

(٤) رواه أحمد (١٤٠٥٧)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الإجارة

(٣٤٥١)، والترمذي في البيوع (١٣١٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في التجارات (٢٢٠٠)،

وصححه الألباني في غاية المرام (٣٢٣)، عن أنس.

وصحّحه الترمذي من حديث أنس، ذكره صاحب «المنتقى» في التسعير^(١).

وفي البخاري ومسلم منها: الوتر^(٢)، المقدم، المؤخر^(٣).
وفي مسلم منها: الرفيق^(٤).

وصحّح ابن ماجه منها: السيّد، السُّبُوح، الجميل، المَحْسَنان، المسعّر، القابض، الباسط، الشافي، المعطي، الدهر^(٥). قال ابن ماجه بعد سردها: ثم قال زهير: وبلغنا عن غير واحد من أهل العلم أن أولها يفتح بقول: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله له الأسماء الحسنی.

وأكثر هذه، أو كثير منها صحيح المعنى بالإجماع، فلا بأس بإلحاق المجمع عليه منها بما في القرآن، لما تقدم في حديث ابن مسعود من قوله ﷺ: «أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ»^(٦).

(١) المنتقى من أخبار المصطفى للمجد ابن تيمية (٣٥٢/٢، ٣٥٣)، نشر المكتبة التجارية، مصر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٤١٠)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في استتابة المرتدين (٦٩٢٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٩٣)، عن عائشة.

(٥) هكذا عزاه لابن ماجه في الدعاء (٣٨٦١)، وهناك بعض الأسماء لم تذكر في رواية ابن ماجه: «السيّد، السُّبُوح، المَحْسَنان، المسعّر، الشافي، الدهر». وإن كانت جاءت في أحاديث أخرى صحيحة. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٤٨/٤): لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنی من هذا الوجه ولا من غيره غير ابن ماجه والترمذي. مع تقديم وتأخير، وإسناده طريق ابن ماجه ضعيف لضعف عبد الملك بن محمد.

(٦) سبق تخريجه ص ٣٧٦.

الأسماء المشتقة من الأفعال الربانية الحميدة:

وأما المشتقات من الأفعال الربانية الحميدة، فلا تُحصى، وقد جمع بعضهم منها ألف اسم، مثل: كاتب الرحمة على نفسه، المحمود، العادل، المعبود، المُحَكِّم، المُنْعِم، مَتَمُّ النُّعْمَةِ، المُطْعِم، المُقَدِّر، القاضي، المدبِّر، الحق، الشافي، الباري، الماحي، المُثَبِّت، المؤيِّد، الكافي، القاسم، العاصم، القاصم، الدافع، المُدافع، المُمْلِي، الآخذ، المُجِير، المُزَكِّي، الموقِّق، المَصْرَف، المُمَكِّن، مَقْلَبُ الليل والنهار، الصانع، الواقِي، المتكلِّم، المريد، المرجو، المَخُوف، المَخْشِي، المرهوب، السابق، الديان، المُسْتَجَار، المستعاذ، المَعَاذ، المَلْجَأ، المُنْجِي، المُنْجِي.

ولو ذكر منها ما كان من خواص الربوبية كان حميداً، وذلك مثل: المحيي المميت، خاصة ما جاء في القرآن صلة للذي ونحوه؛ كقول الخليل عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٨١]؛ لأن الموصول وصلته في حكم الواحد. والله أعلم.

الأسماء غير المشتقة من ألفاظ القرآن:

وأما أنواع الثناء من غير اشتقاق من ألفاظ القرآن فلا تُحصى، مثل: قديم الإحسان، دائم المعروف، المُسْتَعَاث، المأمول، وأمثال ذلك، ممَّا لا منع لما أُجْمِعَ عليه منه، والظاهر جواز هذين النوعين - الأسماء المشتقة من الأفعال، والأسماء غير المشتقة من ألفاظ القرآن - لأنهما من الأخبار الصادقة، والله أعلم، وذلك فيما كان مُجْمَعاً عليه على أنه حسنٌ لا قبح فيه، وثناء جميل لا ذمَّ فيه، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وإلا فالإقتصار على المنصوصات عند الاختلاف لازم، وهو موضوع الكتاب.

الممادح السلبية في شأنه تعالى:

وأما الممادح السلبية في كتاب الله تعالى، فاعتقادها لازم، وإن لم تكن أسماء في عُرف أهل العربية، لكنها نعوت حق واجبة بنص القرآن لله تعالى، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وليس له سميٍّ، فإنه معلوم من قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وأنَّ العباد لا يحيطون به علمًا، كما قال في سورة طه^(١)، بل ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وإنما استثنى في معلوماته المخلوقة، وأما في ذاته المقدسة العزيرة، فأطلق النفي، ولم يستثن أحدًا ولا شيئًا، ولو كان يريد أن يختص أحدًا بذلك، لاستثناه كما استثنى من الإحاطة بعلمه وَعَلَىٰ.

ومن ذلك: أنه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وأنه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأنه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأنه خلقهما في ستة أيام وما مسه من لغوب^(٢)، وأنه ﴿لَيْسَ بِظِلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، وأنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها^(٣)، وما في معناها، ولا يريد بنا العسر^(٤)، وما جعل علينا في الدين من حرج^(٥)، وأنه لا يجوز عليه اللعب والعبث وخلو أفعاله عن الحكمة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

(١) يعني قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].
(٢) كما في الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

(٣) كما في الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(٤) كما في الآية: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(٥) كما في الآية: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

بَيْنَهُمَا لَعِينٌ ﴿ [الدخان: ٣٨]، وقوله: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وأمثال هذه الآيات في حكمته في خلق الأرضين والسموات، وأنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر^(١)، ولا يحب الفساد^(٢)، ولا يُبَدِّل القول لديه تبديلاً قبيحاً^(٣)، بخلاف التبديل الحسن؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ [النحل: ١٠١]، والآيات النسخ، وأنه لا يخلف الميعاد، وأنه تعالى يجير ولا يجار عليه، ويطعم ولا يطعم، وأنه لا شريك له في الملك، ولا ولي له من الذل.

وإن هذه الآيات دلَّت على ما أجمعت عليه الأمة إجماعاً ضرورياً، وعُلم من الدين علماً ضرورياً: أنه تعالى منزّه عن كل نقص وعيب، مما يقع في أسماء المخلوقين، سواء كان من أسماء الذم لهم، كالظلم واللعب والجهل، أو من أسماء النقص فيهم، كالفقر والضعف والعجز، وسائر ما يجوز على الأنبياء والأولياء وأهل الصلاح.

الأسماء المطلقة على العباد بنقص وعلى الله بالكمال:

وأما أسماء المدح التي تطلق على العباد على وجوه تستلزم النقص، وتطلق على الله تعالى على وجوه تستلزم الكمال، وهي صفات العلم والقدرة والرحمة والحياة، ونحو ذلك، فإنها تطلق على الله تعالى على جهة الكمال كما أطلقها، مجردة عن نقائص المخلوقين التي تعرض فيها بأسباب تخصُّهم دونه تعالى، فهذا هو اعتقادنا، واعتقاد أهل الحق،

(١) كما في الآية: ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧].

(٢) كما في الآية: ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

(٣) كما في الآية: ﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩].

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله رب العالمين»^(١).

الاختلاف بين الاسم والمسمى:

قال القرطبي في تفسيره لآية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]: «اختلف العلماء من هذا الباب في الاسم والمسمى، وقد ذكرنا ما للعلماء من ذلك في (الكتاب الأسنى). قال ابن الحصار: وفي هذه الآية وقوع الاسم على المسمى ووقوعه على التسمية. فقوله: ﴿وَلِلَّهِ﴾، وقع على المسمى، وقوله: ﴿الْأَسْمَاءُ﴾، وهو جمع اسم واقع على التسميات. يدل على صحة ما قلناه.

قوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، والهاء في قوله: ﴿فَادْعُوهُ﴾، تعود على المسمى ﷻ، فهو المدعو. والهاء في قوله: ﴿بِهَا﴾ تعود على الأسماء، وهي التسميات التي يدعى بها لا بغيرها، هذا الذي يقتضيه لسان العرب. ومثل ذلك قول رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد..» الحديث^(٢). وقد تقدّم في البقرة شيء من هذا، والذي يذهب إليه أهل الحق أن الاسم هو المسمى، أو صفة له تتعلق به، وأنه غير التسمية.

كلام ابن العربي:

قال ابن العربي عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]: فيه ثلاثة أقوال:

(١) إيثار الحق على الخلق ص ١٦٢ - ١٦٥.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٤)، عن جبير بن مطعم.

الأول: قال بعض علمائنا: في ذلك دليل على أن الاسم هو المسمَّى؛ لأنه لو كان غيره لوجب أن تكون الأسماء لغير الله تعالى.

الثاني: قال آخرون: المراد به التسميات؛ لأنه سبحانه واحد والأسماء جمع.

قلت: ذكر ابن عطية في تفسيره أن الأسماء في الآية بمعنى التسميات إجماعاً من المتأولين لا يجوز غيره^(١). وقال القاضي أبو بكر في كتاب (التمهيد): وتأويل قول النبي ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة»^(٢). أي: إن له تسعة وتسعين تسمية بلا خلاف، وهي عبارات عن كون الله تعالى على أوصاف شتَّى، منها ما يستحقه لنفسه، ومنها ما يستحقه لصفة تتعلق به، وأسماءه العائدة إلى نفسه هي هو، وما تعلق بصفة له فهي أسماء له. ومنها صفات لذاته، ومنها صفات أفعال. وهذا هو تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...﴾. أي: تسميات^(٣).

الثالث: قال آخرون منهم: والله الصفات.

وسمى الله سبحانه أسماءه بالحسنى؛ لأنها حسنة في الأسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وإفضاله. والحُسنى مصدر وُصِفَ به، ويجوز أن يقدر الحسنى (فُعْلى)، مؤنث الأحسن، كالكبرى تأنيث الأكبر، والجمع الكُبر والحُسْن.

(١) المحرر الوجيز لا بن عطية (٤٨٠/٢)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩.

(٣) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل للباقلاني ص ٢٦٣، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

وعلى الأول أفرد كما أفرد وصف ما لا يعقل، كما قال تعالى: ﴿مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨]، و﴿يَجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠].

دعاء الله بأسمائه الحسنی:

وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، أي اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم، ارحمني، يا حكيم، احكم لي، يا رازق، ارزقني، يا هادي، اهديني، يا فتاح، افتح لي، يا تواب، تُب عليّ.. هكذا. فإن دعوتَ باسم عام، قلت: يا مالك، ارحمني، يا عزيز، احكم لي، يا لطيف، ارزقني. وإن دعوت بالأعم الأعظم فقلت: يا الله. فهو متضمن لكل اسم. ولا تقول: يا رزاق، اهديني. إلا أن تريد يا رزاق ارزقني الخير. قال ابن العربي: وهكذا، رتب دعاءك تكن من المخلصين. والحمد لله. وأدخل القاضي أبو بكر بن العربي عدة من الأسماء في أسمائه سبحانه، مثل متم نوره، وخير الوارثين، وخير الماكرين، ورابع ثلاثة، وسادس خمسة، والطيب، والمعلم، وأمثال ذلك»^(١).

معنى الإلحاد في أسماء الله تعالى والتحذير منه:

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. فيه مسألتان:

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٦/٧، ٣٢٧). ولم نقف على ذكر المعلم من أسمائه تعالى. ولعله في كتاب (الأمد الأقصى) الذي أشار إليه في أحكام القرآن (٣٣٣/٧). وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]، وقوله: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ٢]، وقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

الأولى: قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ﴾، الإلحاد: الميل وترك القصد. يقال: ألحد الرجل في الدين، وألحد إذا مال، ومنه اللحد في القبر؛ لأنه في ناحيته. وقرئ (يُلْحِدُونَ)^(١). لغتان. والإلحاد يكون بثلاثة أوجه:

أحدها: بالتغيير فيها، كما فعله المشركون، وذلك أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسُمُّوا بها أوثانهم، فاشتقوا (اللات) من (الله)، و(العزى) من (العزیز)، و(مناة) من (المَنان). قاله ابن عباس^(٢) وقتادة.

الثاني: بالزيادة فيها.

الثالث: بالنقصان منها، كما يفعله الجهَّال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الله تعالى بغير أسمائه، ويذكرونه بغير ما يذكُر من أفعاله، إلى غير ذلك مما لا يليق به.

قال ابن العربي: فحذارٍ منها، ولا يدعُونَ أحدكم إلا بما في كتاب الله، والكتب الخمسة، وهي: البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي. فهذه الكتب التي يدور الإسلام عليها، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف. وذروا ما سواها، ولا يقولَنَّ أحدكم أختار دعاءً كذا وكذا، فإن الله قد اختار له، وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله ﷺ.

(١) قرأ حمزة الثلاثة الأحرف - [الأعراف: ١٨٠، النحل: ١٠٣، فصلت: ٤٠]، بفتح الياء والحاء. وقرأ الكسائي في النحل: (الَّذِينَ يُلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء. انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٩٨، تحقيق شوقي ضيف، نشر دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٤٠٠هـ.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨٢/١٣).

الثانية: معنى الزيادة في الأسماء: التشبيه، والنقصان: التعطيل. فإن المشبهة وصفوه بما لم يأذن فيه، والمعطلة سلبوه ما اتصف به؛ ولذلك قال أهل الحق: إن ديننا طريق بين طريقين، لا بتشبيه ولا بتعطيل. وسئل الشيخ أبو الحسن البوشنجي عن التوحيد، فقال: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات، ولا معطلة من الصفات.

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: معناه اتركوهم، ولا تحاجوهم، ولا تعرضوا لهم.

وقيل: معناه الوعيد لهم، كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدر: ١١]، وقوله: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ [الحجر: ٣]. وهو الظاهر من الآية، لقوله تعالى: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ والله أعلم^(١).

مناسبة الآية لما قبلها:

قال أبو حيان في «البحر المحيط» يبين مناسبة الآية للآيات قبلها: «ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أنه ذرأ كثيرًا من الجن والإنس للنار، ذكر نوعًا منهم، وهم الذين يلحدون في أسمائه، وهم أشد الكفار عتيًا، أبو جهل وأضرابه.

وأيضًا لما نبه على أن دخولهم جهنم هو للغفلة عن ذكر الله، والمخلص من العذاب هو ذكر الله؛ أمر بذكر الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، والقلب إذا غفل عن ذكر الله، وأقبل على الدنيا وشهواتها، وقع في الحرص، وانتقل من رغبة إلى رغبة، ومن طلب إلى طلب، ومن ظلمة إلى ظلمة، وقد وجدنا ذلك بالذوق، حتى إن

(١) تفسير القرطبي (٧/٣٢٨).

أحدهم ليصلي الصلوات كلها قضاء في وقت واحد، فإذا انفتح على قلبه باب ذكر الله تعالى تخلص من آفات الغفلة، وامثل ما أمره الله به، واجتنب ما نهى عنه»^(١).

وقيل: ﴿الْحُسْنَى﴾، مصدر وُصِف به. قال ابن عطية: «والأسماء هاهنا: بمعنى التسميات إجماعاً من المتأولين، لا يمكن غيره»^(٢) انتهى.

قال أبو حيان: «ولا تحرير فيما قال؛ لأن التسمية مصدر، والمراد هنا الألفاظ التي تطلق على الله تعالى، وهي الأوصاف الدالة على تغاير الصفات، لا تغاير الموصوف، كما تقول: جاء زيد الفقيه الشجاع الكريم. وكون الاسم الذي أمر تعالى أن يُدعى به حسناً، هو ما قرره الشرع، ونص عليه في إطلاقه على الله، ومعنى ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، أي: نادوه بها؛ كقولك: يا الله، يا رحمن، يا مالك، وما أشبه ذلك.

وقال الزمخشري: فسَمُّوه بتلك الأسماء^(٣). جَعَلَهُ من باب: دعوتُ ابني عبدَ الله. أي سميَّته بهذا الاسم.

حكم إطلاق اسم مدح خالص لا شبهة فيه ولا اشتراك غير منصوص:

واختلف في الاسم الذي يقتضي مدحاً خالصاً، ولا تتعلق به شبهة ولا اشتراك، إلا أنه لم يرد منصوصاً، هل يُطلق ويُسمَّى الله تعالى به؟

فنص القاضي أبو بكر الباقلاني على الجواز، ونص أبو الحسن الأشعري على المنع، وبه قال الفقهاء والجمهور، وهو الصواب.

(١) البحر المحيط (٢٣٠/٥).

(٢) المحرر الوجيز (٤٨٠/٢).

(٣) الكشف للزمخشري (١٨٠/٢).

وفي بعض دعاء رسول الله ﷺ: «يا حَنَّان يا مَنَّان»^(١). ولم يردا في جامع الترمذي.

وقد صنّف العلماء في شرح أسماء الله الحسنى؛ كأبي حامد الغزالي، وأبي الحكم بن بُرجان، وأبي عبد الله الرازي، وأبي بكر بن العربي، وأبي عبد الله القرطبي، وغيرهم.

وقيل: معنى قوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: اتركوهم ولا تحاجّوهم ولا تعرضوا لهم. قاله ابن زيد، فتكون الآية على هذا منسوخة بالقتال»^(٢).

أقول (القرضاوي): ولا حاجة لنا إلى القول بالنسخ. وهو خلاف الأصل المقرر: أن إعمال النصوص أولى من إهمال شيء منها.

«وقد قيل: معناه الوعيد؛ كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، وقوله: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ [الحجر: ٣].

وقال الزمخشري: وتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها، فيسمونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه،

(١) إشارة إلى حديث: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان المنان، بديع السماوات والأرض...». رواه بالجمع بين الاسمين (الحنان المنان)، ابن حبان في الرقائق (٨٩٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. والضياء في المختارة (١٨٨٤). ولكن لم يذكر الهيثمي في موارد الظمان (٢٣٨٢): (الحنان). وقال الألباني في الصحيحة (٣٤١١): زيادة (الحنان) شاذة باعتبارين، أحدهما: عدم ورودها مطلقاً في حديث الترجمة وغيره، كما سبق. والآخر: مخالفتها لكل الطرق الدائرة على (خلف).

ورواه أحمد (١٢٦١)، وقال مخرجه: حديث صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٤٩٥)، والترمذي في الدعاء (٣٥٤٤)، واستغربه، والنسائي في السهو (١٣٠٠)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٨)، بدون اسم ذكر (الحنان)، عن أنس.

(٢) البحر المحيط (٢٣١/٥، ٢٣٢).

أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى، نحو أن يقولوا: يا الله. ولا يقولوا: يا رحمن^(١). وقيل: معنى الإلحاد في أسمائه تسميتهم أوثانهم اللات، نظرًا إلى اسم الله تعالى، والعزّي، نظرًا إلى العزيز. قاله مجاهد، ويسمون الله أبا، وأوثانهم أربابًا، ونحو هذا.

وقال ابن عباس: معنى يلحدون: يكذبون.

وقال قتادة: يشركون.

وقال الخطابي: الغلط في أسمائه، والزيغ عنها إلحاد.

وقرأ حمزة: ﴿يَلْحَدُونَ﴾، بفتح الياء والحاء، وكذا في النحل والسجدة، وهي قراءة ابن وثّاب، والأعمش وطلحة وعيسى. وقرأ باقي السبعة بضم الياء وكسر الحاء فيهن. و﴿سَيُجْزَوْنَ﴾، وعيد شديد. واندرج تحت قوله: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، الإلحاد في أسمائه وسائر أفعالهم القبيحة^(٢).

تفسير ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ووجوب تنزيه اسمه تعالى:

قال الإمام القرطبي: «يستحب للقارئ إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. أن يقول عقبه: سبحان ربي الأعلى. قاله النبي ﷺ^(٣)، وقاله جماعة من الصحابة والتابعين^(٤).

(١) الكشاف (١٨٠/٢).

(٢) البحر المحيط (٢٣١/٥، ٢٣٢) بتصرف.

(٣) روي مرفوعًا وموقوفًا: رواه مرفوعًا أحمد (٢٠٦٦)، وقال مخرجوه: صحيح موقوفًا. وأبو داود في الصلاة (٨٨٣)، وقال عقبه: خولف وكيع في هذا الحديث. ورواه أبو وكيع وشعبة عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفًا، والحاكم في التأمين (٢٦٣/١)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي. ورواه موقوفًا: عبد الرزاق (٤٠٥١)، وابن أبي شيبة (٨٧٣٤)، كلاهما في الصلاة، وقال الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على المسند بعد أن ذكر كلام أبي داود: كأنه يريد تعليل هذا المرفوع بذلك! وما هذه بعلّة.

(٤) رواها ابن أبي شيبة في الصلاة (٨٧٢٩ - ٨٧٣٨).

وقال ابن عباس والسدي: معنى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، أي عظم ربك الأعلى. والاسم صلة، قصد بها تعظيم المسمى، كما قال لبيد:
إلى الحَوْل ثم اسمُ السلامِ عليكما^(١)

وقيل: نزه ربك عن السوء، وعمّا يقول فيه الملحدون.

وذكر الطبري أن المعنى: نزه اسم ربك عن أن تُسمّى به أحداً سواه^(٢).

وقيل: نزه تسمية ربك وذكرك إياه، أن تذكره إلا وأنت خاشع مُعْظَم، ولذكره محترم. وجعلوا الاسم بمعنى التسمية^(٣). والأولى أن يكون الاسم هو المُسمّى. روى نافع عن ابن عمر قال: لا تقل على اسم الله، فإن اسم الله هو الأعلى^(٤).

وروى أبو صالح عن ابن عباس: صلّ بأمر ربك الأعلى^(٥).

قال: وهو أن تقول: سبحان ربي الأعلى. ورؤي عن عليّ رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبي موسى وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم: أنهم كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة، قالوا: سبحان ربي الأعلى^(٦). امتثالاً لأمره في ابتدائها. فيختار الاقتداء بهم في قراءتهم، لا أن (سبحان ربي الأعلى) من القرآن، كما قاله بعض أهل الزيغ.

(١) وعجزه: ومن يئس حولاً كاملاً فقد اعتذر. وهو في ديوان لبيد ص ٧٩، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) تفسير الطبري (٣٦٨/٢٤).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة الجنائز (١٢١٨٩).

(٥) تفسير البغوي (٤٠٠/٨)، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٦) تفسير الماوردي (٢٥٢/٦)، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

وقيل: إنها في قراءة أبي: (سبحان ربي الأعلى). وكان ابن عمر يقرأها كذلك^(١). وفي الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «سبحان ربي الأعلى»^(٢).

قال أبو بكر الأنباري: حدثني محمد بن شهريار، قال: حدثنا حسين بن الأسود، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال: حدثنا عيسى بن عمر، عن أبيه قال: قرأ علي بن أبي طالب ﷺ في الصلاة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ثم قال: سبحان ربي الأعلى. فلما انقضت الصلاة قيل له: يا أمير المؤمنين، أتزيد هذا في القرآن؟ قال: ما هو؟ قالوا: سبحان ربي الأعلى. قال: لا، إنما أمرنا بشيء، فقلته^(٣).

وعن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»^(٤).

وهذا كله يدل على أن الاسم هو المسمّى؛ لأنهم لم يقولوا: سبحان اسم ربي الأعلى.

وقال الحسن: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، أي: صلِّ لربك الأعلى. وقيل: أي صلِّ بأسماء الله، لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية.

(١) تفسير الماوردي (٢٥٢/٦).

(٢) سبق تخريجه ص ٣٩٧.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٨٢/٨)، نشر دار الفكر، بيروت، وعزاه لابن الأنباري في المصاحف وللغريابي وابن أبي شيبه وعبد بن حميد، وحسن إسناده الألباني في صحيح أبي داود (٨٢٦).

(٤) رواه أحمد (١٧٤١٤)، وقال مخرجه: إسناده محتمل للتحسين. وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، كلاهما في الصلاة.

وقيل: ارفع صوتك بذكر ربك. قال جرير:

قَبَحَ إِلَهُ وَجْوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا سَبَّحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا تَكْبِيرًا^(١)»^(٢)

وكذلك وجدنا القرآن يأمرنا في سُورِهِ بتسبيح اسم الله تعالى، كاسمه (العظيم)، واسمه (الأعلى) كما في قوله تعالى في سورة الواقعة مرتين: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤، ٩٦]، وقال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الزى خلق فسوى] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ١ - ٣].

وقد علم الرسول الكريم المسلمين: أن يسبحوا باسم ربهم العظيم في ركوعهم، وباسم ربهم الأعلى في سجودهم، وأصبح ذلك معلوماً لكل مسلم ومسلمة في الصلاة. وأصبح من المتفق عليه بينهم: أن يقولوا في ركوعهم: سبحان ربي العظيم. وفي سجودهم: سبحان ربي الأعلى. وكذلك وجدنا القرآن يأمر المسلمين: أن يذكروا اسم الله في مختلف شؤونهم وأحوالهم، غدوة وعشية، وبكرة وأصيلاً، كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥].

ويطلب القرآن من المسلمين أن يذكروا اسم الله تعالى على ما أكلوا من لحوم الأنعام، ومثلها كل ما يذبح ويؤكل من الطيور والدواجن ونحوها. قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨ - ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

(١) الشطر الثاني في ديوانه: سَبَّحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالًا

ومعنى شبح: رفعوا أيديهم بالدعاء. انظر: ديوانه ص ٣٦١، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

(٢) تفسير القرطبي (١٣/٢٠ - ١٥) بتصرف.

ومعنى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾، أي نزهة عن النقائص اسم ربك.

قال أبو حيان في (البحر المحيط): «الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم، أي: نزهة عن أن يسمى به صنم أو وثن، فيقال له: رب أو إله. وإذا كان قد أمر بتنزيهه اللفظ أن يطلق على غيره، فهو أبلغ، وتنزيه الذات أخرى»^(١).

كلام الألوسي في التنزيه:

قال العلامة الألوسي في تفسير: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾: «أي نزهة أسماءه وَعَلَى عما لا يليق، فلا تؤوّل مما ورد منها اسمًا من غير مقتضى، ولا تُبْقِه على ظاهره إذا كان ما وضع له مما لا يصح له تعالى، ولا تُطْلِقْه على غيره سبحانه أصلاً، إذا كان مختصاً، كالاسم الجليل، أو على وجه يشعر بأنه تعالى والغير فيه سواء، إذ لم يكن مختصاً، فلا تقل لمن أعطاك شيئاً، مثلاً: هذا رازقي. على وجه يشعر بذلك، وضمنه عن الابتذال والتلفظ به في محل لا يليق به، كالخلاء، وحالة التغوط، وذكره لا على وجه الخشوع والتعظيم، وربما يعد مما لا يليق ذكره عند من يكره سماعه من غير ضرورة إليه...

وفي (الكشاف): تسبيح اسمه وَعَلَى، تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني، التي هي إلحاد في أسمائه سبحانه، كالجبر والتشبيه ونحو ذلك، مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار، لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة، وأن يسان عن الابتذال والذكر، لا على وجه الخشوع والتعظيم»^(٢).

(١) البحر المحيط (٤٥٥/١٠).

(٢) الكشاف للزمخشري (٧٣٨/٤).

فجعل المعنيين على ما قيل راجعين إلى الاسم، وإن كان الأول بالحقيقة راجعاً إليه **وَجَّكَ**، لكن كما يصح أن يقال: نزّه الذات عما لا يصح له من الأوصاف. يصح أن يقال أيضاً: نزّه أسماءه تعالى الدالة على الكمال عما لا يصح فيه من خلافه.

وليس المعنى الأول مبنياً على أن لفظ اسم مقحم، ولا على أن المراد به المسمّى إطلاقاً لاسم الدال على المدلول، نعم قال به بعضهم هنا، وهو إن كان للأخبار السابقة - كما في دعوى الإقحام - فلا بأس، وإن كان لظن أن التسبيح لا يكون للألفاظ الموضوعه له تعالى، فليس بشيء، لفساد هذا الظن، بظهور أن التسبيح يكون لها، كما سمعت.

وقد قال الإمام: إنه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته جل وعلا عن النقائص، يجب تنزيه الألفاظ الموضوعه لذلك عن الرفث وسوء الأدب. ومن هذا يعلم ما في التعبير عنه تعالى شأنه بنحو لَيْلَى ونُعَم كما يُدعى ذلك في قول ابن الفارض:

أَبْرَقُ بَدَا مِنْ جَانِبِ الْغَوْرِ لَامِعُ أَمْ ارْتَفَعْتُ عَنْ وَجْهِ لَيْلَى الْبَرِاقُعُ^(١)؟
وقوله:

إِذَا أَنْعَمْتُ نُعَمٌ عَلَيَّ بِنَظَرَةٍ فَلَا أَسْعِدْتُ سَعْدَى، وَلَا أَجْمَلْتُ جُمْلُ^(٢)
إلى غير ذلك من أبياته، وقد عاب ذلك بعض الأجلة، وعدّه من سوء الأدب، ومخالفاً لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآية^(٣).

(١) ديوان ابن الفارض ص ١٦٦، نشر دار صادر، بيروت.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٦.

(٣) روح المعاني للآلوسي (٣١٤/١٥، ٣١٥).

وقد حاول بعضهم أن يجيب على ذلك بما استطاع من تعليقات ومجادلات، والأولى ألا يُلجأ إلى ذلك لما فيه من تكلف وإغئات.

قال الألوسي: «وقال جمع: الاسم بمعنى التسمية. والمعنى نزه تسمية ربك، بأن تذكره وأنت له سبحانه معظّم، ولذكره جلّ شأنه محترم، وأنت تعلم أن هذا يندرج في تسبيح الاسم كما تقدّم.

وعن ابن عباس أن المعنى: صلّ باسم ربك الأعلى. كما تقول: ابدأ باسم الله تعالى. وحذف حرف الجر. حكاة في البحر، ولا أظن صحته.

وقال عصام الدين: لا يبعد أن يراد بالاسم الأثر، أي: سبّح آثار ربك الأعلى عن النقصان، فإن أثره تعالى دال عليه سبحانه، كالاسم، فيكون منعاً عن عيب المخلوقات، أي من حيث إنها مخلوقة له تعالى، على وجه ينافي قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ [الملك: ٣]. ولا يخفى بعده، وإن كان فيما بعد من الصفات، ما يستأنس به له.

وأنا أقول: إن كان ﴿سَبِّحْ﴾، بمعنى نزه، فكلا الأمرين من كون (اسم) مقحماً وكونه غير مقحم، وتعلق التسبيح به على الوجه الذي سمعت محتمل غير بعيد. وإذا كان معناه: قل: سبحان. كما هو المعروف فيما بينهم، فكونه مقحماً متعيّن؛ إذ لم يُسمع سلفاً وخلفاً من يقول: سبحان اسم ربي الأعلى. أو سبحان اسم الله. والأخبار ظاهرة في ذلك، وحمل ما فيها على اختيار الأخصر المستلزم لغيره، كما ترى. ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب، كما في خبر سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن جبير: سبحان ربي الأعلى^(١).

(١) رواه الطبري (٣٦٧/٢٤)، والحاكم في التفسير (٥٢١/٢)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

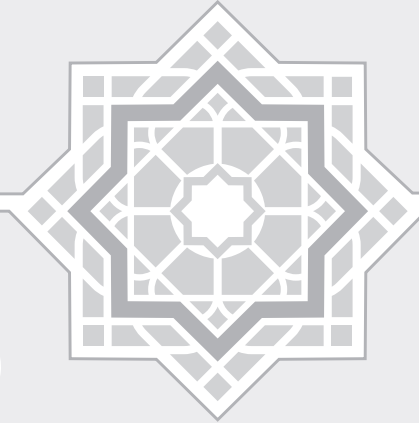
وأما ما قيل من أن الاسم عَيْنُ المُسَمَّى، واستُبدِلَ عليه بهذه الآية ونحوها، فهو مما لا يعول عليه أصلاً.

﴿الْأَعْلَى﴾، صفة للرب، وأريد بالعلو القهر والاقتدار، لا بالمكان، لاستحالته عليه سبحانه، والسلف وإن لم يؤولوه بذلك، لكنهم أيضاً يقولون باستحالة العلو المكاني عليه وَعَجَلٌ، وجُوز جعله صفةً لـ (اسم)، وعلوّه ترفعه عن أن يشاركه اسم في حقيقة معناه»^(١).

* * *

(١) روح المعاني للآلوسي (٣١٥/١٥).

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.







فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	١	٦٠
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٢-٤	٢٦، ٢٨، ١٢٩، ٢٢٩، ٢٥٠، ٣٧٧
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٦٩
سورة البقرة		
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨، ٢٥٩	٩٥
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٢	١٤٨
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾	٢٨	٢٣٨
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾	٣١، ٣٢	٣٤٣، ٣٣٦
﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٣٢	٨٩
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾	٥٤	١٨٥
﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	١٠٥	٣٦٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	١٠٩	٣٢٦
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾	١١٤	٦١
﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾	١١٥-١١٩	١٩، ٣٣٠
﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١١٧	١٨٠
﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	١١٧	١٤٧
﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	١٢٧	١٩٧
﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾	١٢٩	٣٤٣
﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾	١٤٣	٩٣
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٣	١٣٩
﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾	١٥٨	٢٨٢
﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	١٦٣-١٦٤	٦٩
﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	١٦٣	٦٤، ٧٣، ١٠٤
﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	١٧٢	٢٥٦
﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٧٣	١٠٢، ٣٠٧
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	٣٨٨
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٢٨٩، ٢٩٠، ٢٢١
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾	١٨٩	٢٩٠
﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾	٢٠١	٢٦٠
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾	٢٠٥	٣٨٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾	٢٠٦	١٥٥
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾	٢٠٨	١٣٦
﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٠٩	٣٤٤
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾	٢١٤	٢٦١
﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٢١٨	٣٠٧
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾	٢١٩	٢٩٠
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾	٢٢٠	٢٩٠
﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٢٠	٣٤٤
﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	٢٢٥	٢٨٥
﴿وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٢٢٩	٣٦٨
﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾	٢٣١	٣٣٥
﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾	٢٤٧	١٢٨
﴿وَأَتَتْهُ اللَّهُ الْمَلِكُ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾	٢٥١	٣٤٩، ٣٤٠، ٣٣٥
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾	٢٥١	١٥٢
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾	٢٥٣	٣٥٣
﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾	٢٥٥	١٨٠، ٣٦٢، ٣٨٨، ٣٦٦
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾	٢٥٥	١٨٠، ٨٧، ٥٤، ٣٥٠، ٢٤٢، ٢٣٢، ٣٨٨، ٣٦٦، ٣٦٤
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَتْهُ اللَّهُ الْمَلِكُ﴾	٢٥٨	٢٧١، ١٢٨، ١٥، ١٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾	٢٦١	٣٦٢، ٣٣٠، ١١٦
﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾	٢٦٣	٢٨٥
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٢٦٥	٢٠٥
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾	٢٦٧	٢٢٨
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا﴾	٢٦٩	٣٣٩، ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٤٢، ٣٤٠
﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾	٢٨٦	٣٢٥
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	٢٨٦	٣٨٨، ٩٠
سورة آل عمران		
﴿الْعَمَّ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	٢-١	٢٣٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾	٤	٣١٧
﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾	٦	٣٤٤، ١٨٦، ١٤٧
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾	٨	٢٨٠، ٢٦٠
﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾	١٦	١٧٤
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾	١٨	١٤٧
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾	٢٦	١١٧، ٩٦، ٢٦، ١٢٨، ١٢٠، ١١٩، ٢٨٠، ١٤٧
﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾	٣٥	١٩٧
﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾	٣٨	٢٠٤، ١٩٦
﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾	٤٨	٣٤٩، ٣٤٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾	٥١-٤٩	١٨
﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾	٥٢	١٨
﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾	٥٨	٣٤٢، ٣٣٩
﴿مِنْ تَرَابٍ﴾	٥٩	٩٦
﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٦٢	٣٤٤
﴿قُلْ إِنْ أَلْفُضِّلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٧٣	٣٣٠
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١١٩	٣٣٩
﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	١٢٦	٨٠
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾	١٣٤	٣٢٨
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾	١٣٥	٣٠٤
﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾	١٣٧	١٠١
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	١٣٩	٣٥٣، ١٥٥
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾	١٥١	١٣٧
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	١٥٦	٢٠٥
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾	١٥٩	١١٤
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	١٥٩	٤٦
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾	١٦٤	٣٤٩
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾	١٧٠، ١٦٩	٢٧٢
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّامُ لِيْ هُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ﴾	١٧٨	٢٧١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾	١٨١	٢٢٤، ١٧
﴿لَيْسَ بِظُلَامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	١٨٢	٣٨٨
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	١٩٠، ١٩١	٣٨٩، ١٧٤، ٥٣
﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾	١٩٣، ١٩٤	٢٦٠
﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾		٣٩
سورة النساء		
﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	١	١٨١
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	١١، ٢٤	٣٤٤، ٣٤٦
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	١٧	٣٤٤
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	٢٦	٣٤٦، ٣٤٤
﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾	٣١	٣٠٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾	٤٠	٣٦٢، ١٤٠، ١١٦
﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾	٤٣	٣٢٤
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	٤٨	٣٠٤
﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	٥٤	٣٣٥
﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾	٥٤	٣٤٩
﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	٥٨	٢٠٦
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ﴾	٦٠-٦٣	٧٢
﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾	٧٧	٣٣٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾	٨٨	١٥٥
﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾	٩٩	٣٢٤
﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	١٠٠	٣٠٧
﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	١٠٦	٣٠٧
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾	١١٠	٣٠٤
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾	١١٣	٢٣
﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾	١١٣	٣٣٥، ٣٤٩، ٣٦٢، ٣٩٢
﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا﴾	١١٦	٣٠٤
﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾	١١٧	٧٣
﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخِيطًا﴾	١٢٦	٣٦٦
﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُعِنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾	١٣٠	٣٢٩، ٣٣٠
﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾	١٣١	٢٢٩
﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾	١٣٨، ١٣٩	١٥٦
﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٣٩	١٥٣
﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾	١٤٠	٢٠٢
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	١٤١	٣٥٣
﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾	١٤٧	٢٨٢
﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوه أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾	١٤٩	٣٢٤
﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾	١٥٨	٣٥٥، ٣٥٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	١٦٤	٢٠٩
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾	١٦٥	٥٤
﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾	١٧١	٦٤
سورة المائدة		
﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	١	١٠٠
﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	٢	٣٨٣
﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْفِقُوا﴾	٤	٦١
﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾	١٣	٣٢٦
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	١٧	١٨
﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	٢١	١٦٥
﴿يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ﴾	٢٢	١٦٥
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾	٢٣	٤٦
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾	٤٨	١٤٢، ١٤٥
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾	٥٤	١٥٥
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٥٤	٣٣٠
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾	٦٤	١٧
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	٧٣، ٧٢	١٨
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾	٧٣	٧٣، ٦٤
﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾	٧٥	٢٣٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾	٨٨، ٨٧	٢٥٦
﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾	٩٥	٣١٨ ، ٣١٧
﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٩٨	٣٠٦ ، ١٢١ ، ٤٤
﴿عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾	١١٦، ١٠٩	٩٤
﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾	١١٠	٣٩٢ ، ١٨١
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾	١١٧-١١٦	٦٥
﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾	١١٦	٨٩
سورة الأنعام		
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	١	١٨٠
﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٤	٢٣٦ ، ٢٢٦
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	١٨	٢٧٠ ، ٢٥٦
﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾	٥٧	٧٠
﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾	٦٠	٢٤٢
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾	٦٥	٩٥
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾	٦٨	٢٠٢
﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾	٨٠	٣٢٩
﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ﴾	٨١	١٣٧
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾	٨٢	١٣٧
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾	٨٩	٣٣٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾	٩٥	٣٧٨
﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾	١٠٢	٢١٧، ٤٩
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٠٣	٣٨٨، ٢١٠، ٢١
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾	١١٢	٢٧٣
﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾	١١٤	٧٠
﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾	١١٨-١١٩	٤٠٠، ٦١
﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾	١٢١	٤٠٠، ٦١
﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾	١٢٧	١٣٥
﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾	١٤٧	٣٢٩، ٣١٧
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾	١٦٠	١١٥
﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٢-١٦٣	٧٠
﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٦٥	٤٤
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾	١١، ١٠	٢٥٥، ١٨٥، ١٨١
﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾	١٧	٢٨٢
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٣	٢٩٧، ٢٦٠
﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾	٣٠	٧٠
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٥٤	٩٣، ٧١
﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾	٥٧	١١٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٦٥، ٥٩ ٨٥، ٧٣	٦٩، ٥٩
﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ﴾	٧١-٧٠	٦٩
﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾	٨٩، ٨٨	٢٦١
﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾	٨٩	٣٢٩، ٢٦٢، ٤٦
﴿فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾	١٣٦	٣١٨
﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾	١٤٣	٣٦٦، ٢٠٩
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	١٥١	١١٠
﴿وَاصْكُتْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾	١٥٦	٣٢٩، ١٠٨
﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٢٣١
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٦٧	١٢١
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾	١٧٩	٢١٢
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	٢٧، ٨، ٤٤ ٣٢، ٣٦، ٥٤ ١٩٣، ٣٧٢، ٣٧٣ ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٩٠ ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤ ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾	١٨٧	٨٨
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	١٩٩	٢٨٦
﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٠٠	١٩٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	١٠	
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾	١٧	٨٠
﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾	٢٢-٢٤	٢١٢
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾	٢٤	٢١٣
﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾	٣٨	٣٠٣
﴿إِذْ يَكُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَ هَؤُلَاءِ دِئُهُمْ﴾	٤٩	٤٦، ١٥٧، ٣٤٣
﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾	٦٢، ٦٣	٣٤٣
﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾	٦٧	٣٤٣
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٧٢	٢٠٥
سورة التوبة		
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	٢٨	٣٤٦
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾	٣٠	١٨، ٦٤
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٣١	١٩، ٦٦
﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾	٤٠	٢٩٢
﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ﴾	٤٨	٢٢٠
﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	٧٢	١٧٧
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾	١٢٢	٢٧٩
﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٢٨	١٠٦
﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٢٨	١٠٥، ١٥١



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يونس		
﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾	١	٣٤٢
﴿ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتَ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِمِمْ بِرِيحٍ طَبَئَةٍ ﴾	٢٢	٢٩٩
﴿ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ﴾	٢٤	١٤٤
﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾	٣١	٢٢٦، ٢٣٣، ٢٤٣
﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴾	٤٦	١٤٢
﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾	٥٧	١١٤
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ﴾	٥٩	٣٢١
﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾	٦١	٨٧، ٢١٠
﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٦٢	١٤١
﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٦٥	١٥٣، ١٥٦
﴿ وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾	٧٨	١٧٠
﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾	١٠٩	٧٠
سورة هود		
﴿ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾	١	٣٤٢
﴿ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيَّ يُمَنِّعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾	٣	٣٠٤
﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾	٦	٢٥٧، ٢٥٦، ١١٢
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	٢٥-٣٤	٦٥
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	٦١	٢٨٨، ٢٨٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾	٦٦	٣١٧
﴿ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ عَجِيبٌ﴾	٧٣، ٧٢	١١٣
﴿رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾	٧٣	٢٢٨
﴿أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾	٨٧	٥٦
﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٨٤	٦٩
﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	٨٨	٦٩
﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾	٩٠	٣٠٣
﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾	٩٠	٣١٠
﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظِلْمَةٌ﴾	١٠٢	٣١٩، ٢٧١
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾	١١٤	٣٠٥
سورة يوسف		
﴿يَصْدِحِي السَّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	٣٩	٢٦٨، ٧٣
﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي يُقِيمُ﴾	٤٠	٧٠
﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّكَ حَصْحَصَ الْحَقِّ﴾	٥١	١٤٩
﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٦٤	١١٠
﴿يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾	٦٧	٧١
﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾	٨٠	٧١
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٨٣	٣٤٤
﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾	٨٦، ٨٥	٢٩٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴾	٩٢، ٩١	٣٢٨ ، ١١٠
﴿ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾	٩٩	١٤١
﴿ يَتَابَتَ هَذَا تَوَلِيلُ رُءْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾	١٠٠	٣٢٨
﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾	١١٠	٢٦١
سورة الرعد		
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	٦	٣٠٦ ، ٤٤٤
﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾	١٠-٨	١٩٨ ، ١٨٤
﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾	٩	٣٥١
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	١١	٣٧٧ ، ١٩١
﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾	١٤	٢٩٩
﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾	١٦	٢٦٨ ، ١٨١ ، ٧٣
﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾	٣٠	٤٦
﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾	٣٣	٢٤١ ، ٢٣٩ ، ١٤٢
سورة إبراهيم		
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَمِيدٌ ﴾	٨	٢٢٨
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾	١٢-٩	٥٥
﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٠	٥٦
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾	١٥-١٣	٢٦٢
﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	١٥	١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾	١٨	١٢
﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾	٢٥	٣٩
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	٣٢-٣٤	٥٨
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾	٣٤	١١٧
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾	٣٨	٨٦
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾	٣٩	١١٣، ١٩٦، ٢٠٤، ٢٧٩
﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾	٤٠، ٤١	٢٦٠
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾	٤٢	٣١٨
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ، رُسُلُهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾	٤٧، ٤٨	٢٦٨
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ، رُسُلُهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾	٤٧	٣١٧
﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾	٤٧	٣١٥
سورة الحجر		
﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾	٣	٣٩٤، ٣٩٦
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	١٤٥
﴿صَلِّصِلْ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾	٢٦	٩٦
﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	٤٩، ٥٠	١٢١، ٤٤
﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾	٥٢، ٥٣	٢٧٩
﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾	٥٤-٥٦	١١٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾	٨٢	٢٧٠
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾	٨٦	١٨١
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾	٨٧	٣٦٤، ٢٢٧
﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٨	١٥٥
﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾	٨٨	٢٢٧
سورة النحل		
﴿فَاتَّقُوا﴾	٢	٣٣٧
﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾	٢	٣٣٧
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٣-٨	١٨٠
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	٣-١٧	١٨٤، ١٨١
﴿وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٨	٩٣
﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	١٧	١٨١
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾	١٨	١١٧
﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	٢٠، ٢١	١٨٣
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾	٣٦	٦٨، ٥٩، ١٧، ١٦
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾	٥٠	٣٥٦
﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِتَّيَا فَارَهُبُونَ﴾	٥١	٧٤، ٦٤
﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾	٥٣	١١٧
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾	٦١	٢٨٧، ٢٨٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾	٧٨	٢٥٢
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾	٨٩	١١٤
﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَلِّكُ﴾	١٠١	٣٨٩
﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾	١٠٢	٣٥٦
﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾	١٠٦	١٠٢
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾	١١٢	١٤١
﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَّهُ وَهَدَنَّهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٢١	٢٨٣
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾	١٢٥	٣٣٦
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾	١٢٦	٣٢٢
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	١٢٨	٢٩١
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾	١	٢٠٥، ١٩٧
﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾	٣	٢٨٣
﴿وَكُنْزِي بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾	١٧	٢٠٦
﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾	٢٥	٣٠٧
﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾	٤٤	٢٣٠
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾	٥٧	١٧٣
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾	٦٧	٨٣
﴿وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	٢٧٧، ٢٧٨، ٣٣٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾	٨٨	٣٤٠
﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾	٩٦	٢٠٦
﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾	١٠٠	٢٥٥
﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾	١١٠	٤٠٦، ٧، ٤ ٣٧٩، ١٠٧
﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾	١١١	١٦٧، ٢٦
سورة الكهف		
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا﴾	٤٥	٩٨، ٩٥
﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾	٥١	٥٣
﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾	٥٨	٣٠٧
﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾	٦٣	٩٠
﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِئٍ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾	٨٢	٩٢
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾	٨٢-٦٥	٩١
﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾	٩٨	٢٥٥
سورة مريم		
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾	٦-٣	١١٣
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾	٣	٣٥٥
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِيَ غُلْمٌ وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا﴾	٩، ٨	١١٣
﴿وَأَتَيْنَاهُ الْخُكْمَ صَبِيحًا﴾	١٢	٣٤٠، ٣٣٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾	٣٠	٣٣٧
﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾	٣١	٣٣٧
﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾	٣٢	١٦٥
﴿يَتَأْتَى لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾	٤٢	٢٠٧
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾	٦٢	١٣٥
﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾	٦٥	٣٨٨
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾	٨٥	١٠٧
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾	٨٨-٩٥	٥٩
﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُنْبِئُ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾	٩١-٩٣	١٠٦
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	٩٣-٩٥	٢٦٩
﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	٩٣	١٢٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾	٩٦	١٠٧، ٣١٠
سورة طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	١٠٦، ٣٥٦
﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾	٨، ٧	١٩٨
﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾	٧	٤٦، ٣٥٥
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾	٨	٤، ٨، ٢٧
﴿إِنِّى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى﴾	١٤	٥٩، ٣٣٧
﴿مَآرِبُ أُخْرَى﴾	١٨	٣٩٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّينًا ۖ ﴾	٤٣-٤٦	٢١١، ٢٩١
﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ ۖ ﴾	٥٠	١٤٥
﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۚ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ۖ ﴾	٥١، ٥٢	٨٩
﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۖ ﴾	٦٨	٣٥٤
﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ ﴾	٧٢، ٧٣	١٥٨
﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا ۖ ﴾	٧٢	١٥٨
﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۖ ﴾	٨٢	٣٠٣
﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ ﴾	٩٨	٣٢٩
﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ۖ ﴾	١١٠	٢١
﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ۖ ﴾	١١٠	٢٢
﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا ۖ ﴾	١١١	٢٣٢
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۖ ﴾	١١٢	١٤٠
﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ۖ ﴾	١١٤	١٢٧
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ ﴾	١١٤	٨٩، ٢٧٧
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ﴾	١٣١	٢٥٨
سورة الأنبياء		
﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ۖ ﴾	٢٠	١٣٢
﴿ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ۖ ﴾	٢٣	١٦٧
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ۖ ﴾	٢٥	١٦، ٥٩، ٦٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾	٣٠	٣٢١
﴿يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾	٦٩	٢٧٨
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٨٣ - ٩٠	٢٩٦، ٢٠٥
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٨٣	١١١
﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	٨٧	٢٩٧
﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾	٨٩، ٩٠	٢٧٩
﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾	٨٩	١١٣
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٢٣١، ١١٤
﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	١١٢	٧١
سورة الحج		
﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾	٢	٣٨٣
﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾	٦، ٥	٢٣٩، ٩٧
﴿وَهُدُّوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُّوْا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾	٢٤	٢٢٨
﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾	٢٨، ٢٧	٦١
﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	٣٢	٣٦٨
﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	٣٨	١٥٢
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا﴾	٤٠، ٣٩	٦١
﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾	٥٨	٢٥٥
﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾	٦٠	٣٢٤، ٣٠٧
﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	٦٩، ٦٨	٧٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾	٧٤، ٧٣	١٨١
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾	٧٣	١٨٣
﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾	٧٥	٢٠٥
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٧٨	٣٨٨
سورة المؤمنون		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾	٢	٢٠٣
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾	١٦-١٢	١٨١، ٩٥
﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٣٣	٦٩
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾	٤٤	١٧
﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾	٧٢	٢٥٥
﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٨٧-٨٤	١٨٠
﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	٨٦	٣٦٣
﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	٩١	٣٥١
﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾	١٠٩	١١١
﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾	١١٦	٣٦٣، ١٢٧
﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾	١١٨	١١١
سورة النور		
﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾	٢٢	٣٢٦
﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٣٢	٣٣٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾	٣٧، ٣٦	٦١
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾	٣٩	١١
﴿ ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرْبَهَا ﴾	٤٠	٢٠٨
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾	٤٤	١٩٠
﴿ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ ﴾	٥٤-٤٧	٧٢
سورة الفرقان		
﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	١٣١
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾	٢	٣٣٩، ١٨٤
﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾	٣	١٨٣
﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾	٢٠	٢٠٦
﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾	٤٩، ٤٨	١١١
﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾	٥٦، ٥٥	٢٠
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾	٥٨	٢٤٠، ٤٦
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾	٥٨	٢٣٧
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾	٦٠	١٠٦
﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾	٦٣	٢٠٣
﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	٦٣	١٠٦
﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	٦٣	٢٨٦
﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾	٦٦، ٦٥	١٧٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾	٧٠	٣٠٥
﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾	٧٤	٢٧٩، ٢٦٠
سورة الشعراء		
﴿بِعِزَّةِ فَِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾	٤٤	١٥٨
﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾	٥٦-٥٣	٢٩١
﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾	٦٢-٦٠	٢٩٢، ٢٩١، ٢١٢
﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾	٦٨-٦٣	٢١٢
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾	٦٨-٦٣	٢٩٢
﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾	٨٠-٧٨	١٢٠، ١١
﴿وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾	٨١	٣٨٧
﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾	٨٣	٣٣٦
﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾	١١١	٢٩٩
﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾	١٣٠	١٦٥، ١٦٣
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾	٢٢٠-٢١٧	١٥٧، ١٤٦، ٤٦
سورة النمل		
﴿يَأَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَكُمْ سُلَيْمَانُ﴾	١٨	٢٨٣
﴿فَنَبِّئْهُمْ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾	١٩	٢٨٣
﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	٢٥-٢٣	٦٧
﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	٢٣	٣٦٤، ٣٦٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾	٣١	٦١
﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ ﴾	٤٠	٢٨٣
﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	٥٢	٢٧٠
﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾	٦٢	٢٩٨ ، ١١٢
﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ﴾	٨٨	٣٣٤ ، ١٠١
سورة القصص		
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾	٤	٣٥٢ ، ٣٥١
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	١٦	٣٠٧
﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾	١٧	٢٦٠
﴿ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﴾	١٩	١٦٥
﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾	٢٤	٢٦٠
﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾	٣٨	٢٧١ ، ٢١١ ، ١٥
﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾	٣٨	١٥٨
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ ﴾	٤٣	١١٤
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ﴾	٥٥	٢٨٦ ، ٢٠٣
﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾	٧٣	١١١
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾	٨٣	٣٥١ ، ٢٦٥ ، ١٥٥
﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٨٨	٢٣٥ ، ٧٠ ، ٤٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة العنكبوت		
﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾	٤٠	٢٧٠
﴿وَكَايْنٍ مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾	٦٠	١١٢
﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾	٦١	١٨٢
سورة الروم		
﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾	٦	٢٥٥
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾	٢٧	١٨٢، ٩٧
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾	٤١	٢٨٦
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا﴾	٤٧	٣١٨
﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾	٥٠	١١١
سورة لقمان		
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا﴾	١١، ١٠	١٨٤
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾	١٢	٣٣٥
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾	١٢	٣٤٢، ٢٨٣
﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾	١٢	٢٢٨
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾	١٣	٣٤٢، ١٣٧
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدَيْهِ ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾	١٤	٢٨٤
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	٢٦	٢٢٤
﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ ۖ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾	٣٤	٨٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة السجدة		
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾	٧	١٠١، ٣٣٤، ٣٣٩
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾	٢٢	٣١٥، ٣١٦
سورة الأحزاب		
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	١	٣٤٦
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٢٣١
﴿وَأَذْكُرْتَ مَا تَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾	٣٤	٣٤٠، ٣٤٩
﴿وَالذَّكِرِيبَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرِيبَ﴾	٣٥	٢٨٥
﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾	٣٩	١٣٧
﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾	٦٣	٨٨
سورة سبأ		
﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾	٢	٣٠٧
﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾	٥	٢٩٤
﴿وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	٦	١٥٣
﴿يَجِبَالٌ أَوَّيَّ مَعَهُ﴾	١٠	٣٩٢
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ﴾	١٣	٢٨٢
﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾	١٥	٣٠٧
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَاهِرَةً﴾	١٨	١٤١
﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾	٢٣	٣٥٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾	٣٩	٢٥٥
﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُرِجِي إِلَى رَبِّي﴾	٥٠	١٩٧
سورة فاطر		
﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾	٢	٢٦٥
﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	٣	٢٢٦
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	١٥٣، ١٥٦، ١٥٩، ٣٤٣
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾	١٠	٣٥٥، ٣٥٦
﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	١٥-١٧	٢٢٦
﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾	١٥	٢٢٤، ٢٢٨
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾	١٩، ٢٠	٢٠٦
﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	١٦
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٨	٤٣
﴿لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	٣٠	٢٨٢، ٣٠٧
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾	٣٢	٢٠٩
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٤٠، ٤١	١٨٣
﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾	٤١	١٠٨، ٢٤٢، ٣٠٨
﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	١٠٠، ١٠١
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾	٤٥	٢٨٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يس		
﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾	٢،١	٣٤٢
﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾	١٤	١٥٠
﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾	٣٦	٥١
﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾	٣٩	٢١٦
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾	٦٠-٦١	٧٠
﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾	٧٧-٧٩	١٨٢، ٩٦
﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾	٨١	١٨٣، ١٨١
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	١٨٣، ٩٧
﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٣	٢٧٨
سورة الصافات		
﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾	٧٥-٧٩	٢٩٨
﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٥، ٩٦	١٨٣
﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾	١٠٠، ١٠١	٢٧٨
﴿يَتَابَتِ أَفْعَالُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾	١٠٢	٢٧٨
﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١١٢	٢٧٩
﴿فَالْنَقَمَةُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾	١٤٢	٢٩٧
﴿فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾	١٤٥-١٤٧	٢٩٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾	١٧٣، ١٧٢	٢٢٠
﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	١٨٠	١٥٦
سورة ص		
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	٣	٧٣
﴿أَمْرِنَاهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾	٩	٢٨٠
﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾	٢٠	٣٣٥
﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾	٢٣	١٤٩
﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	٤٤، ٣٠	٢٨٥
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾	٣٥	٢٨٠، ١٢٨
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	٦٥	٢٦٩
﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	٦٦	٣٠٣
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾	٧١	٩٦
سورة الزمر		
﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾	٤	٢٦٩
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾	٥	١٤٧
﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ﴾	٦	٩٦
﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾	٧	٣٨٩، ١٠٠
﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْقِصَامٍ﴾	٣٧	٣١٧
﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾	٥٣	٣٠٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾	٥٣	٣٠٦
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	٦٧	٣٦٦
سورة خافر		
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾	٣	٣٠٦، ٤٤
﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾	٧	٨٩، ١٠٨، ٣٣٠، ٣٣١
﴿يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِنُنْذِرَ يَوْمَ النَّالِقِ﴾	١٦، ١٥	٢٦٩
﴿رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾	١٥	٢١٨
﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾	١٦	١٢٨
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	١٩	٨٧
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	٣٥	١٦٢، ١٦١
﴿تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾	٤٢	٣٠٨
﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾	٥٠	٢٩٩
﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾	٥٦	١٧٠
﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾	٥٧	١٨٣، ٩٧
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ﴾	٦٠	٣٠١، ٢٠٣
﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	٦٥	٢٤٠
سورة فصلت		
﴿نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٢	١٠٤
﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾	١٠	١١٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾	١٥	٢٧٠
﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	٢٤-١٩	٢١٠
﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾	٢٢	١٩٦
﴿نَزَّلَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾	٣٢	٣٠٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾	٤٠	٢١٠
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٢٢٨
﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٣٤٢
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾	٥٣	١٢١، ٥٣
سورة الشورى		
﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	٤	٣٦٦
﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	١٠	٦٩
﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	١١	٢١
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٢٤، ٢٦، ٧٤، ١٤٨، ٢٠٠، ٣٨٨
﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	٢٣	٣٠٧
﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾	٢٥	٣٢٤، ٣٢٥
﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	٢٨٧
﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٣١	٩٦
﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾	٤٠	٣٢٢، ٣٢٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾	٤	٣٥٤، ٣٤٢
﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٩	١٨٢، ٦٧
﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾	٢٥	٣١٨
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	٣١	٣٦٤
﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾	٤١	٣١٧
﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا بُصُرُونَ﴾	٥١	٢٧١
﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٥٥	٣١٨
﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾	٦٣	٣٤٠
﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾	٨٠	٢٠٣، ١٩٨
﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	٨٧	٦٧
﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	٨٩	٣٢٦
سورة الدخان		
﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾	٤	٣٣٧
﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾	١٦	٣١٧، ٣١٦
﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾	٣١، ٣٠	٣٥١
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ﴾	٣٨	٣٨٨
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	٤٢	١٤٧
﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّرْقُومِ طَعَامٌ لِلْإِنْسِ﴾	٤٣-٤٩	١٥٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿حَمَّ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	٢-١	١٥١
﴿هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٢٠	١١٤
﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٣٧، ٣٦	٢٣٠
سورة الأحقاف		
﴿حَمَّ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	٢، ١	٣٤٢
﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾	١٢	١١٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٣	١٤١
سورة محمد		
﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ط فَفَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾	١٨	٨٨
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	١٩	٣٣٧
﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	١٩	٣٣٧
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾	٢٣	٢١٢
﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّادِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾	٣١	٩٣
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَهِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾	٣٥	٢٩١
﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾	٣٨	٢٢٤
سورة الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾	٣-١	٢٦٣، ٢٦٢
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	٤	٣٤٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾	٧	٣٤٤
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	٩، ٨	١٩
سورة الحجرات		
﴿وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١٨	٢٠٥
سورة ق		
﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾	٤-١	٢٣٨
﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٥	١٨٢، ٩٧
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾	١٨-١٦	٢٩٠، ٢٢١، ٢٠٣
﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عِثِدِ﴾	٢٣	٣٣٩
﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾	٢٩	٣٨٩
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٣٨	٣٨٨
﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾	٤٥	١٦٥، ١٦١
سورة الذاريات		
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	٤٧	٣٦٥، ٣٣١، ٣١٧
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٨-٥٦	٢٥٣
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٣
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	٥٨	٣١٧
سورة الطور		
﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾	٣٦-٣٥	٥٢
﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾	٣٦، ٣٥	١٨٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النجم		
﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾	١٨، ١٧	٢٠٩
﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾	٣٢	٣٠٦
﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾	٣٢	٨٧
﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾	٣٢	٣٣٠
﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾	٤٦-٤٢	٢٣٩
سورة القمر		
﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرَ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾	١٤-١٠	٢٩٨
﴿ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرَ ﴾	١٠	٣١٨
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	١٨٤
﴿ إِنَّ الْمُنَاقِبَ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴾	٥٥، ٥٤	٩٨
سورة الرحمن		
﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾	٢، ١	٣٩٢، ١٠٦
﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾	٥	١٨٤
﴿ مِنْ صَلَاسِلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾	١٤	٩٦
﴿ وَخَلَقَ الْجَاَنَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾	١٥	١٨١
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	٢٧، ٢٦	٢٤٤
﴿ ذُو الْجَلَالِ ﴾	٢٧	٢٤٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * نَبِّرَكَ أَتَمُّ رَّبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	٧٨، ٧٧	٦٠
﴿ نَبِّرَكَ أَتَمُّ رَّبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	٧٨	٢٤٤، ٢٦
سورة الواقعة		
﴿ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴾	٤٠-١٠	٣٥٣
﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾	٤٧	٣٦٢
﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾	٦٢-٥٨	٢٣٨
﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾	٧٤-٦٣	٢٥٤
﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾	٩٦، ٧٤	٤٠٠
﴿ إِنَّهُ لَقَرَّءَانٌ كَرِيمٌ ﴾	٧٧	٣٦٤
﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴾	٨٥-٨٣	٢٩٠
سورة الحديد		
﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ * وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣	٢٢٢
﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	٦-١	٥٥
﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ * وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٤، ٣	٢١٦، ٩٤، ٢٤
﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْبِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾	٤	٢٩٠، ٢٠٥
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾	٢٥	٥٥
سورة المجادلة		
﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾	١	١٩٣، ١٩٥، ٢٠٥، ١٩٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾	٢	٣٢٤ ، ٣٠٧
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٧	٢٩١ ، ١٩٩ ، ٨٧
﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	١١	٣٥٣
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٢٢	٣١١
سورة الحشر		
﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	٧	٣٨٣
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	٢٦٠
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾	٢٢-٢٤	٥٤ ، ٨ ، ٤
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾	٢٢	١٠٤ ، ٩٤ ، ٨٦ ٣٧٨ ، ١٠٥
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾	٢٣	١٣٠ ، ١٢٧ ، ١٠٥ ١٤٦ ، ١٤١ ، ١٣٥ ١٧١ ، ١٦٦ ، ١٤٩
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾	٢٤	١٧٩ ، ٢٧
سورة الممتحنة		
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٣	٢٠٥
﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾	٧	٣١٠
﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	١٠	٧١
سورة الصف		
﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾	١٤	٢٢٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجمعة		
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	١	١٢٧، ١٣٠
﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾	١٠	٢٧٨
﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾	١١	٢٥٥
سورة المنافقون		
﴿يَقُولُونَ لَيْن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾	٨	١٥٠، ١٥٥، ٣٨١
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	١٥٦، ٣٥٣
﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾	١١	٢٣٧
سورة التغابن		
﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾	١	٢٥٠
﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٢	٢٠٥
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	٣	١٨٦
﴿إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾	١٨، ١٧	٢٨٢
﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾	١٧	٢٨٥
سورة الطلاق		
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾	١٢	١٠، ١٢
سورة التحريم		
﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٢	٣٤٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	٢	٣٠٧
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾	٣	٤٠٣، ٣٣٤
﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١٤، ١٣	١٩٨، ٩٤
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	٢١١، ٨٦
﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾	١٦	٣٥٦
﴿أَمَنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾	٢١	٢٥٤
﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾	٢٩	٤٦
سورة الحاقة		
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾	٢٤	٢٨٤
﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾	٢٩-٢٨	١٢٨
﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	٤٠-٣٨	٤٩
﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾	٥٢	٣٦٢
سورة المعارج		
﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾	٤	٣٥٥
﴿مِنْ أَتَىٰ اللَّهَ ذِي الْمَعَارِجِ﴾	٣	٣٥٥
سورة نوح		
﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾	١٠	٣٠٤
﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾	٢٨-٢٦	٢٩٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجن		
﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾	٣	١٣٣
﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾	٢٨	٣٠
سورة المزمل		
﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴿	٩، ٨	٣٤٣، ٦٢
﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ﴾	٢٠	٣٠
سورة المدثر		
﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾	١١	٣٩٦، ٣٩٤
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	٣٤٤
﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿	٤٣، ٤٢	١٥٤
سورة القيامة		
﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿	٤-١	٢٣٨
﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿	٢٣، ٢٢	٢٠٩، ٦٠
سورة الإنسان		
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾	١	٢٣٧
﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	٢	٢٠٦
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نِعَمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾	٢٠	١٥٤
﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	٢٥	٤٠٠، ٦٢
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	٣٠	٣٤٦، ١٠٠، ٨٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المرسلات		
﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾	٢٣	٩٥
سورة النازعات		
﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾	٢٤	٢١١ ، ١٥٨ ، ١٥
﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾	٣١، ٣٠	١٤٤
سورة التكويد		
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾	٢٩	
سورة الإنفطار		
﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾	٨-٦	٢٥٠ ، ١٨٦
﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كُنِينِ * يَعْلَمُونَ مَا تَقْعَلُونَ﴾	١٢-١٠	٢٠٣
﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾	١٩	٢٦٩ ، ١٢٩
سورة المطففين		
﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾	١٥	٢٠٩
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾	٢٣، ٢٢	٢٠٩
سورة البروج		
﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْغَزِيرِ الْحَمِيدِ﴾	٨	٢٢٨
﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	٩	١٤٢
﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾	١٤-١٢	٣١٠ ، ٣٠٣ ، ١٢١
سورة الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ اْمَهْلَهُمْ رُويًا﴾	١٧-١٥	١٥٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعلى		
﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾	٣-١	٣٥٠، ٣٥٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾	١٥، ١٤	٦٢
سورة الفجر		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾	١٤-٦	٢٧١
سورة الضحى		
﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾	١٠	٣٠١
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	١٨٦
﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾	٨، ٧	٧١
سورة العلق		
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	١	١٧٩، ٦٠
﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥-٣	٢٥١، ٢٧٩، ٣٩٢
﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾	١٤	٢١٠
سورة الزلزلة		
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	٨، ٧	١١٨
سورة قريش		
﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾	٤	١٣٧، ١٤١



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النصر		
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾	٣-١	٢٦٢
سورة الإخلاص		
﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾	٤-١	٢١، ٢٤، ٢٦، ٥٢، ٨٧، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ١٤٨، ٣٨٨
سورة الفلق		
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾	١	٣٧٧
سورة الناس		
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ ﴾	٣-١	٢٦، ٢٨، ١٢٩، ٣٧٨





فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
٢٣٣	أتدرون بما دعا الله؟ قال: فقالوا: الله ورسوله أعلم
١١٤	أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله
١٧٤	أتيناك من عند عبادك يُهلّلونك ويكبرونك ويحمّدونك ويُمجّدونك.
٣٩٩	اجعلوها في سجودكم
١٠٧	أحبّ الأسماء إلى الله تعالى: عبد الله وعبد الرحمن
٢١٣	الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك
٢٩٣	إذا تقرب العبد إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب مني ذراعًا
١٢٥	ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
١٧٥	استعينوا بالله من النار
٣٠	استقيموا ولن تُحصوا
١٧٥ ، ١٥٤	أعني على نفسك بكثرة السجود
١٩٥	أعوذ بك من دعوة لا يُستجاب لها
٢٠١	ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟
٢٤٩	ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام
٣٨٤	الله الطيب، بل أنت رجل رفيق، طيبها الذي خلقها
٢٤٤	الله مولانا ولا مولى لكم



رقم الصفحة	الحديث
٢٥٩	اللهم اجعل خير عمري أواخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك
١٦٨	اللهم أحييني مسكينًا، وأمّتي مسكينًا، واحشرنني في زمرة المساكين
٢٥٩	اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك
٣١٢	اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون
١٦٨	اللهم اغفر لي خطيئتي وعمدي، وكل ذلك عندي
٢٥٩	اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني
٢١٦	اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء
٣٢٥	اللهم إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَّ فاعف عني
٢٥٩	اللهم إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَّ، فاعف عني، اللهم إنك عفو كريم تحبُّ العفو
٣٩٦	اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان المنان
٣٧٨	اللهم فائق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن..
١٦٩	إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس
١٦٩	أمرنا رسول الله أن نجعلها في ركوعنا
٣١٢	إن أردت أن تسبق المقرّبين، فصل من قطعك، وأعط من حرمك
٣٦٧	أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام في صورته
١٢٢	إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة
٣٣٢	إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة
١٤٦	إن الله عز وجل إذا كان يوم القيامة، جمع الله السماوات السبع
٢٤٢	إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام
٦٣	إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها
٣١٩، ٢٧١	إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته
٩٠	إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكثروا عليه



رقم الصفحة	الحديث
٣٥٥	إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين
٣٦٦	إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته
١٩١	إن لربكم في أيام دهركم نفحاتٍ من رحمته، ألا فتعزَّضوا لها
٥، ٢٩، ٣١٥، ٣٧٤، ٣٨٠	إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة
١٠٩، ٣٣٢	إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس
٢٤٨	إن من إجلال الله: إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه
٤٣	أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية
٣٧٢	أنا النبي لا كذب
٢٢٠	أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء
٢١٧	أنت المقدم وأنت المؤخر
١٤٠	إنكم تتهافون في النار تهافت الفراش، وأنا آخذ بحجزكم
٣٨٦	أو علَّمته أحدًا من خلقك
٣٢٣	إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة
٧٨	أعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟. فشق ذلك عليهم
٢٥٨	أأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني
١٧٠	أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟
ب	
٦٣	باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا
٦٢	باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه
٣١٥	البر التواب المنتقم العفو الرؤوف
٨٨	بعثت أنا والساعة كهاتين
٣٦٨	البغض في الله والحب في الله من أوثق عرى الإيمان

رقم الصفحة	الحديث
ث	
٣٠٠	ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر - أو حتى يفطر -
ح	
٣٥٤	حقّ على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه
٣٢١	حقّ على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يومًا يغسل فيه رأسه وجسده
٣٤١	الحكمة ضالة المؤمن
٦٢	الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور
٦٣	الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفّي ولا مُودّع ولا مُستغنى عنه ربنا
خ	
٦٥	الخلق عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله
١١٧	الخير بيدك، والشر ليس إليك
د	
٣٠١	الدعاء هو العبادة. اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾
٢٩٧	دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله عنه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾
٣١٩	دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا، ففجوره على نفسه
٣١٩	دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء
ر	
٣٨٤	رب اغفر لي خطيئتي وجهلي
ز	
٣٥٦	زوّجني الله من فوق سبع سماوات
س	
١٦٥	سبحان ذي الملّك والمَلَكوت، سبحان ذي العزة والجبروت



الحديث	رقم الصفحة
سبحان ربي الأعلى	٣٩٩
سبحانك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك	١٣٢، ٢٣
سبقت رحمتي غضبي	١٢٣
سُبُّوح قدوس، رب الملائكة والروح	٣٥٢، ١٣٢، ١٣١
سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟. فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن	٧٧
ع	
العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما عذَّبته	١٦٢
غ	
غسل الجمعة واجب على كل محتلم	٣٢١
ف	
فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه، وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام	٢٥٦
فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى وجهه	١٧٧
ق	
قال الله تعالى: يا ابن آدم، إن ذكرتني في نفسك ذكرتكَ في نفسي	٢٩٣
قال الله ﷻ: يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم	١٦٧
قال: قد فعلت	٩٠
ك	
كان الذي في السماء ساخطاً عليها	٣٥٦
كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه	٦٢
الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما قصمته	٣٦٧، ١٥٥
كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه.	٥١

رقم الصفحة	الحديث
٣٦٣	كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان
٣٤٨	الكَيْسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها
ل	
٢٤٨	لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك
٣٣٣	لا، أقره
٣٦٤	لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم
٢٢٠	لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين
٢٥١	لا تقولوا للعنب: الكرم، فإن الكرم هو الرجل المسلم
٢٩	لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة
١٧٠	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر
٢٨٤	لا يشكر الله من لا يشكر الناس
٢٦٣	لُفْتُحَنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش
٢٤٠	لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى
١٢١	لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها
٣٩١	لله تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة
٣٦٧	له ستمائة جناح
٣٢٣	لم يضرب رسول الله بيده دابة، ولا خادمًا، ولا امرأة
٣٠٢	لو دُعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراعٌ لَقَبِلْتُ
١٦٣	لو كان موسى بن عمران حيًّا ما وسعه إلا اتباعي
٣٩٠	لي خمسة أسماء: أنا محمد وأحمد..
٢٢٦	ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس
م	
٣٨٠، ٣٧٦، ٥	ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك



رقم الصفحة	الحديث
٣٢٢	ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله
٣٤٨	ما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى
٨٧	ما المسؤول عنها بأعلم من السائل
٣٠١	ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها أثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها
٣٠٥	ما من مسلم يصيبه نَصَب ولا وَصَب، ولا هَمٌّ ولا حَزَن، ولا أذى ولا غَمٌّ
٢٦٣	مدينة هرقل تفتح أولاً
٨٧	مفتاح الغيب خمس
٣٤٨	من أصبح معافى في بدنه، آمناً في سربه، عنده قوت يومه
١٥٣	من تواضع لله رفعه الله
٢٠٠	مَنْ صمت نجا
١٤٠	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليأمنْ جاره بوائقه
٢٠٠	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت
١٧٦	مَنْ لم يسأل الله يغضب عليه
٢٨٥	من لم يشكر الناس لم يشكر الله
ن	
٢١٩	نحن الآخرون السابقون، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا
٢١٩	نحن الأولون والآخرون
٢٦٢	نعم الإدام الخل
١٨٢	نعم، ويبعثك ويدخلك النار
و	
٢١٩	وآدم بين الروح والجسد
٣٠٥	وأتبع السيئة الحسنة تمحُّها
٣١٩	واتق دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجاب

رقم الصفحة	الحديث
١٦٣	وأنا سيد ولد آدم ولا فخر
٧٧	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن
٢٢٩	وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
٣٨٤	وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئاً
٢٢٧	ومن يستغن يُغْنِه الله، ومن يستعِف يعفّه الله
٢٩	وهو وتر يحب الوتر
ي	
٢٢٧	يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأُ صدرك غنى وأسُد فقرك
٢٩٣	يا أيها الناس! اربّعوا على أنفسكم - أي: أشفقوا عليها وارفقوا بها
٣٩٦	يا حنّان يا منّان
٢٣٣	يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله
٣٠٦	يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً
٢٥٤، ٢٤١	يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد
٦٢	يا غلام، سمّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممّا يليك
٣٧٥	يحب الوتر، هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك
٣٥٦	يرحمكم من في السماء
٢٦٩	يقبض الله عِزَّ الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض
٣١٣	يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار

* * *

فهرس الموضوعات

- ٤ من الدستور الإلهي للبشرية
- ٥ من مشكاة النبوة الخاتمة
- ٧ مقدمة
- ١١ أسماء الله الحسنی وأثرها في معرفة المسلم بالله تعالى
- ١١ معرفة الله أساس العقيدة ومن أجلها خلق الله الخلق
- ١٣ ضلال البشرية عن معرفة الله معرفة حقّة
- ١٥ توحيد الفلاسفة
- ١٦ عقيدة اليهودية والنصرانية في الله
- ١٩ تصحيح تصور البشرية عن الله
- ٢٠ معنى معرفة الله
- ٢٥ منهج القرآن في ذكر أسماء الله تعالى وصفاته
- ٢٨ أسماء الله في كتاب الله وعلى لسان رسوله
- ٢٩ حديث الأسماء التسعة والتسعين ومعنى إحصائها
- ٣١ مراتب إحصاء أسماء الله الحسنی
- ٣٣ كيف نتعامل مع أسماء الله الحسنی؟
- ٣٣ معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة والمشاهدة
- ٣٥ التعبد بجميع الأسماء

• أثر الإيمان بأسماء الله وصفاته ٣٧

إحصاء أسماء الله أصل لكل العلوم ٣٧

معرفة الله تأمر بكل إحسان ٣٨

ولهذه الشجرة ثلاثة فروع، لكل فرع منها شعب وأغصان ٤٠

الأدب مع الله ٤١

محبة الله والرضا بقضائه ٤١

الطمأنينة ٤١

كمال الإيمان وزيادته ٤٢

التوسط والاعتدال بين حالي الخوف والرجاء ٤٣

حسن معرفة أسماء الله وصفاته تورث في القلب التوكل على الله ٤٤

• الله جلّ جلاله ٤٨

عرفنا أنّ لهذا الكون ربّاً يدبره هو الله ٤٩

عرفنا الله بالعقل ٥٠

وعرفنا الله بالفطرة ٥٠

وعرفنا الله بالكون الدال على المكوّن ٥١

بمنطق العقل ناقشنا الملاحظة فأفحمناهم ٥٢

اتفاق موكب الرسل الداعين إلى الله طوال التاريخ ٥٤

(الله) أعظم الأسماء ٥٦

لفظ الجلالة في القرآن ٥٨

الله لا إله إلا هو ٥٩

ذكر اسم الله ٦٠

• وإلهكم إله واحد ٦٤

أنواع التوحيد ٦٦

١ - توحيد الربوبية أو الخالقية ٦٦



٢ - توحيد الإلهية أو العبادة ٦٧

٣ - توحيد الحاكمية ٧٠

الواحد ٧٣

• **الله أحد الله الصمد** ٧٧

الأحد ٧٨

الصمد ٨٣

• **الله بكل شيء عليم** ٨٦

علم الساعة ٨٧

علم المخلوقات ٨٨

علم الله ليس كعلم البشر ٩٢

ألا يعلم من خلق؟ ٩٣

علام الغيوب ٩٤

• **الله على كل شيء قدير** ٩٥

معنى القدير والمقتدر ٩٨

تعامل العبد العاجز مع ربه القادر ٩٩

• **الله فعال لما يريد** ١٠٠

• **الله الرحمن الرحيم** ١٠٤

صفة الرحمة بين القرآن والكتاب المقدس ١٠٤

الفرق بين اسمي الرحمن والرحيم ١٠٦

رحمة الله عامة وتامة وسعت كل شيء ١٠٨

أرحم الراحمين وخير الراحمين ١١٠

من آثار الرحمة الإلهية ١١١

رحمة الله في عالم الأمر ١١٤

مضاعفة ثواب الحسنات ١١٥

الله أرحم الراحمين، فلماذا خلق الشر؟ ١١٧

ليس من أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر ١٢١

الغزالي يسأل ويجيب ١٢٢

أثر الرحمة في مجتمعات المسلمين ١٢٥

حظ العبد من اسم (الرحمن) واسم (الرحيم) ١٢٥

• **الله الملك القدوس** ١٢٧

١ - الملك ١٢٧

هل للإنسان شيء من الملك؟ ١٢٩

٢ - القدوس ١٣٠

حظ العبد من اسم القدوس ١٣٣

• **الله السلام المؤمن المهيمن** ١٣٥

١ - السلام ١٣٥

٢ - المؤمن ١٣٧

حظ المكلف من اسم المؤمن ١٤٠

٣ - المهيمن ١٤١

• **الله العزيز الجبار المتكبر** ١٤٦

١ - العزيز ١٤٧

من أين يستمد المؤمنون عزتهم؟ ١٥٦

العزة الإيمانية ١٥٧

حظ المؤمن من اسم العزيز ١٥٩

٢ - الجبار ١٦١

حظ العباد من اسم الجبار ١٦٢



- وعيد الله للمتجبرين والمتكبرين ١٦٣
- تفسير القرطبي لاسم الجبار ١٦٣
- الأوصاف المشتمل عليها اسم الله الجبار ١٦٧
- كيف يتعامل العبد مع الجبار سبحانه؟ ١٦٨
- ٣ - المتكبر ١٦٩
- حظ العبد من اسم الله المتكبر ١٧١
- مناقشة وبيان لكلام الغزالي ١٧٢
- الله الخالق البارئ المصور ١٧٩
- ١ - الخالق ١٧٩
- خلق العوالم العلوية ١٨٠
- معنى الخلق في مفردات الراغب ١٨٠
- الله وحده هو الخالق وهو الخلاق ١٨١
- سبب عناية القرآن بالخالقية ١٨٢
- ٢ - البارئ ١٨٥
- ٣ - المصور ١٨٥
- الفرق في المعنى بين الخالق والبارئ والمصور ١٨٦
- حظ المكلف من هذه الأسماء الحسنى (الخالق البارئ المصور) ١٩٠
- الله السميع البصير ١٩٣
- ١ - السميع ١٩٣
- اسم السميع في القرآن ١٩٦
- شمول سمع الله ١٩٧
- كيف يسمع الله تعالى وكيف يرى؟ ١٩٨
- سمع الله وسمعنا ١٩٨
- أثر الإيمان باسم الله السميع ٢٠٠

صُنْ سمعك عن كل سوء ٢٠٢

اسأل الله وحده ٢٠٣

٢ - البصير ٢٠٥

بين بصر الله وبصرنا ٢٠٦

اختلاف مستويات الإبصار ٢٠٧

ضعف مدارك الإنسان وحواسه وملكاته ٢٠٨

أقدر الخلق على الرؤية ٢٠٨

رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ٢٠٩

الله بما تعملون بصير ٢١٠

كيف يتعامل المؤمنون مع صفتي سمع الله ورؤيته؟ ٢١١

انتفاع المؤمنين بما منحهم الله من نعمتي السمع والبصر ٢١٢

كلام الغزالي عن (البصير) ٢١٤

حظ المكلف من هذا الاسم ٢١٤

• الله الأول والآخر ٢١٦

• الله الظاهر الباطن ٢٢٠

١ - الظاهر ٢٢٠

٢ - الباطن ٢٢١

تحقيقات صاحب الظلال في تفسير (الأول الآخر الظاهر الباطن) ٢٢٢

• الله الغني الحميد ٢٢٤

١ - الغني ٢٢٤

٢ - الحميد ٢٢٨

من الحميد من العباد؟ ٢٣٠



- **الله الحي القيوم** ٢٣٢
- يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث ٢٣٣
- ١ - **الحي** ٢٣٤
- بين حياة الله وحياة المخلوقين ٢٣٥
- حياة الله سبحانه ذاتية كاملة ٢٣٦
- قدرة الله على إحياء الموتى ٢٣٨
- ما على المكلف تجاه ربه الحي ٢٣٩
- ٢ - **القيوم** ٢٤٠
- حياته سبحانه الكاملة وقيوميته تقتضي ألا يعتريه سنة ولا نوم ٢٤٢
- **الله ذو الجلال والإكرام** ٢٤٤
- ١ - **ذو الجلال** ٢٤٤
- ٢ - **ذو الإكرام** ٢٥٠
- **الله الرزاق الفتاح** ٢٥٣
- ١ - **الرزاق** ٢٥٣
- أرزاق الله نوعان: مادية وروحية ٢٥٦
- الرزق الروحي والمعنوي ٢٥٨
- الأرزاق كلها تطلب من الله ٢٥٨
- ٢ - **الفتاح** ٢٦٠
- فتح المسلمين وفتوح غيرهم ٢٦٥
- حظ العبد من هذا الاسم ٢٦٦
- **الله القهار الوهاب** ٢٦٧
- ١ - **القهار** ٢٦٧
- الله قهار الجبابرة ٢٧٠
- نصيب العبد من هذا الاسم ٢٧٢

- ٢ - الوهاب ٢٧٤
- صور العباد وهيئاتهم ٢٧٤
- هل في الناس وهّاب حقيقي؟ ٢٧٧
- ما يستوهمبه الناس من الله تعالى ٢٧٨
- الله الشكور الحليم ٢٨٢
- ١ - الشكور ٢٨٢
- الثناء على المرسلين بصفة الشكر ٢٨٣
- ٢ - الحليم ٢٨٥
- حلم الله تعالى على عباده ٢٨٦
- الله القريب المجيب ٢٨٨
- معنى القريب ومعنى المجيب ٢٨٨
- ١ - القريب ٢٨٩
- قرب الله من عباده ٢٩٠
- معية الله العامة والخاصة ٢٩٠
- ٢ - المجيب ٢٩٤
- مجيب الدعوات ٢٩٥
- إجابة دعاء المظلومين ٢٩٩
- حظ العبد من هذا الاسم (المجيب) ٣٠١
- الغفور الودود ٣٠٣
- ١ - الغفور ٣٠٣
- اقتران اسمي الغفور والغفار بالأسماء الملائمة ٣٠٦
- ٢ - الودود ٣١٠
- الذين يحبهم الله ٣١٠
- حظ الإنسان من اسم الودود ٣١٢



• **الله المنتقم العفو** ٣١٣

١ - المنتقم ٣١٥

ثبوت صفة الانتقام ٣١٦

الله يملئ للظالم ٣١٨

شرح الغزالي لمعنى اسم المنتقم ٣٢٠

المحمود من انتقام العبد ٣٢٠

ما يختص بالعبد من وصف الانتقام ٣٢٢

احذر انتقام الله للمظلوم ٣٢٣

٢ - العَفُو ٣٢٤

الفرق بين العفو والمغفرة ٣٢٤

حظ المكلف من اسم (العفو) ٣٢٥

ضراعة إلى الله ٣٢٨

• **الله الواسع الحكيم** ٣٢٩

١ - الواسع ٣٢٩

حظ المكلف من اسم الله (الواسع) ٣٣٣

٢ - الحكيم ٣٣٣

معنى الحكيم ٣٣٤

المراد بالحكمة في القرآن ٣٣٥

الحكمة النظرية والعملية ٣٣٦

كلام القرطبي في اسم الله الحكيم ٣٣٨

القرآن كتاب حكيم منزل من إله حكيم ٣٤٢

الحكمة في القرآن ٣٤٢

الجمع بين العزة والحكمة والعلم والحكمة ٣٤٤

الحكمة علمية وعملية ٣٤٥

من حكمة الله في مخلوقاته ٣٤٦

نصيب المكلف من اسم (الحكيم) ٣٤٧

• **الله العليّ العظيم** ٣٥٠

١ - **العليّ** ٣٥٠

كيف تفهم النصوص التي تثبت الفوقية والعلو لله؟ ٣٥٦

ما انتهى إليه في العلو والفوقية والاستواء ٣٥٧

لا حاجة إلى التحريف ولا إلى الوقوف ٣٦١

٢ - **العظيم** ٣٦٢

ما على المكلف تجاه اسم الله العظيم ٣٦٧

• **(ملحق) بحوث وإضاءات حول أسماء الله تعالى الحسنى** ٣٦٩

هل أسماء الله تعالى توقيفية أم غير توقيفية؟ ٣٦٩

معنى التوقيف في أسماء الله تعالى ٣٧٠

التوسع في التسمية بأسماء الله الحسنى ٣٧٠

توقف الأمدي في اشتراط التوقيف وعدمه ٣٧٣

ما ذكره ابن كثير ٣٧٤

كلام ابن الوزير حول أسماء الله الحسنى ٣٧٩

ابن الوزير يختار مائة وخمسة وخمسين اسمًا بالنص الصريح ٣٨٠

حرص ابن الوزير على تركه التكرار ٣٨٢

ما صح من الأسماء في السنة ٣٨٤

الأسماء المشتقة من الأفعال الربانية الحميدة ٣٨٧

الأسماء غير المشتقة من ألفاظ القرآن ٣٨٧

الممادح السلبية في شأنه تعالى ٣٨٨

الأسماء المطلقة على العباد بنقص وعلى الله بالكمال ٣٨٩



- الاختلاف بين الاسم والمُسَمَّى ٣٩٠
- كلام ابن العربي ٣٩٠
- دعاء الله بأسمائه الحسنى ٣٩٢
- معنى الإلحاد في أسماء الله تعالى والتحذير منه ٣٩٢
- مناسبة الآية لما قبلها ٣٩٤
- حكم إطلاق اسم مدح خالص لا شبهة فيه ولا اشتراك غير منصوص ٣٩٥
- تفسير ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ووجوب تنزيه اسمه تعالى ٣٩٧
- كلام الألوسي في التنزيه ٤٠١
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٤٠٧
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤٥٣
- فهرس الموضوعات ٤٦١

* * *



فهرس كتب المجلد

٢٠ - القضايا المبدئية والمصيرية الكبرى للإنسان ٥

٢١ - أسماء الله الحسنى ٢٦٧

* * *

